 أبو عمر اسم وأبو الطيب
في أدب المغرب

الدكتور محمود ابن شريفة

دار التّعّاب الإسلاَمِي
بيروت
جمعية حقوق الحفوظ
الطبعة الأولى
1986
المقدمة

يقوم أساس هذا العمل على فترتين مستقلتين من مشروع كتاب حول تاريخ الصلات الثقافية بين شرق الوطن العربي وغربه عبر العصور، وهو مشروع قطعت فيه شوطًا لا بأس به، وارجع إلى أن أنهزه بعون الله في وقت قريب.

وقد رأيت أن أنشر منه قبل إخراجه هاتين الفترتين حول عناية المغاربة بشاعري العربية الكبيرين الطائي والمتنبي وتأثيرهما في الأدب العربي بلندان المغرب.

وإنما جمعتهما في قرن هذا الكتاب لأن أهل المغرب كانوا يطلقون تجنيبة «الشعرين» على شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب، ويقولون في ابن هاني، وابن دراج إنهم «نظرين لحبيب والمتنبي»، ولأن بعض الشراح والنقاد القدماء جمعوا بينهما كمؤلف «النظام، في شرح ديواني المتنبي وأبي تمام» ومؤلف «المآخذ الكندية، من المعاني الطائية» ومؤلف «نزهة الأديب، في سرقات المتنبي من حبيب» ومؤلفنا الأندلسي الذي يرد عليهما فيما يبدو في رسالته: «روضة الأديب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب».

ثم إن نشر هذه الرسالة الأخيرة في ذيل هذا الكتاب اقتضى الجمع بين الشاعرين والتعرف بمكانهما عند المغاربة.

وشفت هذا النص، الذي عثر عليه وحققه وعرفت بصاحبه باختيارات من نسخة ديوان المتنبي السعدية المنصورية، وهي نسخة نفيسة
مقابلة على أصول أندلسية ومغربية عتيقة ذات طرور مأخوذة من "منصف" ابن وكيع في عصرها، وهذه الطرور مفيدة في ترميم "المنصف" وتحريك الناقص منه، وفي هذه النسخة المنصورية أيضاً زيادات على ما في دواوين المتنبي المطبوعة تنشر هنا لأول مرة.

تدور موضوعات هذه الدراسة حول الأسانيد والشروح والآثار النقدية والمعارضات وغيرها من الموضوعات المتعلقة بأبي تمام والمتنبي في الأندلس والمغرب.

وقد جمعت مادة هذه الموضوعات من مختلف المظان المطبوعة والمخطوطة واستعملت مخطوطات لم تكن مروية من قبل كشرح الأعلم الشنيري على شعر أبي تمام وشرحه أيضاً على الشعر الذي قاله المتنبي في صباه.

وكشفت عن صاحب "سرقات المتنبي" التي نشرها الشيخ الطاهر ابن عاشور مرسومة إلى ابن بسام، وهي لغيره.

وقد اكتفت في هذه المحاولة الأولى بجمع المادة وتوثيقها وعرضها لأني أرى أنه لا بد من الفراش من هذه الأمور قبل الانتقال إلى ما سواها.

وأرجو في النهاية أن يكون في هذا العمل فائدة للدارسين والله الموفق.
الثقة في المكانة

أبوتام في أدب اللسان السيسيين والمعمارية
ذكر أبو تمام الأندلس في شعره مرتين: إحداهما في قصيدته التي مدح بها خالد بن يزيد الشباني ومطلعها:

يا موضوع الشذبية الوجنة
ومصارع الأدلاج والإسراء

وذلك في هذه الأبيات التي يصف فيها تخلّص ممدوحه من عثرته:

قد كان خطب عائر فأتاله
رأي الخليفة كركب الخلفاء
فخرجت منه كالشهب ولم تزل
منذ كنت حرّاجاً من العمة
ما سرتني يخدعمها من حجته
ما بين أندلس إلى صنعاء(1)

وذكرها مرة ثانية في قصيدته في مدح المعتصم:

(1) ديوان أبي تمام 1: 15 - 16. تحقيق محمد عبد عزام. دار المعارف بمصر. ط. 3.
الحق أبلح والسيوف عوار
فحذار من أسد العربين خذاً
وفي هذه القصيدة يشير أبو تمام إلى سعة رقعة الدولة العباسية
يفقول:
فالصين منظوم بандلس إلى
حيثان رومية قملك زمان(2)
وفي كلتا المرتين نراه يعدها في تخوم الدولة العباسية.
أما الأندلس وأهلها فقد عرفوا أبا تمام ووصل إليهم شعره في حياته، وفتنوا به، وشغلا به وصنعته، وأدرك لديهم من القبول والحظوة ما لم يدركه إلا المنتبّي بعد ظهوره.
ويبعد اهتمامهم به من خلال ظهور مختلفه وفي مستويات متعددة:
فعلى مستوى الرواية نجد شعر أبي تمام يتشر في الأندلس عبر عدد من الطرق والروايات:
منها رواية الرحلات البغدادي أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الرياضي الذي جاء بلاد الإسلام شرقا غرباً وأدخل إلى أفريقية والأندلس أشعار المحدثين وأخبارهم، ومنها شعر أبي تمام(3) وقد ظل روايته لشعر أبي تمام موصولة السند حتى القرن السابع الهجري ونجد هذا السند عند الحافظ ابن الأبار على النحو التالي:

(2) المصدر نفسه 2: 209.
(3) تكملة ابن الآبار: 174 (نشر عزت المطران والترجمة رقم 2262 في ملحق التكملة، وفتح الطب 3: 135 تحقق د. إحسان عباس.)
ابن تمام
↓
ابن اليماني
↓
عثمان بن الصقيل
↓
غالب بن معمر
↓
تمام بن غالب
↓
حاتم بن محمد
↓
أحمد الخولاني
↓
محمد بن زرقون
↓
أبو الربع الكلاعي
↓
ابن الآبار

ومنها رواية عثمان بن المثنى المؤدب والشاعر القرطي (ت 273) قال ابن الفرستي في ترجمته: "وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه"(5) وقال الزبيدي في الطبقات: "رحل إلى المشرق فلقي

(4) ذكر ابن الآبار هذا المند في ترجمة أبي اليمان إبراهيم وأشار إليه في ترجمة عثمان بن الصقيل، التكملة: 174 وقلم 2262 (ملحق).

(5) تاريخ العلماء 1: 346 وبيعة الوعة 2: 136. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
حبيب بن أوس فقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس (6) وقال ابن سعيد في المغرب: "وذكر أنه رحل ولقى أبا تمام الطائي وأخذ عنه شعره" (7) وعندنا خبر طريف يفصل كيفية لقاء النجاح بكل، ولكن على تكرار اللقاء، ونوقه هنا لغرابته نقله عن ابن الأبار قال: "حكي أن عثمان بن المثنى جمعه مركب في بحر القلم (أي البحر الأحمر) مع حبيب بن أوس أبي تمام الطائي فأتيته شعره الذي يقول فيه: 

الله أكبر، جاء أكبر من متشي
فتعثرت في كنهه الأوهام

وكان هذا البيت مبتدأ الشعر فقال له ابن المثنى: شعر حسن لولا أنه لا ابتداء له، فوقذت في نفس حبيب وابتدأ الشعر بقوله:

دمت ألم يها فقال سلام
كم حل عقيدة صبره الأملاء

ثم انشده في اليوم الثاني الشعر بهذا الابتداء إلى تمامه، فقال له ابن المثنى: أنت أشعر الناس، فعُظم في نفس حبيب، ثم لقيه في انصرافه، وحبب قد عظم قدره، وجل خطره، فكان يؤثره، ويعرف له فضله وكان أول من أدخل شعره، ويقال إن كثيرا من غزيل حبيب له (8) وهذا الخبر يصور الصلة بين الرجلين على أنها صلة شاعر بشاعر أو ناقد بشاعر، وهو خبر له أشبة ونظائر كختر عباس بن ناصح مع أبي نواس وخير بحى الغزال مع أدباء بغداد، وخير سعيد بن أحمد مع بعض أدباء مصر، وخير القاضي محمد بن عيسى مع أحد أدباء المشرق (9)؛ وتشير هذه الأخبار إلى مواقف

(6) طبقات التحويين واللغويين: 288 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
(7) المغرب 1: 112 تحقيق د. شوفي ضيف. ط. 1.
(8) تكمية ابن الأبار: 10-11.
(9) انظر تفصيل الأخبار المذكورة في طبقات الزبيدي: 284-286 ونفح الطيب 2: 260 وتكملة
بعض الأدباء الأندلسيين تجاه أضرابهم في المشرق وذكر شيئاً من الحرار
الأدبي الذي كان يجري بين الطرفين؛ ولذا فإننا لا نستبعد ما ورد في
الخبر المذكور، ولا نستثمر على ابن المثنى انتقاد أبي تمام، فقد كان أسان
من الشاعر الطائي(10) ويفهم من الخبر أن ابن المثنى لم يخرج من الأندلس
إلا بعد أن تمكّن من أدوات الشعر والنقد وتزوّد بحظ جيد من الأدب،
وتجدر الإشارة إلى أن البيت الذي انتقدم ابن المثنى كمطلع انتقده فيما
بعد أبو الطاهر السرقسطي(11) صلاح بن شريف الرند(12) ، أما الجزء
الآخر من الخبر وهو المذكور بصيغة التمزيق والمتعلق بنسبة كثير من
غزل أبي تمام إلى ابن المثنى فقد يكون محلّ نظر، ومع ذلك فإن النقاد
الأقدمين - ومنهم ابن شرف وابن رشيق - ذكروا أن أبي تمام كان ضعيفاً في
النصيب ولم يكن حسن التجزّر (يافّاً ما يقع له من ذلك التائف البسيط في
خلال القصائد).

وتمة راوية أندلسي آخر لشعر أبي تمام وهو الشاعر الفحل مؤمن بن
سيعدي الذي لقي أبي تمام ببغداد وأخذ عنه شعره وأدخله الأندلس وكانت له
حلقة يقرؤها فيها هذا الشعر، ورواية أتم من رواية ابن المثنى، إذ يبدو أنه
أدرك أبي تمام في آخر حياته، وقد ذكر أنه لقيه في بغداد(13).

وهناك مؤدبان أندلسيون آخرون ظهروا بعد هؤلاء المذكورين
الذين لقوا أبي تمام ورووا عنه شعره مباشرة، ومنهم أبو عبدالله محمد ابن

= ابن الأبار: 216 وجدية المقتبس: 212 تحقيق محمد بن تاويث الطنيجي، والمقتبس 5: 46;
نشر شاليمتا ومعاونيه.
(10) وايا، أبو تمام سنة 192 هـ وتوفي ابن المثنى سنة 273 عن 99 سنة فهو إذن من مواليد سنة
174 هـ.
(11) المقدمات الرومية: مقامة الشعراء وهي المقامة الثلاثون.
(12) الوافي (مخطوطة).
(13) المجلة 2: 119 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ورسالة الانتقاد لابن رشيق.
(14) المغرب 1: 132.
الأخير الفرشي الذي كان له "بصر شعري شعر حبيب"(15) وأبو عبد الله الغامبي الذي كان يقرأ عليه شعر حبيب(16) وأبو العباس وليد الطبيشي شارح شعر أبي تمام(17)، وقد أخذه عن أبي عبد الله الغامبي، ومنهم أيضاً جماعة الأدباء الذين كلفهم عبد الرحمن الناصر باتشاخ شعر حبيب ومنهم محمد بن أرم، وموسى بن محمد الحاجب ومحمد بن يحيى القلقلاو وابن فرج البلباري، فهؤلاء الأعلام الذين عنوا بشعر أبي تمام لا بد أن لهم أسانيد في رواية شعره لم تذكرها كتب التراجم.

وقد بلغ الاهتمام المبكر بشعر أبي تمام غايته في عهد عبد الرحمن الناصر الذي كلفـ كما أشارنا إلى ذلك آنفـ لجنة من الأدباء بعمل نسخة من ديوانه، وفي طيات الزيدي خبر مفصل حول هذا الموضوع يحسن لنا أن نوردته برغمه، قال: "ولما أمر أمير المؤمنين عبد الرحمن رضي الله عنه باتشاخ شعر حبيب أحضره ( يعني محمد بن أرم) وأحضر جماعة من الأدباء منهم موسى بن محمد الحاجب ومحمد بن يحيى القلقلاو وابن فرج المعروف بالبلباري، وكان ابن فرج من أهل العربية، وكان لا يناظر الجُهَّاز والقلقلاو من أهل الزمان غيره، فشاروه أي القصائد يقدم في صدر الكتاب، فقال ابن أرم: إنما يفضل الشعر ويقدم لغزابته وحسن معناه، وشعره الذي فيه وصف القلم لم يتقدم عليه متقدماً ولا ألقبه فيه متأخر، فدقعوا جميعاً عليه، وقالوا: الموضوع يتعصب للوضوح - يعني ابن الزيات - فأحذوه، فيما هم كذلك إذ استدو يلي عبد الله الغامبي فاذن له، فلم أستوى في المقعد سلماً جري من القول، فقال: أخبرني أبو الحسن المعني(18) أن أهل بغداد لا يفضلون على شعره الآمي الذي ذكر

(15) طبقات الزيدي: 328.
(16) المصدر نفسه: 315.
(17) المصدر نفسه: 328.
(18) يبدو أن المقصود به علي بن نافع الحلق بزرباب، وعلى هذا الأساس يعتبر هو أيضاً من...
فيه القلم شيئاً لغرابة معناه، ولم يكن الغاني يعلم شيئاً من اختلافهم في ذلك، وإنما سئل عما يجب تقديمه، فاستطاع ابن أرقم على أصحابه:
فقال: مثلت مع هؤلاء ما قاله حبيب:
كيلاَبُ أُغَارْتُ في فِرِّسَةٍ ضِيِّقَم
طروقاً وهامً أطعت صيد إجدة
إنما يعممُ أن أكونُ في بل متحكَّم علي فيه من لا يعرف ما أقوله. هذه نسخة قديمة من شعر أبي تمامة جمعت من المحفوظ والمكتوب الذي كان بين يدي أدباء الأندلس يؤمن من هذا الشعر، وقد نظر في ترتبها إلى جودة القصائد ودرجاتها في الجودة، ولم ترتب على الحروف أو الأغراض.

وبعد قليل من التاريخ الذي جمعته فيه هذه النسخة دخل أبو علي القالي الأندلس، وأدخل معه فيما أدخل - شعر أبي تمامة في صورتين: إحداهما قرطاسية ذكر أنها بخط يد أبي تمام، والآخر ما قبده أبو علي من شعر أبي تمام في سفر الكافد الذيقرأ فيه على أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستوبي. وهكذا كان ما أدخله أبو علي أثناً ما دخل من شعر أبي تمام إلى الأندلس، وقد غطت رواياته على الروايات السابقة عليها واعتمدها رواة الأندلس والمغرب كما سنرى فيما بعد، ونسخة أبي علي غير مرتبة على الحروف كذلك، وقد نقل عن أصلها نسخ متعددة توجد مخطوطاتها في الآسيويات بإسبانيا والخزانة الحسنية وغيرها(19) بالمغرب، ولعل من

(19) تتحدث عن نسخة الآسيويات محقق الديوان الأستاذ محمد عزيز عبد عزيز، وفي الخزانة الحسنية نسخ متعددة يبدو أنها فروعة من نسخة الآسيويات ومنها النسخة التي تحمل رقم 548 م وقد فرغ من نسختها في التاسع من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وثمانية، والنسخة رقم 5512 وتاريخ نسخها 1129 هـ. وفيها أيضاً نسخ متعددة برواية الصوفي.
المفيد أن نثبت ها هنا نص الكلمة التي توجد في آخر نسخة الأسكنريال وبعض نسخ الحزامة الحسنية بالرباط، وهي هذه:

«وجد في الأصل المكتوب منه هذا ما نصه: كتب له نفسه بخط يده علي بن محمد بن عيسى الفيسي (20) نفعه الله به، استنسخه من كتاب الشيخ الأجل الوزير الأستاذ أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الزهري المعروف بابن الأفلى المكتوب بخط يده المنقول من الفراغي الذين اجتيلوا أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي وذكر أنها بخط يده أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. ووجدت أيضاً فيه ما نصه:

والملت في آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الأستاذ أبي القاسم المذكر روحم الله؛ كمل في هذا السفر جميع ما تضمنته الفراغي التي اجتيلها أبا علي إسماعيل بن القاسم البغدادي من شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي؛ وذكر أبو علي أنها بخط يده أبو تمام واستقرت عند صاحب الشرطة الكاتب أبي القاسم بن سيد (21) وصارت إلي من جهته؛ وكذلك كمل فيه جميع ما قاذا أبا علي من شعر أبي تمام في سفر الكاغد الذي قره فيه أبا محمد عبد الله بن جعفر بن درستوبي (22) وأقرأ ذلك رواية عن علي بن مهدي الكسروي (23) عن أبي تمام حبيب بن أوس، واستقرر.

(20) في الفيل والتكملة هذه الترجمة القصيرة (5) علي بن محمد بن عيسى: يطلوبى أبى الأصل؛ روى عن أبي محمد بن عتاب، ويبعد من توافق الأسم ومن تاريخ نسخة الإسكنريال التي انتخبت المذكر لنفسه وهو سنة 556 هم ومن روايته عن ابن عتاب المتوفى سنة 531 هم أن هذا النسخ هو صاحب الترجمة المذكر.
(22) انظر في ابن درستوبي دراسة الأستاذ عبد الله الجموري.
(23) قري تصريف في اسمه في فهرسه ابن خير، له ترجمة في نسخة الوعاة 2: 88، ومعجم الأدباء 15.
السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمان(24) وصار من جهته إلى
صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن مضاء(25) واستعن به ابنه، وأضيفت
إلى ذلك ما ألفته زائداً في الكتب التي استمرت بخط أبي علي وروايته في
خزانته المنصور أبو عمر محمد بن أبي عمار(26)؛ وأخرج إلى الكتب
المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف(27)، رحم
الله جميع المذكورين وعفا عنهم وأضيفت إلى ما نقلت من الأصول.
المذكورة ما ألفته زائداً في رواية محمد بن يحيى الصوفي ممن أشبه ما
تقدَّم في حسن الصناعة واعتبار الألفاظ. والحمد لله على عونه وجمال
تأيده كثيراً كما هو أهله ولصى الله على محمد وسلم.

ألهم إجعله دعاء نافعاً وسعياً مشكوراً.

نقلته كما ألفته في الأصل المذكور حرفًا حرفيً(28).

أثبتنا هذا النص بكماله لدلالاته المتسعة على عنيزة الأندلسين بشعر
أبي نعَّم وجهدهم في توثيق وجمعه.

إن هذه النسخة التي أصلها أبو علي الراقي ورقَّبها بعدة بمدة ابن
الألفيتي هي التي انتشرت في الأندلس والمغرب وتوجد منها مخطوطات
متعددة إلى اليوم في المغرب، وعلى أساسها وضع الأعلم الشتري شرحه
كما سنذكر ذلك فيما بعد.

(24) هو الوزير الحاجب المعروف بابن المصري، وترجمته وأخباره في المطبوع والذخيرة.
والنهاية في المجمع والمغرب وفتح الطب.
(25) بيت بي مضاء مشهور في قرطبة، ولكن يبدو أن المعصوم هنا هو أبو حفص عمر بن
يوسف بن محمد بن مضاء الملقب بالحبشي، فهو الذي كان مصناً بشعر أبي تمام.
(26) كان المنصور من تلاميذ أبي علي الراقي. نظر البيان المغربي 2: 357 والخطبة السيرة 1: 268.
(27) ترجمة ابن العريف في تاريخ العلماء لابن القرطاسي 1: 134 - 135 وكان مؤكَّداً لأولاد
المنصور ومغرباً منه.
(28) نقلت هذا النص من مخطوط الخزانتة الحسابية رقم 584 وهو موجود أيضاً في نسخ أخرى
بالمكتبة المذكورة، وأصله في نسخة الأسكوربال.
وعلى مستوى الإقراء والتدريس تزودنا كتب الطبقات بأسماء جماعة من المؤدينين اشتهروا بتدريس شعر أبي تمام وإرائه في الأندلس، فمنهم أبو عبدالله الغابي، قال الزبيدي:

«كان يقرأ عليه شعر حبيب»(28).

ومنهم محمد بن عبد الله المعروف بابن الأصفر، وكان له فيما يقول الزبيدي: «بصر بعماني شعر حبيب وغيره من أشعار المجددين»(29).

ولعل أشهر حلقته فيها شعر أبي تمام في الأندلس قديماً هي حلقته مؤمن بن سعيد (ت 267 هـ).

وقد وصلت إليها بعض أصداء هذه الحلقة، ويبدو أنها لم تكن تخلو من طبيعة التكقيت وروح النذر الذي كان غالبًا عليها.

قال ابن سعيد في المغرب: وقرأ عليه يوماً أحد المتعلمين قول حبيب:

أرض خلعتُ اللهُ خلعي خاتمًا فيها وطلقت السرور ثلاثاً

فقال له: «من سرور هذه أصلحك الله؟ فقال هي امرأة حبيب» وقد رأيتها ببغداد»(30).

ومن الواضح أن مؤمن بن سعيد ضاقت ذرعاً بسؤال تلميذه الذي لا يفرق بين الحقيقة والمجاز فاستجاب وتهكم عليه بهذا الجواب، وليست أدرى كيف لم يتبه صديقنا الدكتور محمود مكي إلى مسحة المزح على كلام...

(28) طبقات الزبيدي: 315.
(29) المصدر نفسه: 328.
(30) المغرب 1: 132.
الشاعر مومن فحمله محمل الجد وقال في رسالتنه الجامعية المشورة
بالإسبانية (ص 243):

«También el poeta cordobés Mu’min IBn sa’id estudió Con Abu Tammàm su poesía y, además de introducirla en Espana, La explicaba y Comentaba a sus discípulos, aunque sus Comentarios no eran del todo exactos, a jazgar por alguno de ellos, conservado por Ibn Sa’id».

أي «وأيَك الشاعر القرطبي مومن بن سعيد دَرَس على أبي تمام شعره، وأدخله إلى الأندلس وكان يشرحه لطلابه، ولو أن شروعه لم تكن بكامل الدقة إذا حكمنا عليها من خلال بعضها كما جاءت عند ابن سعيد».

والذي جاء عند ابن سعيد في المغرب هو النادرة المذكورة آنفأ. وأمثال هذه النادرة أمر معروف في حلقات الدروس ومجالس الإقراء والإملاء عند الأندلسيين، فقد حكى ابن سعيد أن الأستاذ التحوي الأديب هذيل الأشبيلي وصل إليه طالب متخللً لبقرأ عليه، فكان أول ما قرأ عليه بيت كثير:

حيتك عزة بعد الهجر وإنصرفت
فحبي وّيحُبَك من حيالك يا جملٌ

فصحّفه وقال: حتك عزة، فقال الشيخ: وكذلك بالله ترجع يا ولدي ولو قربت سنة فأضحك الحاضرين. وقال له يوماً: يا أستاذ، ما الكموح؟ فقال: وأين رأت هذه اللفظة؟ قال: في قول امرئ القيس:

وليل كموح البحر أُخي سُدُولٌ

فقال: نعم، الكموح: دويبة من دواب البر تحمل الكتب ولا تعلم ما فيها.

19
وكان يقرأ عليه طالب من البربر، جعد الشعر، قبيح الرجه، فوقف يوماً على: "فقل إن كان للرحمن ولدًا فانا..." فقال: لأي شيء والله، إلحن وجهك وطيب شعرك؟ عيسى ابن مريم لم يعلم لأصحابه ذلك كيف انت؟(31).

وقد ساك الأساتذة الداج في حلقة شعر المنتبي سؤالًا شبيهًا بسؤال تلميذ الأساتذة مؤمن فاجاب عنه بجواب لطيف فيه لذة النادة وإصابة المعنى، قال ابن سعيد أيضاً:

وكان أحد المتطلّبين الأعيان كثيراً ما يلزم مجلسه (الدجاج) لغرض كان له في بعض الأحيان ف вход على غفلة فروع الأساتذة رأسه وقال: ارجع إليه ما جاء اليوم، فدخل وعاد عليه، ومنه ذلك من مخالطة الصبي، ومضاربه، ثم لم يمر إلا أيام حتى قريء بمجلس الأساتذة قول المنتبي:

وقد طرقت فتنة الحي مرتدياً

بصاحب غيّر عزهه ولا غيل.


هكذا كانت حلقات الإقراء لشعر أبي تمّام والمتني في مساجد قرطبة وإشبيلية، وغيرها، ومن هذه الحلقات كان يتخرج الشعراء والكتاب والأدباء والعلماء بعد مسيل بن سعيد وفد على الأندلس أبو علي القالي، وكان ممّا جلب من الدواوين ديوان أبي تمّام، وقد أقرأ فيما أقرأ في حلقاته كبيرة في

المغرب 1: 266 والخصوص البنامة: 69 - 70.

(31) اختصار الفتحي المعنى: 155 تحقيق الآيادي.

(32) اختصار الفتحي المعنى: 155 تحقيق الآيادي.
جامع مدينة الزهراء الملكية، وحمل هذه الرواية أبو القاسم أحمد بن أبان ثم تلقفها أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الإفليجي فنشر سندها بواسطة تلاميذه، وكلهم ظهروا في عصر الطوارئ.

ولعل أشهر هؤلاء هو الأعلم الشعري أبي شارح أندلسي وصاحب أوعسح حلقة أدبية في مملكة بني عبد، ويذكر بعض تلاميذه بخصوص تدريسهم «الشعراء» أنه كان يسرّ في إقراة شعر أبي تمام في رمضان ويتوقف فيه عن تدريس شعر أبي الطيب، ولم يكتف الأعلم بالتفسير الشفوي وإنما شفع بالشرح المدون لكلا الشعرين، وإطلاق الشعرين هكذا كان عندهم ينصّف إلى شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب.

ومثل الأعلام نظره أبو مروان عبد الملك ابن سراج الذي قال فيه ابن بسام: «لم ير مثله قبله ولا يرى بعده».

ولدينا فكرة مجمولة عن حلقته القرطبة في «الشعراء»، فقد كان لا يقرأ من شعر أبي تمام في المجلس الواحد إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرأ من شعر أبي الطيب خمسة أبيات في المجلس.

وإذا كان الأعلام الشعري قد أدرك حظوة كبيرة عند بني عبد حتى غذا كما يقول ابن سام: «زعمت البلد، واستاد ولد المعتمد» فإن ابن سراج كان متكناً على عصبة قومه وأهل بلده، وكان بين الاستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج ما يكون بن فحلين في هجمة، وزعيمين من أمّه، فاتفق أن كتب ابن سراج إلى المعتمد بشطر بائي من بحر الوافر بمدحه.

(33) فهرسة ابن خير: 325.
(34) انظر رواية الأديب لابن لال الشريشي في الفصل الرابع من هذا الكتاب.
(35) انظر فهرسة ابن خير: 402.
(36) انظر ذخيرة ابن بسام م 2: 811 وترجمته في كتاب معاني ومطلع الألسن وصلاة ابن بشكوال والمغرب وإتباع الرواة وغيّة الوعاء والمديح المذهب، وخريطة الفصر.
(37) رواية الأديب لابن لال في الفصل الرابع من هذا الكتاب.
فيه، وكانه زعموا عرض بقرنه ومباريه، وأعلم بذلك الأعلم، فسمت عن جوابه وأحمجه(36) ووقعت بين الرجلين أيضاً خصومة حول الرسالة الرشيدية، ولعل في هذا كله صورة لما كان يقع في حلقيهما من خصومة حول شعر أبي تمام وغيره.

وثالث الفرسان من أصحاب ابن الأفيلي هو أبو تميم العز بن محمد بن بقية(37)، وهو عدوي مغربي استوطن قرطبة وأخذ عن ابن الأفيلي كثيراً من كتب اللغة والأدب، وكان حافظاً لهما متقاماً في معرفتهما، وقد أخذ الناس عنه في حلقته بقرطبة، ومن جملة ما أخذوا عنه شعر أبي تمام.

ومن تلاميذ ابن الأفيلي الذين رواوا عنه شعر أبي تمام أبو بكر خازم بن محمد بن خازم القرطبي، كان وافر الأدب وهو كان الأغلب عليه، وله تصريف في اللغة قول الشعر، وكان زميله أبو مروان ابن سراج المذكور آنفاً يتكلّم فيه ويضّعه، ولكن هذا لم يمنع الناس من الرواية عنه والسماع منه(38). ومن روئه عن شعر أبي تمام أبو الحسن علي ابن حنين السرداشي مستوطن فاس الذي بني بها مسجداً ودرس فيه ستة وستين سنة(39)، وقد استمر سند روايته عن شيخه خازم عن ابن الأفيلي مروياً حتى القرن الحادي عشر الهجري(40).

ومن حلقات شعر أبي تمام في غير قرطبة وإشبيلية على هذا المنه:

عهد الطواقيف - حلقة أبي الوليد ابن ضابط في بطليوس قال ابن الأبار:

(36) المذكرة في 2 م 1: 474 وانظر في المسألة الرشيدية أحكام صنعة الكلام: 68.
(38) ترجمته في الصلبة: 178.
(40) برنامج المنطوري وإجازة عبد القادر القاسي وكلاهما مخطوطة.
وقت على الأخذ عنه لشعر حبيب، وابن ضابط البطليوسي له "كتاب الأدب"، وقد تخرج من حلقته في بطليوس الشاعر الأديب ابن عبدون، وكان من المؤذنين الذين يرون المواهب الشعرية المبكرة، فمن ذلك أنه قال مرة يختره تلميذه النجيب المذكور ويدعوه إلى الاجازة:

الشعرُ خِطَّةٌ خَشْيَّة فَأَكْمِل قَالَ:

لكن طالب عرف
لشَيخٍ عَيْبٍ عَيْب
ولفَتىَ طَرْفٌ طَرْفٍ

وفي بطليوس كان محمد بن رزق الله أحد شراح شعر أبي تمام الذين

ستحدث عنهم بعد قليل.

وكانت في العصر لهذا العصر حلقته يدرس فيها الأديب أبو
الأصبغ عبد العزيز الجهني شعر الطائي، قال ابن الآبار "أخذ عنه الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس، وسمع منه شعر حبيب، قرأ ذلك بخط أبي جعفر". والوزير المذكور هو صاحب الأخبار الغريبة المذكورة في الذكرى

وغيرها.

وقد بلغت حلقات "الشعرين" ذروتها خلال القرنين السادس والسابع
في قرطبة والشبلية وبلنسية، فابن خير الفاسي الإشبيلي (ق 6) على سبيل
المثال يروي شعر أبي تمام من طرق ثلاثة أولها هكذا:

(41) تكملة ابن الآبار: 397 - 398.
(42) ترجمة عبد العزيز الجهني في الكتلة رقم 1737 وأخيه الوزير ابن عباس في الذكرى
والتبان والإحاطة وفتح الطبب وغيرها.

23
ابو تمام
↓
علي بن مهدي الكسري
↓
ابن درستويه
↓
أبو علي القالي
↓
أحمد بن أبان
↓
ابن الأفيلي
↓
عبد الملك بن سراج
↓
جعفر بن محمد بن مكي
↓
ابن خير
وثلاثها:

أبو تمام

علي بن مهدي الكسروي

ابن درستويه

أبو علي التاللي

أحمد بن أبان

ابن الأفيلي

العز بن بنت

أبو عبد الله ابن أبي الخصال

ابن خير (43)
ومن الحلقات الإشبيلية في هذا القرن السادس الهجري حلقة الأديب
التحوي الشاعر أبو العباس أحمد بن علي الإشبيلي المنبوذ باللص، لقبه
بذلك قريته الأديب الشاعر أبو بكر الأبيض في صغره لإ الغارته بزعمه على
الأشعار فغلب عليه، وهو يروي شعر أبي تمام حسب السند الآتي:

أبو تمام
↓
علي بن مهدي الكسروي
↓
ابن درستويه
↓
cالفالي
↓
أحمد بن أبان
↓
ابن الأفيلي
↓
الأعلم الشتتري
↓
ابن فندلة
↓
أبو العباس اللص

27
وقد ذكر ابن الأبار أنه «كان يقرأ عليه شعر أبي تمام حبيب بن أوس رحمه الله» (44) ومن رواه عنه أبو العباس الجراوي.

أما في القرن السابع فُعلَّ أشهر حلقة «الشجاعين» في قرطبة هي حلقة أبي جعفر الحميري الورّغي، «آخر من انتهى إليه علم الأدب بالأندلس». حسب عبارة عبد الواحد المراذكي الذي درس عليه وقال فيه: «ما رأيت أروى لشعر قديم ولا حديث ولا أذكر لحكايته تتعلق بادب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعة مستحسنة منه» (45).

وقد تخرج به كثير منهم ولده عصام عبد الواحد المراذكي مؤلف المعجب وأبو عبد الله الحميري الاستجي الذي سانتي الإشارة إليه في شراح المتنبي. ولم تكن طريقة هذا الشيخ تقتصر على ما يتعلق بشعر حبيب أو المتنبي وإنما كان يستمع في خلال ذلك إلى محاولات طلبه الشعرية مصلحاً تارة ومستحسنًا تارة أخرى. كما يبدو من قصة ولده عصام عبد الواحد المراذكي، وقال تلميذه وقربيه الحميري: «وكان على شاخته رحمه الله ثابت الذهن مقبل الخاطر حافظًا ممياً: يروع ركانة ويدوب ظرفاً» (46).

فما تدري أشبع أم غلام؟

تأتيه بمقاطع الشعر فصلحها لنا ورقيف على ما نستحسن منها نتوجه أثبت منا.

وفي هذا القرن السابع كانت حلقة أبي الربيع الكلاعي في بلنسية.

وقد درس في هذه الحلقة الأديبة شعر أبي تمام، ومن رواه على ذلك.

---

(44) ترجمته في التكمية: 80 والذيل والتكملة 1: وغي الوعاء 1: 444 ونفح الطب 4: 112 و 193 وما بعد، وراجع كذلك المغرب والمطر.
(45) المعجب: 300 - 304 ط. القاهرة 1949م.
الشَّيْخُ العُجَّاهُدُ الشَّهْيَدُ أَبِيْبَاءٌ كَبَارُ من طَبَقَةٍ أَبِيْ عُمْرَة المُخْزُومِي وَحَازُمُ القَرْطَائِيُّ وَأَبِنَ الْأَبَأْرَ، وَفِي مَا يَلِي سَنَدُهُ الْأَخِيَّ فِي شَعْرٍ أَبِيْبَاءٌ تَمَامُ رُوَايَةٍ عَنْ شَيْخِهِ الْكَلاْعِيُّ:

أَبُو ثَمَامٍ
↓
أَبُو الْيَسَرٍ
↓
عَطَامِيْنْ أَبِنُ الْصِّقْلِ
↓
غَالِبٌ بِنُ مُعْمُرٍ
↓
تَمَامٌ بِنُ غَالِبٍ
↓
حَاتِمٌ بِنُ مُحَمَّدٍ
↓
الخُوَالَانِيُّ
↓
مُحَمَّدٌ بِنُ زَرْقُونٍ
↓
أَبُو الْرَّيْبِ الْكَلاْعِيُّ
↓
ابن الأبأر(47)

واشتهرت بإشبيلية في هذا القرن حلقات متعددة كان يدرس فيها شعر

(47) التكمية: 174.
حبب، منها حلقات الدبّاج وأبي علي الشلويين وأبي بكر محمد بن طلحة الأموي، فأما الدبّاج فقد مرت الإشارة إلى حلهته، وأما الشلويين فكان معاصر الدبّاج ومنافسه، ولكنه فاقه شهرة، وكان فيما يذكر ابن سعيد - يدرس العربية وأدابها بلهجة أندلسية م沱ّرة عن أوضاع النحو تثير الضحك، وكان يحتد عند المناقشة فيخرج عن طوره قال ابن سعيد:

"واتفق له مع ابن الصابوني الشاعر الحكايته المشهورة، وذلك أن الشاعر المذكور كان يلقب بالحمار ويخاف من ذلك، بينما هو ذات يوم يقرأ عليه كتاب "الإيضاح" إذ مرت مسألة "السمن منوان بدرهم" وتشغّبت المذاكرة إلى أن أغتاظ الأستاذ عليه. فزحف إليه من صدر مجلسه وقال له: يا حمار، يا حمارين، وجعل يصعد هكذا شيئاً فشيئاً إلى أن قال له: يا ماتى ألف حمار! يا ملء الأرض حميراً؛ ثمّ جعل إصبعه في أذنيه ونهض وهو يزحف إليه، واجتمعت العامة على باب المسجد، وكانت حالة مضحكةً لقد كان هذا الأستاذ الشعبي ولد الخباز طويل اللسان ذا حكايات مضحكة، ولكنه كان في تدريس دراوس الشعر كدوران أبي تمام ودوران أبي الطيب وأمهات الأدب كالكامل وغيره "كالمعارض الصيغ"، أما تلميذاته المذكور فقد أصبح شاعر إشبيلية بل شاعر الأندلس الأول في عصره(48)، ومن أشهر تلاميذ الشلويين - وهم كثر - ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوطن سبعة، ويهما هنا أن نورد سنده في شعر أبي تمام رواية عن الشلويين:

(48) انظر فيما ذكرناه: اختصار القدح المعلى: 152 - 154 وكذلك ص 69 وما بعدها.
أبو تمام
↓
علي بن مهدي الكسروي
↓
ابن درستويه
↓
أبو علي القالي
↓
أحمد بن أبان
↓
ابن الإفليبي
↓
العز ابن بيقنة
↓
ابن أبي الخصال
↓
ابن مضاء
↓
الشلوبين
↓
ابن أبي الربع (48م)
وأما أبو بكر محمد بن طلحة الأموي فقد درّس العربية والآداب بإشبيلية أزيد من خمسين سنة، وممّا كان يدرّس في حلقته "شعر حبيب"
وممن رواه في هذه الحلقة أبو الحسن الريعي صاحب البرنامج المعروف.
والواقع أن قاعدة رواية شعر أبي تمّام ودراسته اتسعت في هذا القرن وما بعده، وطول أمر تبّعها في مختلف فروعها في الأندلس والمغرب، فلتكّفت بهذا القدر.
وقد تخرج بالشلوبين والدجاج وأبي الربع الكلاسيكي عدد من أهل الأدب أشهراًهم ابن سعيد العمراي وأبناء عميرة وأبناء الأرد وحامز القرطاجيني وأبو جعفر البلجي، ومن طريق هؤلاء ومعهم انتقل السند الأندلسي إلى بجاية في المغرب الأوسط، ومنها في المغرب الأدنى، وقد نصّ ابن خلدون في المقدمة على أن سند أهل أفريقيا الخفصة "متص لمشيحة الأندلس الذين أجزوا عند نقل التصاري على شرق الأندلس واستقرنا بتونس وعنهم أخذ ولادهم". وهكذا نجد الغرباني مؤلف عنوان الدراسة (ف. 7) يقرأ في بجاية على أبي عبد الله محمد بن الحسن القلمي، وقصائد مختارات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي، ونراه يشير إلى مجلس أبي الحجاج يوسف بن يخلف الجزائري (ق. 7) الذي كان يعرب فيه شعر حبيب والمتنبي.
وتمثل ذلك في بيئة أدبية جيدة في كلّ من تونس وبجاية خلال القرن السابع، وهي بيئة تميّزت باعتماد الأصول والتعلّق بالفحول مثل أبي تمام والمتنبي، يقول الغرباني:

(49) برنامج الريعي: 79 - 80 تحقيق إبراهيم شرحب.
(49م) مقدمة ابن خلدون: 1361 تحقيق د. علي عبد الواحد وافي. ط. 2.
(50) عنوان الدراسة: 40 المطبعة الثامنة 1910.
(51) المصدر نفسه: 47.

32
هذين الرجلين لعرفنا مستوى تأثرهما بطريقة شاعري العربية الكبيرة.

ونحن نلمح بالفعل شيئاً من تأثر القلعي ببناء القصيدة النمائية من خلال النموذجين اللذين أوردهما الغرني، ولا سيما قصيدته التي مطلعها:

الخبر أصدق في المرأى من الخَبَر
فمهد النذر، ليس العين كالأثر

فهي وإن كانت - على ما فهمت - معارضة لقصيدة ابن عبدون المشهورة:

الدهر يُفعج بعد العين بالأثر
فما بكاء؟ على الأشباح والصوّر
إلا أن المطلع من حيث بنيته بناء جملة الشعرية أوثق اتصالاً وأقرب
اِحْتِذَاء إلى مطلع المعوية:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

(52) المصدر نفسه: 43.
(53) المصدر نفسه: 42.
ويقول الغريري في القلمي المذكر: «وهو أكثر الناس شعراً، وقد شرع في تدوين شعره عام ثلاثين وستمائة، وهو في كل عام يقول منه ما يُكتب في ديوان وعاش بعد شروعه في تدوينه ثلاثاً وأربعين سنة، ولو تمّ له تدوينه لكان في مجلدات كثيرة ولكن بأيدي الناس منه كثير، وتواشيته حسنة جداً» 

هذا النص يؤكّد الآثار المزدوج التي كان للمشيخة الأندلسية في بجاية، وهذا السند الأندلسي الذي كان قوياً في تونس استمر موصولاً حتى القرن الثامن حيث نجد ابن خلدون بحفظ شعر حبيب وطائفة من شعر المتنبي بإشارة من شيخه أبي عبد الله محمد بن بحر إمام العربية والأدب بتونس 

وإذا كان سند أهل شرق الأندلس هو الغالب في إفريقية الحفصية فإن السند الذي روى بالمغرب الأقصى في «الشعرين» هو سند أهل إشبيلية وقد انتشر بواسطة القاضي عياس أولاً وهذه صورته:  

المصدر نفسه: 43

التعريف بابن خلدون: 17 تحقيق المرحوم محمد بن نايف الطنجي.
ابو تمام
↓
علي بن مهدي
↓
ابن درستويه
↓
ابو علي القالي
↓
أحمد بن أبان
↓
ابن الإفليزي
↓
الأعلم الشتتمري
↓
أبو الحسن علي بن الأخصر
↓
عياض (⁵⁶)

(⁵⁶) الغنية: 178 تحقيق ماهر جرار.
ثم انتشر بعد ذلك بواسطة سند ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوعن إشبيلية وأضرابه، وقد مر ذكره.

وليس معنى هذه الآسانيذ التي وقفتا علينا عند بعض المغالبة أن شعر أبي تمام لم يعرف في بلاد المغرب إلا في عصر المرابطين وما بعده، إذ إن الأخبار والأشارات تدل على أنه عرف قبل ذلك بكثير، فقد رحل الشاعر بكر بن حماد الناهري إلى الشرق واجتمع في العراق بأبي تمام وطبه وسماء في أبيات يحرص فيها المختصم على دلع الخزاعي يقول فيها:

أيِّهَجُو أميرُ المؤمنين ورهسطا

ويمشي على الأرض العريضة دعيلٌ

إلى أن يقول:

وعائتني فيه حبيب وقائل لي

لسائد محذور وسمك يقتلُ

ولا بد أن بكر بن حماد كان من أوائل من أشاعوا شعر أبي تمام في البيات الأدبية المغربية، كما عرفت القوران وشعراؤها أبا تمام في وقت مبكر بواسطة كل من أبي اليسر الرياضي وأبي علي القالي اللذين أفكا فتره بالقوران قبل أن ينتقلوا إلى الأندلس، وقد ظهر أكثر شعر أبي تمام في شعر عدد من شعراء القوران كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وكان شعر أبي تمام معروفاً في المغرب الأقصى منذ أواخر العهد الإدريسي حتى في بيوت كانت تسود فيها اللغة الأمازيغية، وقد ورد الاستشهاد به في رسالة لموسى بن أبي العافية وجهها إلى عبد الرحمن الناصر، وجاء فيها من وصف وقعة بين ابن أبي العافية والعبديين ما يلي:

وجالت الخيل بينهما وبينهم جولة أخطأ فيها الحكيم حكمته وأضل فيها.


(58) فهرسة ابن خير: 395.
العاشق سمته، كما قال حبيب بن أوس الطائي:

في ساعةً لو أن لُقمناً بها
وهو الحكيم لكان غير حكيم» (59)

إن الأسانيد الأشبهية وغيرها في شعر أبي تمام هي التي حملها أعلام
الأدب في مملكة غرناطة حيث ظل الشفوف مؤلفًا على أبي تمام والمتني
برغم محاولة البعض اللحاق بهم، يقول إبراهيم الساحلي الملقب
بالطريجني في وصف قصيدة له:

وقف ابن أوس دونها وتضحت
في نسي حالتها أكف البحتري (60)

ويقول ابن الخطيب السلماني:

ولو نشر الطائي يوم إجتالتاه
لجللَه من أجل إشارها غمًّ (61)

ويتوضّع فيقول مورياً:

«متنبي، أنا في حلي تلك العليل
لكن شعري فيه شعر حبيب»
والطبع فحلٌ والقريحة حرة
فاءبه بين نجيبه ونجيب (62)

ومن الأسانيد التي وقفت عليها في آخر هذا العصر سند أبي عبدالله
محمد بن عبد الملك المستوري آخر مسندي الأندلس في هذا الباب
ت (834هـ) وهذا رسم سنده:

(59) المقتبس 5 : 372.
(60) انظر ترجمته وبعض أشعاره في الإحاطة والنفح والكتيبة الكاملة وغيرها.
(61) من ميماه له طويلة وردت في بعية الرواد 2 ص 300 وما بعدها.
(62) من مذهبته الباليه الطويلة في نفح الطيب 6 : 459.
أبو تمام
↓
الكسروي (علي بن مهدي)
↓
ابن درستويه
↓
القالي (أبو علي)
↓
أحمد بن أبان بن سيد
↓
الإفيلي
↓
حازم بن محمد
↓
علي بن حنين
↓
أحمد بن بقى
↓
ابن أبي الأحوص (الحسين)
↓
علي بن سليمان
↓
ابن منظور (محمد بن محمد)
↓
المنتوري

(63) برنامج المنتوري. مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط.

38
وقد عاش هذا السند في المغرب حتى أواخر القرن الحادي عشر حيث نجده عند عبد القادر الفاسي (64).

3 - ومن الطبيعي أن تؤدي حركة رواية شعر أبي تمام وتدريسه إلى وضع شروح عليه، وهذا هو المستوى الثالث للعناية بأبي تمام في الأندلس، ولعل أقدم هذه الشروح هو شرح أبي العباس وليد الطبيخي (ت 352) الذي وصل إلينا شرحه لشعر مسلم بن الوليد، وقد ضاع مع الأسقف شرحه لشعر أبي تمام، وهو شرح «أخذه عنه الناس» كما يقول ابن الفرضي (65)، وإذا كان هذا الشرح مفقودا فإن ما بقي من شرحه لشعر مسلم يعطينا فكرة عن طريقته في الشرح وهي طريقة تميز بوضوح المعنى وتقريبه إلى مختلف المستويات، وهذه كانت طريقة أيضا في الإقراء والتدريس قال الزيدي: «وكان بصيرا بمعنى الشعر حسن التلقين لمن تبلى فهمه عنها وكان يقر رواية ويضرب الأمثال فيها حتى يعلو بذلك» (66) وهذا يدل على مهارة في الطريقة وتمكّن في المادة، وحوالي التاريخ الذي ألف فيه الطبيخي شرحه في الأندلس ظهر في المشرق شرح معاصره الصولي، ونظر أن الشعر الذي شرحه الطبيخي هو الذي كان أمر باستخذه عبد الرحمن الناصر.

وشرح شعر أبي تمام في القرن الخامس الهجري أبو الحجاج يوسف ابن سليمان الملقب بالأعلم الشنيري، وهو معروف بشروحك المتعددة لعدد من المتون الشعرية والأدبية والتحويانية، قال القفطي في إبان الرواة: «وكأن حافظاً للأشعار قاماً عليها، عظم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي

(64) فهرس عبد القادر الفاسي المعروف بالإجازة، وهي التي عرف بالرجال المذكورين فيها باللغة الفرنسية المرحوم محمد بن أبي شنب.
(65) تاريخ العلماء 2: 159.
(66) الطبقات: 329.
الطبيب المتلمذ الكبير العناية بها خاصة(66) لقد ذكر الأعلم شرحة في شعر أبي تمام عند سرد مؤلفاته في مقدمة شرح حماسته(67)، وروى القاضي عباس هذا الشرح عن أبي الحسن علي ابن الأخضر الإشبيلي تلميذ الأعلم وذكره من مروياته عنه في فهرسته المعروفة بالغنية(68)، ولم نقف على أي ذكر له بعد ذلك في المغان التي رجعنا إليها.

ومن حسن الحظ أتينا اهتمينا إلى نسخة من هذا الشرح في خزانة القرويين تحت رقم 1839 كانت منسوبة إلى غير مؤلفها وهي نسخة تقع فيسفر كبير غير محبوكة، وهي في وضعها المحفوظ في الخزانة مخملتة الأوراق مشوشة الترقيم وقد أخذت لي صورة منها على هذه الحال، والورقة الأخيرة توجد في الوسط رقم 171 ونقرأ فيها ما نصه: «تم السفر بتمام جميع شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي شرح الأستاذ التحوي الأديب اللغوي أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى رحمه الله، وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر صفر عام ثلاثة وثمانين وثمانمائة» وقد اجتهذنا في ترتيب أوراقها المختلطة فتبين لنا أنها تامة تقريباً ولا ينقصها إلا ورقان أو ثلاثة من الأول، كما قُمنا بضبطها وتحقيقها، وسنقدمها للطبع قريباً بذل الله رعاءها وكثرة التحريف والتصحيف فيها.

ويبدو مما ذكرنا أن هذا الشرح لم يشرح وينشر بل بقية شروح الأعلم، ولذلك لم يذكر في تراجمه، ولم يرد في كتاب الطرون وشبه، ولعل الخطب البيري وقف عليه ولم يسمعه، فهو يقول معدداً مصادره في شرح شعر أبي تمام ما نصه: «هدي وقع إلي مما روي عن أبي علي

(66) إدنا الرواة 1: 183.
(67) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 101.
(68) الغنية: 178 وبغية الوعاة 2: 174 نقلاً عن الغنية.
المعروف بالقالي وغيره من شيوخ المغرب(68).

وتدل القراءة السريعة لهذا الشرح على أن الأعلام الشتامري قصد فيه على ما يبدو إلى تقريب شعر أبي تمام من عامة الطلاب ولهذا اقتصر على حل الأبيات بأوجز عبارة، والتختصار هو السمة الغالبة على هذا الشرح، فهو يخلو تمامًا من الشواهد التي بلجأ إليها الشتامري في شروجه الأخرى، كما يخلو من ذكر الروايات وسرد الأقوال على نحو ما نجد في شرح ترتيب الحماسة وشرح شواهد الكتاب، وله الأعلام أشار في المقدمة أو النيابة المبتورة إلى طريقته في هذا الشرح، وإذا كنا نجد نشأ في شرح شعراً صفا من ديوان المتنبي إلى بعض الشراح الذين سبقوه فإنه في شرجه هذا لا يذكر أحدًا من شراح أبي تمام قبله كالطيبي أو الصولي مثلًا.

على أن للأعلام منهجًا عامًا في شروجه أشار إليه في مقدمات شروجه، ومنها مقدمة شرح الأشعار ستة قال: ولن أظل في ذلك إطالة تخل بالفائدة، وفي الملمس للحقيقة، فإني رأيت أكثر من أفراد في شروج هذه الأشعار قد تحدثوا عن كشف المعاني وتبين الأغراض بجلب الروايات والتوثيق على الاختلافات والتفصيل لجميع ما حزنه اللطفة الغريبة من المعاني المختلفة حتى إن كتبهم خالياً من أكثر المعاني المحتاج إليها ومستحيلة على الألفاظ والرواية المستنبط عنها(69) وهذا هو المنهج الذي اتبعته في شرح شعر أبي تمام أما الشكر الذي شرحه فهو ما اشتملت عليه النسخة الأندلسية التي رواها أبو علي القلبي وأكملها ابن الإفليهي شيخ الأعلام، وقد سار في الشرح حسب ترتيب القصائد في هذه النسخة العتيقة.

(68) مقدمة شرح الثريري. وكشف الظنون.
(69) مقدمة شرح الأشعار ستة.
وعل من المفيد أن ندرج هنا شرحه لإحدى القصائد كمثال تام لطريقتها في الشعر، ولتكن القصيدة الآتيّة:

"وقال يمدح يحيى بن ثابت ثم ضَبِّرَها في محمد بن حسان:

1- قدّك أطْبَ أَزْيَتَ في الخُلْوَاءِ
كَمْ تُعَذِّلُونَ وأَنْتُمُ سُجَرِائِي

معنى "قدّك حسبك، ومعناها أكثَف عَمَّا أنت فيه، ومعنِي أطبَ أزْيَتَ في الخُلْوَاءِ ـ وهو من الإية والتثبت، وهو كلما يستحق فيه، ومعنى أطبَ" زدت، وأصله من البراء، والخلاو درج تجاوز في الغلو، والسَّجَراء جمع سجزر وهو الصديق المخلو محبة، وأصله من البحر المسوجر.

يقول لعذاله على البكاء: أكثَف عن عذالي واستحلي مَنْي فقد زدت في غلواء ذلك؛ ثم رجع من خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة فقال:

كَمْ تُعَذِّلُونَ وأَنْتُمُ أَصْحَابِيٌ وَأَخَوِيٌ هَلَّ سَاعَدِمُونِ كَمَا يُسَاعِدُ السَّجِرِ سجزره ولم يقطعوني ملاما.

2- لا تَسْقِيني ماء الٍحلام فإني صَبّ قد استذِبَتُ ماء بِكَائِي

رجع إلى خطاب عذاله وحده، يقول: لا تلميني على البكاء فإني لا أصغي إلى قولك ولا أقبل نصحك لأني مستحل للبكاء مستذبن لمائم ولى ذكر ماء البكاء جعل للحلماء ماء استعارة وفتلة.

3- ومعرَس للغيب تَحْفِق بعَدُه
رايات كل دُجَّنَة وطفاء
معرض ً موضوع نزول المسافر في آخر الليل ليستريح. فاستعده للغيب لنزوله فيه، والواضحة، البنود، واللج타ج، السحابة المظلمة المطبقة للسماء، واللاهوة، الدانية من الأراضي التي تراها كان لها خلأ متصل، بالأرض، والعين، الوطفة الكثيرة شعر الشفر.

يصف روضة لازمها الغيظ فنفقت فيها راياته، وهذا مثل وحيته أنه أراد كثرة المطر، وتحتم أن يريد بالواضحة البروق.

3- نشرت حدائقه فصرن مالفناً

لطرائف الأنواء والأنداد

يقول: نشرت هذه الدجنة، حدائق ذلك المعرض، فصارت حدائق مواضع تألفها طرائف الأمطار، وطرائفها: ما أنتبه في الحدائق من ضروب النبات وأصناف الزهر، ومعنى ″نشرت حدائقه″ أظهرت بهجة رياضه.

4- فسقاً مسك الطل كافور الصبا وانحل فيه خيط كل سماء

5- عنى الربع بروحه فكانهما أهدي إلله الوعي من صنعه

يقول: عنى الربع بروح هذا المعرض وأكمل نبيه ونوره فكانهما أهدي إليه وشي صناعانيا وهو من أفضل الوعي.

7- صبحته بسلامليف صبحتها بسلامة الخلطة والنذمة

سلامة الخمر خالصها وما سال منها دون عصر. يقول: أتبت هذا.
المصرس صباحا سلافة خمر صبيحتها للشرب سلافة من الخلطاء والنبداء
أي ما خلص منهم والذين هم في الإخوان كالسلافة في الخمر.

8- بمدامة تغدو المنى لكوكسها
خواً على السراة والضراة

المدامة: الخمر التي أدمت في ذنها حتى عنتت، والخول:
الأعوان. يقول: صبحت المصرس بمدامة ساعفة المنى كوكسها فتعينها
على الزيادة في السراة وعلى إدهاب الضراء.

9- راح إذا ما الراح كن مطية
كانت مطابا الشوق في الأحشاء

الراح الأولى الخمر والراح الثانية جمع راحة: الكف. يقول: إذا
حملت هذه الراح التي هي الخمر على راح الأكف إلى أقرام [مولعين]
بالشراب حملت الشرق والهوى إلى أحسائهم، فأتهمهم ملي للخمر والخمر
مطية للشرق تحمله حتى يحل في الأحشاء.

10- عنيبزة ذهبية سيكت لها
ذهب المعاني صاغة الشعراء

يقول: هي من أفضل الخمر لأنها عنيبة الأصل ذهبية اللون فالشعراء
تسباق في وصفها فنسبك لها من المعاني ما هو شبيه بالذهب في حسنه.

11- صعيبت وراض المرج سواء خلقها
فتعلمت من خس نخل الماء

يقول: كانت هذه الخمر قوية شديدة صعبة فلما مزجت بالماء راضها
المجز ولين شدتها وأحسن خلقها حتى صارت أهذة من حسن خلق الماء
ولينه.
12- خرقة يلعب بالعقل للحيان
كتلاع الفعل بالاسماء

إذا جعل الخمر خرقاء لأن شاربه يخرج فنسب ذلك إليها لأ أنها
سبب الخرق، ثم قال: هي مع خرقها تلعب بالعقل وتصرفها على
حكمها كما تصرف الأفعال الأسماء من نصب إلى رفع ومن رفع إلى
نصب؛ والحجاب: طرازها إذا مزجت بالماء، وجعل العقل للحجاب لأن
حجابها منها فعله من فعلها.

13- وضعيفة فإذا أصابت فرضية
قتلت كذلك قدرة الضعفاء

يقول: الخمر مع قوة جوهرها ضعيفة لا تبتلع، فإذا أكثر منها
وجدت بذلك فرضية فتبشت بشارها فصرعه سكران كالقلب، وكذلك
الضعف أبداً إذا وجد فرضية انتهزها وتبث بصاحبه ولم يستبق شيئاً من
جهده وطاقته لأنه قد علم أنه مائى أبقى على صاحبه عطف عليه فلم
يقاوم، وهذا كقول جرير:

بصراً تذكيرنا يا الله حتى لا حراك له
وهي أضعف خلق الله إنسانا

14- جهيميَّة الواصل فإن أنهم
قد لقبوها جوهر الأشياء

مذهب جهيم ألا تثبت صفة للباريء سبحانه من الصفات التي يقع
فيها الاشتراك فيوصف بها المخلوقون كقولنا عالم وراحم تقول الجهمية: لا
نقول الله عالماً إنما نقول الله ليس بباهل فنفي عنه ضد هذه الصفة التي
تكون للمخلوق ولا نقول عالماً لأن هذه الصفة تكون للمخلوق فكان شبهنا الله
تعالى غيره حيث وصفنا كا يوصف غيره وكذلك يفعلون في سائر الصفات.
يقول أبو تمام: هذه الخمْر لا تنظير لها فهي لا توصف بما يوصف به غيرها ولكن يتيح عنها أضداد الصفات كما فعل جهم في صفات الباء جَلِّ وقع، ثم قال إلا أنهم يلقَبونها بلقب تنفرد به لا يشركون غيرها فيه وذلك اللقب أن يقال: هي جوهر الأشياء، فإذا كانت جوهر الأشياء والأشياء كلها أعراض فقد أفردت بلقب لا يكون لغيرها لأن اسم الجوهر لا يقع على العرض كما أن قولنا: إله وخلائق لا يقع لغير الله تعالى وهذا مما يشبه جهم فإذا سميت الخمار جوهرًا فسائر الأشياء أعراض، والجوهر أفضل من الأعراض، والخمر إذن أفضل الأشياء.

وكان بهجتها وهجة كأنها نارٌ ونورٌ قدًا بوعاء

يقول: كان شعاع هذه الخمار وهجرتها وشعاع كأسها وهجرته حين اجتماعا فقيدا بوعاء واحد، فشبك الخمار بالنار لحمته وشبه الكأس بنور الشمس أو غيرها من النورات لبياضها.

أو درة بيضاء بكر أطِبِقت

جلَّا على ياقوتة حمراء

شبه الكأس لبياضها بدرة بكر وهي التي لم تتفق وذلك أصفى لها وأشد لبياضها وجعل الخمار في جوف الكأس كفاقوتة قد حملت بها هذه الكأس التي هي كالدرة وأطِبِقت عليها كما تطوق على حملها، وقد مثّلت ما شاء في قوله: بكر؛ ثم قال أطِبِقت جبلًا والبكر لا تحجب البنت ما دامت بكرًا.

مسافة كمسافة الهجَّر التَّنْقَتْ

في صدر باقي الحزَن والبرحاء

يقول: ربّ مسافة قطعتها وهي في الصعود والشدة على النفس

46
والبعد بمنزلة مسافة الهجر عند العاشق المهجر.

18 - بيد لنسل الرَّيح في إميلدها ما شئت من عدو ومن عدواً

البيد جمع يبدأ وهي القفر ونسل الرَّيح: الإبل، ويقال إنها خُلقت من الريح والعدو شدة السير، والعدو: مشتهه على النفس وعدوانه عليها، والعدو أيضاً البعد والإملام الأمل الذي لا شيء فيه، يقول: تلك المسافة في قفار للإبل في مستويها وأملها ما شئت من شدة العدو وعدوانه.

19 - مرَّتُ ثوبٌ عكوبها بركوبها
والنار تنبع من حُصى المَعْزَاء

يقول: قطعت هذه المسافة ومزقت ثوب غبارها الذي تثيره الإبل لشدة سيرها بركوب هذه المسافة وكان قطعي لها في الهجرة وشدة الحر، والنار تنبع وتتبث من حصى المعزاء لشدة حمي الشمس عليها، والمزعاء الأرض الصلبة ذات الحصى والعكوب: الغبار.

20 - بأبي محمد امتحنت قصائدي ورفعت لمستنشذدين لؤلؤي

يحيى بن ثابت الذي سن النّدى وحوى المكارم من حياة وخيال

يقول: أول ما رضت نفسي وامتحنت شعري في هذا الرجل فهو أول من مدحته حتى عرفت بالشعر فلما عرفت به وشهرت كنت كمن رفع لواءه فشهر موضعه فصدقني الناس يستنشذدوني فأنشذتتهم... 

وإلى ابن حسان اغتدت بي همة وقفت عليه خلتني وإخائي
يا غاية الأدباء والظرفاء بل
يا سيد الشعراء والخطباء
يقول: أفضت بي همة إلى ابن حسان فوقعته عليه صداقتي وأخوتي
فانها لا أمَّ غيره ولا أعتمَد سواه.
عرفت بكل الآداب مجملة كمَا
عرفت قريش الله بالبَطحاءِ
يقول: الآداب مجملة لا يشذ منها شيء عليك، كما أن قريشاً
جميعهم في مكة وبطحائها لا يعرون من الأرض غيرها، وإنما أضاف
قريشاً إلى الله تعالى لأنهم كانوا خدمة البيت الحرام ووجوده.
سأويتهم أدباً وجودك شاهده
بل حلَّف أن لستم بِسواه
يقول: ساويت الأدباء والظرفاء والشعراء والخطباء في الأدب وفضلتهم
بالجود والكرم وجودك شاهد بل حالف أنك أفضلهم.
بخلائهم اسكتها خلِّد النَّدي
فجهدته منها جهد كان بلاء
أي فضلتهم بخلاقي من الجود والكرم اسكتها نفس الري وإنما
يعني نفس الممدوح فجهدته من تلك الخلاقي كل جهد وأسكت نفسك
منها كل ندى.
لم يبق ذو غدر لرب ململةٍ
إلا وقد ألمَّ بِجَمَتهُ بوفاء
يقول: كلما غدرت ململات الزمان، وخان ريبها الإنسان شغلتها
بالوفاء والمشاركة حتى لم يبق لها فم إلا وهو ملجم بوفائه ويكون أيضاً أن
الزمان كان غادراً فتعلم الوفاء من هذا المตนเอง
وإذا تجاجرت الخطوب قريتها
رأياً يفل مضارب الأعداء

يلع: إذا اختفت الأموار وأشكلت صبرت لها رأيك قري أي قابلها
رأي نافذ يفل حد العدو ويرد كيده والمضارب جمع مضرب وهو حد
السيف.

رأي لو استقيتُ ماء نصيحةً
لجعلنه أرضاً من الأرائها
الأري: العسل، والأرائها جمع رأي; يقول: أرى كالماء في حلاوة
موقعه من النفس والمشافي به، فلما كانت النصيحة ماء يستقي لظنت رأي
هذا الرجل - إذا استقيته إياه مستنحاً - عسلاً من آراء.

لما رأيتُ قد غذوت مودتي
بالبشر واستحست وجه ثنائي
انبطت في قلب لي رأيك مشرعاً
ظلت تحوم عليه طير رجائي
جعل البشر غذاء للمودة لأنه يؤكدها ويبحم صاحب المودة على
الرغبة في المودة وإضعاف مودته له، وعنى انبطت استعجت، والمعرض
الموده من الماء. يقول: لما قابلتني بالبشر واستحست ثنائي عليك ووعدتي
بالجمال من الفعل جعلت في قلبي موداً من أجل وأبك، واللى: الوعد،
فظلت طير رجائي تحوم على ذلك الموده، وهذا مثل وإنا يريد تمكن
الرجال من قلبه.

فتويت جاراً للحضيض وهمتيا
قد طوقت بكواكب الجروحاء
الحضيض أسفل الجبل؛ يقول: قد بسطت رجائي ومکتنه حتى سمت همتي إلى السماء فطوقت بکواكب الجوزاء، أي صارت لها كالطرق فانا وان كنت في الأرض فهمتي في السماء.

إيه فدتك مغارسي ومنابتی اطرفُ غناءك في بحور عنائي يسر لقولك مهر فنعلك إنك تشرفاني انتضاش صنيعةٍ عذراء

قوله: إيه أي زدنا من عاداتك الكريمة ونعمك الجزيلة، فدتك مغارسي أي أصولي من آبائي وأجدادي، ومنباتي أي فروعي وأبنائي وأطرح غناءك أي نفعك وما أرجوه من نيلك، في بحور عنائي أي في كثرة عنائي، وضرب البحور مثلًا للكثرة ثم قال مقتضيًا لعدته: يسر لقولك مهر فعلك أي تتم البذة بالانجاز والقول بالفعل مما يتم النكاح بالمهر فإن قولك ينوي مثك لي صناعةً بكرأ لم تسبق إلى مثلها يغفثها كما تفضح الجوارة البكر، وهذا كله مثل واستعارة.

ومن هذا المثال يتبين ما ذكرناه من إقتصان الأعلم على ما يقرب المعنى، وإعراضه عن الروايات المختلفة، وتجنبه للإطالة إلا ما كان من بسطه بعض الشيء شرح بيت الجهمية، كما أن الشاهد الذي أورده وهو بيت عمر بن أبي ربيعة - بعد من قبيل النادر الذي يقع له في هذا الشرح وبمقلة شرحه لهذه القصيدة مع شرح التبريزي ندرك جملة من الفروق، منها استقلال الأعلم واعتماده على نفسه، بينما التبريزي يرجع إلى المعرفي والصوفي والمرزوقي وغيرهم من شراح أبي تمام.

ولعل أبرز الفروق بين الشحين يتمثل في اختلاف الرواية، وترتيب القصائد والأبيات أحيانًا، مع اختلاف الألفاظ أحيانًا، وقد أشرنا آنها إلى أن الأعلم وضع شرحه على النسخة التي شاعت في الأندلس والمغرب، وهي
رواية أبي علي القالي، وليس لها ترتيب معين، وإنما جمعت فيها قصائد
أبي تمام منقولة من الفراغس التي كتبها الشاعر بخط يده، وأولى هذه
النسخة القصيدة التي مطلعها:

عسى وطن يدنو بهم ولعَّلما
 وإن تعب الأيام فهم فربما

وآخرها شعره في هجاء عياش بن لحية بعد موتته:

لا سقيت أطلالك الدائرة
ولا أنقضت عشرتك العائرة

وتوجد من رواية القالي هذه كم أسلفنا نسخ مخطوطة في
الأسكرى والخزانة الحسنية بالرباط وفي آخرها وثيقة ذكرنا نصها فيما
سالف وثبت صورتها في آخر هذا الفصل.

وفي أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس قام الأديب
البطليوي محمد بن رزق الله الأموي باختصار شرح الطيبخي، وقد تحدث
عن هذا الاختصار ابن الأبار فقال: «ولي في شرح شعر حبيب بن أسس
للطيبخي اختصاراً أفاده وأضاف إليه من غيره ما دل على مكانة من النباحة
رحمه الله»(69) وقال ابن عبد الملك المراكشي: «واختصر شرح الطيبخي
شعر حبيب اختصاراً جسناً، وأضاف إليه فوائد شهدت بنبله وسعه
معرفته»(70) ويستفاد من هذا الكلام أن شرح الطيبخي كان مطلقاً، وأن
شرح ابن رزق الله جمع بين شرح الطيبخي وشرح غيره، وقد يكون
المقصود بها شرح الصولي وشرح الأعلم وغيرها، وهذا الشرح مفقود
اليوم، ولذلك فإنا لا نعرف نوع الفوائد التي أشار إليها ابن عبد الملك،

(69) التكملة. 417
(70) الدليل والتكملة. 6: 199.
لقد كان ابن رزق الله أديباً ماهرًا وكان تلميذاً ملزماً للشافعي الكبير أبي بكر عاصم بن أبي البطليسي معاصر الأعلام ونظيره في شرح النصوص الأدبية.

4- وعلى مستوى النقد الأدبي عرفت الأندلس وبلدان المغرب شيئاً من الحركة النقدية حول أبي تمام وانتهى إليها بعض ذلك الصراع الأدبي الذي ظهر في الشرق حول الطائيين، فكان لأبي تمام في الأندلس أنصاره، وتلخص أن تعد بنهم أولئك الذين عنا بنشر شعره وشرحه من أمثال عثمان بن المثنى ومؤمن بن سعيد وأبي عبدالله الغرابي وأبي عبدالله ابن الأصفر وغيرهم، وكان للبحتري متصبَّون له، ومنهم عمر بن يوسف الحيطي (ت 338هـ) قال الزبيدي: "كان من أهل العلم بمعاني الشعر، خسن التكلم فيه، وكان يتعصب للبحتري". (71) وهو شاعر مدفع الناصر الأموي بحماية قادسية، ولا بد أن تعصب للبحتري جعله ينهج نهجه في الاستمرال مع الطبع والإبداع عن الصنعة وهذا ما يفيده قول الزبيدي: "وكان شاعراً مطوعًا مجدداً". (72) ويبدو أن شعراء إشبيلية وغرب الأندلس كانوا في الغالب من أنصار البحتري وعلى مذهب، قال ابن بشام في الذخيرة "وطرقته في الشعر الطريقة المثلى التي هي طريقة البحتري في السلاسة والمثابرة والذوقية والرقصة". (73) وقد ذكر الزبيدي جماعة من شعراء إشبيلية في مطلع القرن الرابع ووصفهم بأنهم كانوا شعراء مطبوعين. (74)


(72) الطبقات: 330

(73) الدخيرة ق. 2 م. 1: 12.

(74) الطبقات: 301، 316، 332، 333.

52
متفاوتة في التصبيح والمصنوع من الشعر، وأشار إلى مؤسس المصنوع صاحب الحلويات، واعتبر أبا تمّام زعيم الصنعة، ووزن بينه وبين الباحتي فقال: «وقد كانا يطلبان الصنعة وويلمان بها، فأمام حبيب فيذهب إلى حزونة اللطف وما يبلى الأسماع منه مع التصبيح المحكم طوعاً وكرهاً، يأتي للأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقروة، وأما الباحتي فكان أصلح صنعة، وأحسن مذهبًا في الكلام، يسلك مهنة دامت وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخوذ لا تظهر عليه كفالة ولا مشقة، وظهر من كلامه أنه يتوسّع في مفهوم الصنعة ولا يخلي شعر الباحتي من فقر محمود منها، ووازن أيضًا بين أبي تمّام ومسلم فقال: «غير أنا لا نجد المجتدي في طلب التصبيح ومزاولة الكلام أكثر اتّفاعًا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيها من الفضيلة لمبتغيها ولأنهما طرفاً إلى الصنعة ومعرفتها طريقةً سابلاً وأكثر منها في أشعارهما تكثيرًا سهلها عند الناس وجُرحهم عليها على أن مسلماً أسهل شرعاً من حبيب وأقلّ تكلفًا» إن اهتمام ابن حبيب بأبي تمّام في العمدة لأيديائه إلا اهتمامه بالمتنبي كما سنرى في الفصل القادم، فقد وقف طويلاً عند صنعته وتكّلبه وإباحته بالمعنى وعدم مبالاته باللفظ، وقاعد بجهارة ابتدائه وفائحته وروعة وأبرهه، وساق أمثلة من ابتدائه ومالهه، وذكر إجادته في الرثاء، وضعفه في الغزل، وتبريه في القصائد، وتقصيته في القول، وانتقدته حينًا ودافع عنه حينًا، وثبت على اعتماده طريقة التصبيح في صناعة قصائده، أي أنه كان ينبض القافية للبيت لعلّ الأعجاز بالصدور.

وأما ابن شرف القيرواني فيدعو من مقاماته الانتقائية أنه كان يفضل الباحتي على أبي تمّام قال في الباحتي: «وأنا الباحتي فلنقطع ماء ثجّاج،
ودُر رجراج، ومعناه سراج وهاج، على أهدى منهاج، يسبقه شعره، إلى ما يجسِّب به صدروه، يسير مراداً، ولين قيامة، إن شَرَبَى أوراك، وإن قدحته أوراك، طُعِّب لا تكُلَّف يعيبه، ولا العنان يعنبه، لا يملُّ كثيره، ولا يستكفت غزيرةً، لم يُهِبَّ أٌيام الحلم، ولم يُصَفَّ زمن الدهر، وقال في أبي تنام:

"وأما الطائي حبيب، فمكَلَّفَ إلا أنه يصبيب، وتمبَّع له من الراحة نصيب، وشغله المتابعة والتجليس، حِبَّاً ذلك أو بس، جزَّل المعاني مرصوص العباني، مدحه ورثاؤه، لا غزله وهجاوه، طرفاً نقيض، وحدثاً سماً وحضيض، وفي شعره علم جم من النسب، وجميلة وافرةً من أيام العرب، وطارت له أمثال، وحظفت له أقوال، ودبوانه مقورو، وشعره متلوئ(75) وقد أورد البديعى هذين القولين وعقب عليهما بقوله: "والذي يشعر به كلام ابن شرف تقديم البَحَّرِي(76) وهذا استنتاج صحيح وواضح، أما ابن بسام فقد ذهب إلى أن ابن شرف كان منصفاً في حكمة على أبي تنام وقال: "أما صدقته هذه لأبي تنام فصفته لم يبن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية، حتى لو سمعها حبيب لاتخذها قبلاً، واعتمدها مَلْةً، فما آلمَ من أشبه وإن أروع، ولا سِبَّ من صدق وإن أتَّذَع(77) وهذا كلام يناقض آخره ارْبَأْلَهَ وبِكُفَّفٍ عن رأى ابن بسام في أبي تنام ويخرج كلام ابن شرف من مقام التلميح إلى مقام التصريح.

وقد نسج أبو الطاهر السرقطي في القرن السادس عشر من موال ابن شرف فألَّف مقامة في الشعراء وهي الموقعة ثلاثين من مقاماتهم النزوية، وفي هذه المقامة نجد أيضاً محاكمة لأبي تنام والبحري جاءت كسابقتها لصالح البَحَّرِي قال على لسان بطل مقاماته السائب بن تنام محاوراً صاحبه الشيخ الطائي حبيب: "قلت فالطائي الأكبر فقال: نعم ما صنع وحْي، ويش

(75) الذكرى فمن 4 م 1: 206 - 207.
(76) الصحيح من 4 م 1: 206.
(77) الصحيح من 4 م 1: 207.
ما أصح عن المعاني وعبر، حتى أذن في شعر وكتب، ومن التحسين والتزييد، ما يزرن بالمبرز المجيد، وقد أبي الناس إلا تقديمه، وإن مروا بالنقد أديهم، ومن ذا الذي يخلص على الأنتقاد، أو يسلم من الضنين والأحادق، أبو تمام حبيب بن أوس، يعدو عدو الآفس، ويبدو بكل نائل جزل أوس، ويبدو أعظار الكلام أي دوس، ويسير من الفصاحية بين عامر ودوس، إنه للهدى المعيين، والنجد المعنين، يهدى إلى القول هداية، وما مثله ظروياً ولا دارة.

قلت فالطالبي الأصغر: قال: شرحاء وفغر، وشاد في الاحسان وأعثر، أبو عبادة وليد، طريف من الإبداع وتيدي، منح البهجة والإشراق، وغذى النعمة والإرقاء، أبو عبادة وليد ما وليد، يشب لإحسانه الأشيب والويلد، غفل عن إحسانه غافل، ورفق في أثوابه رافل، فررق من جرياه، وأطل من أذياله، خلط عليه الزمان ملاءة ربيعه، وكرع من الإحسان في جدوله وغريبهٰ. (78)

وكما وازنوا بين أبي تمام والبحري وفضلوا أحدهما على الآخر، ظهر بين نقادهم من فاضل بين أبي تمام والعني، وقد أشار ابن رشيق في العمة إلى مناظرة أو موازنة لكلها لبعض المغابرة، واقتطف منها ما يلي:

وقال بعض من ناظر بين أبي تمام وأبي الطيب: إنه حبيب كالقضي العدل يضع اللفظة موضعها ويعطي المعنى حقًا بعد طول النظر والبحث عن البنية أو كاففيه الورع يتحرى في كلامه ويتخرج خوفًا على دينه، وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعئظًا أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده لا يبالي ما لقي ولا حيث وقع (79) ومن أطرف موازنتان الأندلسين بين أبي تمام والعني، هذه الموازنة المريرة، فقد كانوا

---
(78) مقامة الشعراء في المقاصف الأزروية وهي المقامة الثلاثون.
(79) العمة 1: 133.
يقولون: "أبن قزمان في الزجلين بمنزلة المثنى في الشعراء، ومدغليس
بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة، فابن قزمان ملتئت إلى
المعنى ومدغليس ملتئت إلى اللفظ"(80) وقد "تبلورت" موازنتاتهم بين
الشعراء الكبيرين في رسالة أحمد بن لباق الشيرازي التي سماها "روضة
الأدب"، في التفضيل بين المثنى وحبيب، ويجد الغارئ في الفصل الثالث
من هذه الدراسة تعريفًا بمؤلفها وتحليلًا لمبسطها مع تحقيق لنصها.

5- إن هذه العناية برواية شعر أبي تمام وحفظه وتدريسه وشرحه ونقده
أدت في آخر الأمر إلى تأثيره في الحركة الأدبية والشعرية بالأندلس وبلدان
المغرب وتمثل هذا التأثير على الخصوص في مظهرين:

أ- أولهما يتجلى في المعارضـة التي أصبحت ظاهرةً عامة في شعر
الأندلس والمغرب(81)، ويمكن القول بأن معارضته أبي تمام بدأت مع جبل
ابن عبد ربه، فقد هذا هو شاعر عبد الرحمن الناصر حذو أبي تمام في
بناء القصيدة ولا سيما قصيدة المدح التي يشتمل القسم الأخير منها على
نعت القصيدة ومدحها، ويعتبر أبو تمام الشاعر المبرز في هذا المنهج كما
يقول الشيرازي في شرح المقامات(82)، وقد أعجب ابن عبد ربه بشعر أبي
تمام في وصف الغلم وعارضه بشعر له في الموضوع نفسه(83)، وأورد
مختارات من شعره في العقد الغريق وكان استشهد به في مختلف أغراض
كتابه وموضوعاته يدل على حفظه وتمثيله كما يدل على أنه غداً مالوفًا في
البيئة الأدبية الأندلسية يومئذ.

(80) نفح الطيب 3 : 385.
(81) من أبرز الأمثلة على ظاهرة المعارضة في الشعر الأندلسي مثل الشاعر عبد الرحمن بن أبي
النهد الذي كان فيما يقول النقاد ابن شهيد من أشهر من أبناء الأندلس أو طيء ترابها
بعد أبي المختشي أولًا وأحمد بن دراج آخرًا، فهذا الشاعر لم يك بقي شعرًا جاملاً ولا
إسلاميًا إلا عارضاً وناقضه، جذوة المقتبس: 258
(82) شرح المقامات 3 : 159، نشر د. عبد المنعم خفاجي.
(83) العقد 4 : 193.
ومن قصائد أبي تمام التي عارضها الأندلسيون البائائية المشهورة:
السيف أصدق إبناً من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
فكدا كانت وما تزال من شعره المشهور المحفوظ، وبها مثل المعتمد
ابن عبَّاد عندما فخر بشعره فقال مضغناً مطلعها:
فهاكها قطعة تطوي لها حسداً:
«السيف أصدق إبناً من الكتب»(83)
وتكون كتب الفتح في الأندلس والمغرب تصدر بقول أبي تمام في
هذه القصيدة:
فتح تفتح أبواب السما لله
وتبرز الأرض في أثوابها القشب(84)
 Lal لأشهر من عارضها من شعراء الأندلس والمغرب هو الشاعر
المدعو الأصمюрاني، وذلك بقصيدته في مدح عبد المؤمن وتهنئته بفتح
جبل طارق، ومطلعها:
ما للعدي جُنَّة أوفي من الهَرَب
أين المفر وخيل الله في الطَّلَب(85)
وهي مثل العمورية جرخاً ومناسبة، ولا تقصر عنها حوكماً وجودة، وقد
نورد فيهابحكم الموضوع والقافية مع أبي تمام في بعض القوافي، ومن
المعرف أنه لا غنى للشاعر اللاحق عن أن يشترك فيها عند المعارضة مع

(83) الديرية في 2 م:168
(84) انظر على سبل المقال: المن بالإمامة: 277 والاستقصاء:112.
(85) المن بالإمامة: 160 - 164.
الشاعر السابق كما يقول أبو تمام:

"أما المعاني فهي أبكار إذا
نصت ولكن القوافي غون.
ومعنى النطر الأخير أن القوافي يشترك فيها الشعراء مثل قوله:
فحراك عين على نجواء يا مدل تشرك قوافيها وقوافي قصيدة الأعشي
التي أولها: ودغ هريرة إن الركب مرحل لا ترى إلى قوله: واهل تطين
وداعا أيها الرجل وإلى قول الطائي: من أن يدال بين أو ومن
الرجل"(68).

ومن أبات قصيدة الأصم التي نجد لها نظيراً في المعنى والقافية في
البائية الأم قوله:

ولبس الدين غضا ثوب عزته
كأن أيام بدر عنه لم تنب
تدبير من قارع الأيام واختلطت
آراؤه في الوغى بالسمر والقضب
إن آب من غزوة أفنت أعدائية
كان الإباب لأخرى أعظم النسب
سما إلى الشرف الأقصى بهجيته
دين مريح وعزم دائم التعب
يقول أبو تمام في تصوير ذعر العدو وفزعه وفراره:
ولى وقد ألمج الخطيب منطقة
بسكينة تحتها الأحشاء في صخب

(68) ديوان أبي تمام بشرح الخطب التبريزي 3-330

58
أحذئ قرابيَّه صرفَ الْرَّدِّي وphants 
يحتَّث أُنْجَى مطَياءَه ين الهَربَ 
مُوكَلًا بِيَفعَ الأَرَض يُسِرَفْنَهُ 
من خَفَّة الحَروج لا ين خَفَّة الطُربَ 
إِن يعُدُّمُن حَرْهَا عدو الظُليم فَقَدْ 
أوسَعَت جَاجِمَهَا ين كَثِريَة الحَطَبَ

ويقول الأَصم المرواني في المعنى نفسه:

ما للعیدى جَنَّة أُوْفِى من الهَرب
أين المفر وخُيل الله في الطَّلب
لَو بَدَلَوا قُدْماً زَلْت بقادِمَةً
لأَصْبُحَ الكُل طَيْاراً من الرَّعْب
وأين يذهب مَن في رأس شاهقة
إِذَا رَمِّتْهُ سماء الله بالشُهب

ولو وازنَ بين القولين لرأينا كيف سما الأصم إلى مستوى سابقه، وحاول اللحاق به، وإذا كان أبو تمام خُلى بين الأعداء وبين الهرب فإن شاعرنا لم يفتح منهم بالفرار، على ما فيه من وصمة الغار، بل سد عليهم المنافذ، وأحكم من حولهم الحصار، ولم يبق لهم إلا فرصة واحدة هي المهاة الاستسلام ومذلة الاستشارة:

ألَّق أَيٍّك بأيدي الذل خاضعة
ومَكْتَبَ من المسْلوب والشَّلب
سَار العُلوُج وفي أعِناقه ميَّن
من عُقوب مُقَتَدِر للغُزو مُتَّدَّب
مدو الأكف للنمس البحر من فرح
وشعروا لغوث البحري من طرح

وقد وصل إلينا تخميسًا لإشطار القصيدة العمروية من صنع الشاعر
المترسل أبي عبدالله ابن أبي الخصال (87) وهو يعكس الاختلاف بهذه
القصيدة التي غدت نموذجًا كلاسيكيًا يترسم ويحتذى.

وأوله:

الحمد الله أضحى الدين معتليا
وبات سيف الهدى الظلمان قد روايا
إن كنت ترتاح للأمر الذي قضيا
فسله نشرًا ودع عنك الذي طوليا:
فالسيف أصدق أنباء من الكتب.

ومن أطرف المعارضات لهذه البائعة المشهورة قول ابن الخطيب يهجع
خصمه الناهي:

يا كوكب النحاس من قرب على الحب
تلك الذلالي أنت بالحرب والحراب
لما رأيناك حقيقنا الذي وضفتوا
لناس من حدثان جاء في الكتب.
إذ قال شاعر طيء في قصيدته:
وهو المقلد في علم وفي أدب:
»وحولوا الناس من دهيا دهية دامه«
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب« (87)
وفي ديوان ابن زيدون مثابتان رائتان إحداهما في رثاء أبي الحزم ابن جهور أولهما:

"أَلْلَهُمَّ تُرَّ أَنَّ النَّشَمَّ قد ضَمَّنَّها القُبُورَ، وَأَلْتَحَانَيْ في رَثَأَ أَمَّ أبي الوليد ابن جهور، ومطلعها: "هَوَّ الْبَزْعُ فَاـضِرَلِلْدَّيْ أَحْدَثَ النَّزَّرُ (88)، ويبدو أنه نسجهما على منوال مثابية أبي تمام المشهورة:

كَذَا فَلِيَجِلَّ الَّخُطُبُ وَلَفِيذَّاح الْأَمَرُ
فَلَسَ لَهُنَّ لَمْ يَضُمَّ مَاؤُهَا عَدُرُ

وتنظر محاكاة ابن زيدون في مثل قوله في الأولى:

وَمَا الْرَّزَبُ فِي أَن وَدُعَ الْكَبْرِ هَالِكُ
بِلَ الرَّزَبُ كَلَّ الْرَّزَبُ فِي أَن يَبْعَلَ الْأَجْرُ

فَهُم يَدْعُو إِلَى عَسْتَحْصَار قُوْلُ أَبِي تَمَّامٍ:

عَدَا غَدْوَةُ وَالحَمْدُ نَسْجُ رَدَاهِ
فَلَمْ يَنْصَفَ إِلَّا وَأَكْفَانَهُ الْأَجْرُ

وذلك قوله في القصيدة الثانية:

هُوَ الْضَّيِّمُ لُوْ عَيْنُ الْفَضْاءِ يَرْتَوُهُ
شَأَّ الْمَرْمَأُ الصَّعَّبُ وَالمَسْلِكُ الْوَعْرُ

يذكرنا بقول أبي تمام:

وَقَدْ كَانَ فُوْتُ الْمَوْتِ سَهَلاً فَرَدَّهُ
إِلَى الْحَفَاظِ الْمَرْ وَالْخُلَقِ الْوَعْرُ

وَنَلَمَسْ شَيِّئًا مِنَ الْمَعَارَضَةِ لَقَصِيَّةُ أَبِي تَمَّامٍ:

(88) انظر ديوان ابن زيدون: 36 - 41، 152 تحقيق محمد سيد كيلاني.
الحنين أبلغ والسيف عوار
فحذار من أسد العرين حذار
في قصيدة الشاعر المغربي أبي العباس الجراوي التي مطلعها:
أجليت دين الواجد القيحان
بالشعرية والفنان الخطر.

وقد كانت مدائح أبي تمام مثالاً مفضلاً لدى شعراء المدينة في عصر
الموحدين كابن حبوب والجراوي، وبما يدل على ذلك هذه الروية التي تصل
ببعقرب المنصور ويشير إليها الجراوي في آخر قصيدة له في مدحه إذ يقول
رؤية لأمركم العالي بعزة
تقضي وطول بقائمه متجددًا
أضحي حبيب كاسمه لحما غدا
لي في المقام على أمراده منجدا
أوصى إلي ضميت غزر ضميت
إلى صابيه عنة وعنني منشدا

وقد ورد في التمهيد لهذه القصيدة أن لها خبراً عجيبًا يذكر في
آخرها (89).

وعارض بعض شعراء الأندلس رائدة أبي تمام في وصف الربيع:

رفت حواشي الدهر فهي تمرمر
وغدا الشر في حليه يتكسر.

(89) البيان العربي: 46 - 47 (القسم الموحدي) ط. تطوان.
(86م) حماسة السياسي (مخطوطة).
 فقال ابن نصير الكاتب:

"انظر نسيم الزهر رق فوجهه
لك عن أسرته السرية يسفر
خضي برعان الربيع وقد غدا
لعين وهو من النضارة منظر.
وكانما تلك الرياس عراس
ملبوسون معصفر ومزعفر
أو كالقبان ليسن مسوي الحلي
فهلن من وشي اللباس تبخنر" (90)

وقد نظر في البيت الثاني إلى قول أبي تمام:

"دنيا معاش للورى حتى إذا
حل الربيع فإنما هي منظر
كما أن الشبيه في البيت الثاني يذكر بتشبيه أبي تمام:

مصفرة محمرة فكاننها
عصب تيمن في الوعي ومضمر
وإذا كان أبو تمام قد انتزع صورته من ترات العرب. وأيامها وراباتها
المشرية الحمراء واليمنية الصفراء لقرب العهد بذلك وسهولة تهيئ الناس
يومئذ إليه فإن الشاعر الأندلسي استعمل الشبيه نفسه ولكنه قربه إلى أهل
عصره وعامة قراءه وأخذته من لونين مألوفين هما لون العصفر الأصفر ولون
الزغفران الأحمر، وحذا ابن قليل البجاني حذو أبي تمام أيضاً في هذه
القصيدة فقال من أبيات:

(90) جذوة المقتبس: 369 - 370، 383.
ضحاك الريح برؤسه وسميةً
وافتر عن روضت أبي زهرة
فكانه زهر النجوم إذا بدأ
وكأنهما في الترب وشي أخصر
وكأن عرف نسيها عند الصبا
عرف الغبير يفوح فيه الغبر

وقد علق د. إحسان عباس على تأثر الأندلسيين بأبي تمام في مجال وصف الطبيعة قائلاً: "ومن أغرب الأمور أن يكون شعر أبي تمام محكماً في وصف الطبيعة وأنموذجاً للأندلسيين في هذا المقام"، ولكن الدكتور الهيثمي يرى أن وصف الطبيعة هو "من أهم ما سار فيه الشعر قديماً على يد أبي تمام"، ويقول الدكتور شوقي ضيف: "ولعل من الطريف أنه وقف بعض مقدماته على وصف الطبيعة".

أما سيناء أبي تمام المشهورة في مدح المعتصم: "ما في وقوفك ساعة من باس" فقد كانت من محفوظ شعره المشهور، وقد ساهم من حفظه المحدث ابن دحية في كتابه البراس. ونجد لابن عبد ربه شعراً في وزنه ورويها وموضوعها يمدح فيه الفقيد أبا العباس، ومنه قوله:

الله جزَّد للندي والباس
سيفَه فقللَه أبا العباس
ملك إذا استقبلت غرة ووجهه
قبض الرجاء إليك روح الباي

(91) المصدر نفسه: 366.
(92) تاريخ الأدب الأندلسي 1: 111 ط 2.
(93) تاريخ الشعر العربي: 499 ط. دار الكتب المصرية 1950.
(94) تاريخ الأدب العربي 3: 28 ط 2.
(95) البراس: تحقيق عباس العزازي، هيئة الأيام للبديمي
وجهه عليه من الحياة سكينة
ومحبة تجري مع الأنفاس.
وإذا أحب الله يوماً عبده
ألفق عليه محبة للناس (96)

و بهذا البيت الأخير تسامى ابن عبد ربه إلى رتبة أبي تمام في إرسال
ما يتمثل به من الشعر؛ وفي ديوان الأعمى التفيلي سينية مطلعها:

شغري ووجودك يا أبا العباس
مثلاً قد سارنا بنا في الناس

ويبدو أنه حذا فيها حذو أبي تمام، ونظم شاعر مغربي من أهل القرن
العشير الهجري هو محمد بن إبراهيم الفاسي قصيدة في معارضة سينية أبي
تمام أيضاً ومطلعها:

أيُقَطْ طَلَّ في حديقة آس
أمَّ دا حِبْبٌ دارٌ فْوَقُ الكأس.

وقد ضمنها مطلع أبي تمام فقال:

طار الفؤادُ بها فقالَ وقارها:

ما في وقوفك ساعة من باس (97)

وفي ديوان ابن الزقاق قصيدة يبدو أنه عارض فيها أبا تمام وهي
القصيدة التي مطلعها:

فَعَمَا تَقَبَسَ مِن نور يَلْكَ الرِّكَابَ
فَمَا طَلَعَتْ إِلَّا بِزَهر الْكَوَابِكَ (98)

(96) المقد 1: 269.
(97) ريحانة الآليا: 131 المطبعة الوعية 1294 هـ.
(98)
فهي محاذية لقصيدة أبي تمام:

على مثليها من أربع وملامع
أذلها مصونات الدموع السواكب

ونجد لشعراء أندلسيين ومغاربة آخرين قصائد على وزن بعض قصائد أبي تمام ومن بحرا وفاقيتها، وإذا لم تكن نية المعارض في حاضلة القصد إليها قائماً فإن استحضارها يفضحه تضمين بيت أو اقتباس شطر من النموذج المحكي كقول المعتمد في آخر شعر له:

فهاكما قطعة تطوي لها حسداً:

(السيف أصدق إنباءً من الكتب) (98)

وقول ابن البلانة في شعر له:

حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ لقوله:

(عسى وطن يدنو يهيم ولعلما) (99)

وضمن الشطر نفسه ابن صارة في آخر أبيات له إذ يقول:

وأزمع يأساً ثم أذكر أئني

(100)

بحضرة أزكي الناس فرعاً ومنتمي

فآرتقي العتبى وأشهد تعالاً

(عسى وطن يدنو بهم ولعلما)

وضمن الأمامي التقاليد شطر بيت لابي تمام فقال:

(98) الذخيرة ق 2 م 1: 68.
(99) المصدر نفسه ق 2 م 1: 78.
(100) قلائد العقاب: 303 ط. باريس المترجمة في تونس.
نهجت سبيل المجد من بعد ما عفت
ومحبت كمامحت وشائع من برد
(101)
وقول عبد الرحمن بن سليمان البلوي من قصيدة مقدية له مضمّناً
بيتاً لأبي تمام:
وقد اخملتُ أثواب عبدك وانطوى
على جمرة في صدره تثلبُ
وأنت العلي المعظم أي وصية
بها كان أوصى في الثياب المهلب
(102)
وكتب أبو الحسن بن أضحي إلى بعض أصحابه معتدراً بهذين
البيتين:
ومستشفع عدّي بخير الوَرِى عُنْدِي
وأولاهُ بالشكْر مني وبالحمد
وصلت فقدما لم أقم بجزائيه:
«لفقت له رأسي جفاء من المجد»
(103)
إن معارضة قصائده أبي تمام المقصودة وغير المقصودة وتضمين آبائه
وشطاره شيء لا حصر له وما قصدنا إلا التمثال ببعضه والتذيل على
تأثيره.
ب- المظهر الثاني أن شعر أبي تمام كان كعامة الشعر القديم
والحديث - من المحفوظ الذي تجري ألفاظه ومعانيه على السنة الشعراء

(101) ديوان الأعمى الطيلي: تحقيق د. إحسان عباس.
(102) جذوة المقتفي: 254.
(103) نفح الطب 4: 163.
وأتلام الكتاب في الأندلس والمغرب وكانوا لا يستطيعون التخلص من تأثيره حينما يكتبون أو يشرون، ومن هنا نجدهم يقعون على معاني وصول وصيغ سبق إليها أبو تمام، وقد شغل بعض دارسي الأدب وشرح الشعر بهذا الموضوع في الأندلس وتناولوه في إطار السرقات، وهو الأسلوب المعهود في الدرس الأدبي يومذ، ومنناهجم في هذا الأسلوب مختلف، فمن اعتدل كابن دحية وابن بسام الذي يقول: «ولست أقول أخذ هذا من هذا قولًا مطلقًا، فقد تتوارد الخواطر، ويقع الحافر على الحافر، إذا الشعر ميدان الشعراء فرسان» ومن متشدد كابن حزم إذ يقول: «والذي ذكره المتكلمون في الأشعار من الفصل الذي سموه الموارد وذكرنا أن خواطر الشعراء اتفقت في عدة أبيات فعادة مفصلة لا تصبح أصلًا ولا تصل، وما هي إلا سرقات وغارات من بعض الشعراء على بعض». وتوارد شعراء الأندلس والمغرب مع أبي تمام ونظروهم إلى معاني شعره كثير نحيل في مجموعه على ذكرية ابن بسام وفراة الذهب لابن رشيق والرائق أو شرح المختار من بشار وشرح المقامات للشريشي وشرح مفصورة حامد للشريف السبتي وغيرها، وتكتفي هنا ببعض الأمثلة منها:

فقد ذهب ابن بسام إلى أن ابن زيدون استوحي قوله:

بني جهور أحرقتم بسفركم
جاجاني فما بال المدائح تعبق
تعدوني كالمندل الرطب إذا
تطيب لكم أنفسك حين يحرق

من قول أبي تمام:
لولا اشتعال النار فيما جارب
ما كان يعرف طيب مكرر العود
(104) الدخيرة ق. 1 م. ص 354.
وأنا قول الشاعر المذكور:

ويذكرني العقد المرن جُمانُه
مرتَبٍّ واقٍ في ذرى الأياكِ هُنُفٌ

منسوخ من قول أبي تمام:

وبالحُلي إن قامت ترنم فوقها
حَماها إذا لاقى حَماها تُرَنَّما (105)

وأنا قوله أيضاً:

ومحسن تندي رقائق ذكرها
فتكد توهِمُك المديح نسبيا

قريب من قول أبي تمام:

طاب فيه المديح والتدَّ حَتي
فاقد وصف الديار والتشبيها (106)

ولما أورد ابن بسام قول ابن حصن الإشبيلي:

فقتل صلي قد ضِبت ذرعاً بهجرُكم
فقال صلٍّ قد ضِبت ذرعاً بدمَلِجٍ

قال: «وهذا المعنى مشهور، وهو في شعرهم كثير إلا أنه غوره
وابعده، وأوعز لفظته وعقدته، والذين إليه أشار، وعليه دار، قول أبي تمام:

يعتَفي أن ضِبت ذرعاً بِبيته
ويجري أن ضاقت علي خلاجله» (107)

(105) المصدر نفسه في 1 م، ص: 377.
(106) المصدر نفسه في 1 م، ص: 382.
(107) المصدر نفسه في 2 م، ص: 170.
والأثرة من هذا القبيل في الذِّكرى متعدّدة، ولا أريد أن أظيل
بنتها.
وكان حاَزيم القرطاجي متملاً من شعر أبي تمام، ويظهر أثر محفوظه
على لسانه من حين لآخر في مقصورته، يقول:
جيش جيوش الرّغب من قدماهُ
تسرى وتغزو قبله من قدُّ عزاِ
وهو كما يقول شارح المقصورة من قول أبي تمام:
لم يُغَزِّ جيشا ولم ينهض إلى بلد
إلا تقدَّم به جيش من الرّغب
ويقول حاَزيم أيضاً:
وكَلَّ ضَوْر فوق ضُوْر قد رَعِتُ
منهُ الفلا ما كان منّها قد رَغِى
وهو كة قول أبي تمام بعنه:
رعته الفيافي بعدما كان حقبة
رُعاها وماء الْرُّوض ينَهُ ساِكْبَهُ
ويقول حاَزيم في المقصورة كذلك:
أضحِت بِه صُلُع الرّبيّ مَعثَمةً
وهو من قول أبي تمام:
حتى تعمم صلُع هامات الرّبيّ (108)

(108) رفع الحجب المستورة 1: 89، 2: 33، 33-34.
وقد تبع الشريف مثل هذا في شرح المذكور، ونجد نحو هذا الصناع عند الشريف في شرح المقاطع، فهو ينطلق كثيراً بين أشعار الأندلسين وأشعار سابقهم من المشارقة في المواضيع المشتركة وذكر في هذا السياق أمثلة من معاني الأندلسين التي نظروا فيها إلى أبي تمّام (109).

ولم يكن شعراء المغرب الكبير أقلّ تأثرًا من الأندلسين بأبي تمّام، وقد ظهر أثره على الخصوص في شعراء القرن الخامس الهجري حين بلغ الأزدهار الشعرى فتحته الفيروان، ومن أبرز هؤلاء الشعراء المشترين بطريقه أبي تمّام إبراهيم الحصري، وفيه يقول ابن رشيق:

«كان شاعراً نقاداً عالماً بتنزيل الكلام، وتفصيل النظام بحسن المجانسة والمطابقة، ويرغب في الاستعارة، شبيهاً بابي تمّام في أشعاره مبتعباً لآثاره، وعندما من الطبع ما لآسره على سجينة لجريơ جرياء، ورق رقة الهواء ومنهم عبد الرزاق بن علي النحوي الذي وصف بأنه صناع أحيآ سنن أبي تمّام، ولو وصل إليه «الأنموذج» لابن رشيق لليمستنا ما كان لأبي تمّام من أثر في أولئك الشعراء، ومع ذلك فإننا نجد شيئاً منه من خلال العمدة والقرضا ورسالة الأنيق والرايق بأزهرالحداثة وزهر الآداب، ففيها شواهد متعددة على انتشار شعر أبي تمّام وتأثيره في بيئة الفيروان الأندلسية، ولذلك يقول ابن شرف في رسالة الأنيق: «وإذويته مقوم، وشعره متمول» وقد أشارنا فيما سبق إلى بعض شعراء بجاية الذين كانوا يترسّمون طريقه أبي تمّام في القرنين السادس والسابع الهجريين.

6- وثمة مستوى آخر لذوي شعر أبي تمّام وهو يتجلى في هذه الأبيات المشتركة في ثنايا الرسائل الإخوانية والديوانية وفي تضاعيف الكتابة الأندلسية والمغربية على العموم، وهذا باب كبير لا سبيل إلى تتبّعه. وسكتنا بما ورد في رسائل الذكرى والقرآن، فمن ذلك الأبيات الآتية:

(109) انظر على سبيل المثال ج 1 ص 125.
يَخْمِيْهِ لأَلَوْهَهُ وَلُوْدِيْعَةٌ
مِنْ أَنْ يُداُلَ بَيْنَ أَوْ مَمَّنِ الرَّجُلِ (110)
وَإِذَا أَمْرَأَ أَسْدَى إِلَيْكَ صَنيعةً
مِنْ جَاهِهِ فَكَانَتْهَا مَنْ مَالِهِ (111)
أَرْضُ الْفِلَاحَةِ لَوْ أَتَاها جُرْوَلٌ
أَغْنِي الْحَطِيبَةِ لَاغْتَدَى حَرَاناً (112)
لَهُ كَبِيرَاءُ الْمُشْتَرِي وَسُعُودُهُ
وَسْطُوْةُ بِهِرَامَ وَظُرْفُ عُطْارِدُ (113)
إِنْ نَفْتَرِقْ نَسْباً يَأْلَفَ بَيْنَنا
أَدْبُ أَقْمَانَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ (114)
وَإِذَا أَمْرَأَ أَسْدَى إِلَيْكَ ضِيِّعَةٌ
مِنْ جَاهِهِ فَكَانَتْهَا مَنْ مَالِهِ (115)
وَإِنْ صَرْحَنَ الرَّأْيَ وَالْحِزَمَ لَأَمْرِهِ
إِذَا بَلَغَتْهُ الْشَّمَسُ أَنْ يَتَحوَّلَا (116)
إِذَا مَا أَمْرَأْ أَلَقَّ إِلَيْكَ بِرَحْيِهِ
فَقُدْ طَابِتُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبَهُ (117)
يا أسعد الموت تخلصتِ
من بين لحيي القاصرة
(116)
عبأ الكمين له فظل لحيه
وكمينه الملقى عليه كمينه
(117)
كان الذي خفت أن يكون
إنا إلى الله راجعون
(118)
نسبي في رأيي وعلمي ومذهبي
وإن باعدنا في الأصول المذاهب
وأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت أصحابك الحشر
وكان الشعراء والكتاب في ذلك الزمان يكتفون بالتلميح إلى بعض
شعره لبعده الناس إذ كان متناولًا بينهم محفوظًا عنهم، ولذلك يقول
الكاتب أبو بكر عبد العزيز ابن القبطري في آخر رسالته له إلى بعضهم:
"وأهديك وداؤ مزج بشتياق، وأثرك سلاماً ينسي سلام حبيب على
الحسن بن وهب والعراق" (121) وجاء مثل هذا في آخر رقعة أخرى كتبها
إلى الشخص نفسه: "أقرأتك من أثنا تلك الدولة والأفاف، سلام حبيب
على الحسن بن وهب والعراق" (122) والإشارة فيهما إلى قول أبي نواس:
سلام ترفج الأحشاء منه
على الحسن بن وهب والعراق
(116) المصدر نفسه: 2 م: 334.
(117) المصدر نفسه: 2: 254
(118) فلاقد العقين: 65.
(119) المصدر نفسه: 225
(120) المصدر نفسه: 243
(121) المصدر نفسه: 2: 761.

73
ويقول سعيد العروسي:

يا بني معنٌ لقد طابت بكم
شجر لولاكم لم تورق
لَو سرى حسانكم
ما بكى نذمنه في جلقي
أو دنا الطائي من حيكم
ما حدا البرق لرَئي الأرق(123)

وهو يشير في البيت الأخير إلى مطلع قصيدة أبي تمام:

يا برق طالع منزلا بالأبرق
واحد السحاب له جداً اختياري

وقد وجدنا المؤرخ ابن حيان يستشهد بشعر أبي تمام ويحل شعره في
نحه ويلمّح إلى بعض أبابه تلميحات تخفي أحياناً على بعض محققي
نصوصه كقوله يصف ما صنعه ابن رشيق المرسي بالشاعر الوزير ابن عمّار:
فلما يزل يطلع عليه من الثنايا والشّعاب، حتى أخرجه من مرسية لا
كالشهيد، فقد حذف دوزى كلمة لا بينما أثبتها الدكتور حسين مونس كما
وردت في الأصل وهو الصحيح، ولكنهما لم يذكرا أنه يشير إلى قول أبي
تمام:

فخرجت منها كالشهيد ولم تزل
مُعَيَّنٌ خرَاجاً من الغمَّاء(123م)

6- إن إعجاب الأندلسين الشديد بأبي تمام وله ردود فعل سلبية
أحياناً لدى بعض شعرائهم، وقد ذكرنا قول المعتمد:

(123) المصدر نفسه ق 3 م 2: 872.
(123م) انظر الحلة السيراء 2: 135.
فهاكها قطعة نظرى أها حسدا:
«المسيف أصدق إباء من الكتب»

وتفخر إدريس بن اليمن بقصيدة له فقال:

ولو خطرت بحبيب بن أوس
طوى كل ما حاكم في المعتصم

ويقول أبو عبد الله البلوشي مادحاً قطعة للشاعر ابن السفاط:

فانت حبيباً لن يفوه ببئلها
فانت يا يزري ببئل البختري

ومثله قول إبراهيم الساحلي مفتخرًا بقصيدته:

وقفت ابن أوس دونها وتخصببت
في تسج حالتها أكف البختري

ويمدح أبو بحر يوسف بن عبد الصمد بلاغة أبي بكر بن زيدون

فقال:

فإنّ زهدت طيّاً في حبيب
فقد زهدت في كعّب إيادا

ولما قرَّء على الشاعر المؤدّي أبي العباس أحمد بن سيد الملقب
باللص ديوان أبي تمام ومرّ فيه وصف السيف قال: أنا أشعر منه حيث

أقول:

(الذخيرة في 2 م 1: 68).
(المصدر نفسه في 3 م 1: 343).
(فلال الذهب: 222 المطبعة الحديبية بولاية ي. 1283 هـ).
(الإحاطة).
(الذخيرة في 3 م 2: 813).
تَراَهُ في غَدَةِ الْعَيْمِ شَمْساً
وفي الظُّلماَهُ نَجَّاَ مَا أَوْ دِبَالاَ
يَرْوَعُهُم مُّعَايِنَةً وَفَهْماً
وَلَوْ نَامَوا لِرَوْعِهِمْ خَيَالاً

وَيَبِدَأَ أنَّ الوُصَفَ الَّذِي وَرَدَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي الْخَبِيرِ هُوَ قُولُ أَبِي
تَمَّاَ:

وِبَتَهْن مِثْلِ الْسَيْفِ لَوْ لَمْ تَسْلَهُ
يَدَانِ لِسَلْسَةُ طَبَابَةٌ مِنَ الْعَمْدِ
وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عَبْدُ رَبِّهِ فِي الْعَقَدِ أَنَّهُ "مَن أَحْسِنَ مَا قَيِّلَ فِي وَسَفَ
السَيْفِ" (128).

وَيَقُولُ أَبُو حَمْدِيس مَفْتَخِرًا بِأَشْعَارِهِ وَبِنَاثِ أَفْكَارِهِ:

أَمَا بِنَاتِى الْمَفْرَدَاتِ فَإِنْهَا
فِي الْحَسَنِ أَشْهُرٍ مِنْ بِنَاتِ حَبِيبٍ (129)

وَمِثْلُ هَذَا فِي الْمِبَالِغَةِ قَوْلُ أَبِنِ خَفَاجَةٍ يَطْرِي شَعْرُ أَحْدُ أَصْدَقَاهُ:

بَرَعْتُ فَرَعَتْ، فَمَنْ ذَا حَبِيبٌ
لِهُ الْوَلِيدُ، أَمْ مَنْ أَبُو الطَّيِّبٌ
وَلَوْ جَارِيَّكَ إِلَى غَيْبَةٍ
لَفَرَتْ وَكَانَا مِنَ الْحَيْبِ (130)

---
(127) التكميلة: 80 ونفح الطب 4: 112.
(128) العقد 1: 183.
(129) ديوان ابن حمديس: 62 تحقيق د. إحسان عباس.
(130) ديوان ابن خفاجة: 246 تحقيق الدكتور السيد مصطفى عازي.

76
وقال الشاعر أحمد بن طلحة الشرقي في محفل: «تقيمون القيامة بحبيب والبحيري والمتنبي، وفي عصركم من يهدي إلى ما لم يهتدوا إليه» (131) وحاول أن يقنع مستمعيه بسرد الجيد من شعره ومعانيه، ويقول ابن خافاف في نونية ابن زيدون المشهورة: «وَزَعَتْ مُنْزِعَةٌ قَصْرٌ عَنْ هِبْبِبٍ وَأَبِنِ الجُهْمِ» (131م) يَبَدَْ أَقْصِي ما كان يطمع فيه معظم أولئك الشعراء هو تشبيه شعرهم أو شعر أصدقائهم بشعر حبيب وطابقه، وذلك كقول ابن سعيد العمالي مثلاً في مدح ابن عمه:

إذا رَقَمَ الْقُرَطَاسَ قَلْتَ ابن مُقَلَْلٍ
وَإِنْ نُظَمَ الأَشْعَارُ قَلْتَ حَبْبِبٍ (132)

وَنُشِيرُ في آخر هذه الفقرات - التي استعرضنا فيها مظاهر من عناية المغارية بأبي تمام وتأثرهم به - إلى رأي زميلنا الكبير الدكتور إحسان عباس الذي يقول: «ولكن أبا تمام كان أعمقهم أثراً في الشعر الأندلسي من حيث المبنى الشعرى والشكل، ومن تأمل الشعر الأندلسي في هذا العصر ( يعني ما أسماه عصر سيادة قرطبة) حتى التأمل وجد مبدأ حب الغرابة أو الاستطراف هو الدافع الفري فيه ثم يجيء المبنى بعد ذلك شديد الاعتماد على الخطابية ورسم المتتابعات المضادة ويلوغ درجة الإحلالة في تصيد المعنى وتفرعاته وظلالة والإغاب بالاستعارة وإن لم يكن هذا شائعاً كثيراً واستعارة البيت والكلمة في صور بعيدة عن حياة الطبيعة، وهذه الأخيرة من أشياع الصور عند أبي تمام، ومنها في الشعر الأندلسي قول محمد بن أحمد بن قاسم:

ْقَفَّ بَرْعُ الْبَلَى وَرَبِيعُ الْهُمْوم
وَاسْفِحُ الْذَّمَّةَ فِيهِ سَفَحُ الْفُيُومِ

(131) اختصار القرآن المعلق: 114 ونفح الطيب 3: 307 والإحاطة 1: 236.
(131م) قلايده العقين: 81.
(132) نفح الطيب 2: 275.
غيَرتُ آية صروفُ الليلي
وَجِهاً الغَمَامُ مَحَوَّ الرَّقَيمِ
سَاءَ ما اعْتَاضَ بالسَّحابٍ من
نَبِيٌّ المعالي بِمَنْبَتِ الْقِصَصٍ
فَالَاسَى حِينّ يَعْمَدُ الشَّيْءُ مهِمٌ
نَّوْلٌ عَلَى قُدر جَوْهْرٍ المَعْلُومٍ

فِقاَلَ نَبِيُّ المعالي استعارة تُمَاسِية وأَيْبَت الأَخْيَر أَحْجِية ذَهَنَية
كَالْأَشِيَاءِ الَّتِي بِعْرَاضُها أَبَيَّ اللَّهَ مِن هذَا الْقِبْلَ، وَصُورَةَ وَاحِدَةِ هَيِّنَا تُعْمَم
صَلِّ هَمَامَاتِ الرَّبِّيّ؛ قَد أَصْحَبَت فِي هذَا الشَّعْرُ الأَنْدَلِسِ تَدُورُ دُوراً غَيْرَ
قَلِيلٍ۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۟۰
كتابي ابن جَنِّي على الحماسة: التنبه والمبهج، وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في الاسكوريال رقم 312.

وقد صنّفوا حماسات ضاهوا بها حماسة أبي تمّام، وعلّم أشهرها حماسة الأعلام الشمالي التي ضمت حماسة أبي تمّام والحماسة البصرية وحماسة الجرخاني وغيرها ورتب أشعارها وأبوابها وشرحها شرحاً مفيداً، ونظراً لأن هذه الحماسة ما تزال مخطوطة فستقتبس من مقدمتها ما يلي:

ثم رأيت الآن أن أختم ما اعتمدته فيه قديماً وحديثاً من ذلك بجمع كتاب في أشعار الحماسة يقتضي تهذيبها وتفصيلها، وقيد أفاظها وتصحيحها، وتهيئ مبانيها وتقريب غامضها، وتفسير غريبها وغامض إعرابها حتى يكون هذا الكتاب مربعاً على جميع التأليفات فيها ومغنياً عن استعمال التصنيفات المحيطة بها، ومنه كتاب تجلي غرز المعاينة من مثل صور الغنائي، والتحلي بالقولان، من جوهه الفوائد، ليكون اسمه مطبقاً لمعناه، ورسمه مؤلفاً لغرضه ومغزوه، وربته على حروف المعجم ليقرب بذلك تناوله، ويسهل على الطالب مراهم على حسب ما صنعه بعض أهل العصر.

وّضمنت كل ما تضمنته الحماسات من الشعر كالحماسة القديمة المنسوبة إلى أبي تمّام التي هي أصل لغيرها، وحماية أبي الفتوح ثابت ابن محمد الجرخاني، وحماية أبي أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرمسي البصري مما رواه عن شيوخه كأبي رياض.

(135) الكتبتة: 157 - 158.


(137) والذيل والكتبتة: 422 والإحاطة: 145 ومعجم الأدب: 7 وغة الوعاة: 1.

والتيان: 32 وفهرسة ابن خير: 404.

79
أحمد بن أبي هاشم بن الرشدي بن شبيل القهري الرازي(138)، وأبي سعيد
الضرير(139)، وأبي الميم(140)، وأبي الحسن علي بن سليمان
الباعشه(141)، وأبي عبد الله اليزيدي(142)، وأبي حفص عمر بن عبد العزيز
الهمداني(143)، وأبي محمد الديمرتي(144)، وما تلف من خط النومي(145)،
ومن خط الأثر وراز آل نهاري(146)، ومن خط أبي عبد الله ابن مقلة(147)، ومن
خط أبي سعيد السكري(148)، وحوذة وجدها بخط أبي موسى
الحسين(149)، وغيرهم وما بث في كتاب أبيات المعاني في الحماسة
النمرية(150)، وفي شرح ابن جين لها أيضاً(151)، وغيرها.

وأبواب جميعها التي تضمنها هذا الكتاب ثلاث عشرة باباً: فالأسد باب
في الشجاعة، والثاني باب في المراثي والثالث باب في الأدب والرابع باب
في النسب، والخامس باب في المدفع، والسادس باب في الأضابيث،
السابع باب في الهجاء، الثامن باب في الجراحات والثامن باب في السير
والمهاجرين باب في الفقه والطرق والمحاسبات، والحادي عشر باب

(137) ترجمته في تاريخ بغداد 11:57، ومعجم الأدباء 2:124.
(138) ترجمته في إبناة الرواة 1:25، ومعجم الأدباء 2:124.
(139) ترجمته في إبناة الرواة 1:41، ومعجم الأدباء 3:15.
(140) ترجمته، ومصادرة في وبائت الأعيان 3:89.
(141) ترجمته، ومصادرة في وبائت الأعيان 3:301، 303.
(142) ترجمته في طبقات الزهري: 78.
(143) لم تَقَفْ عَلَيْ تَرْجُمَةِ.
(144) ترجمته في معجم الأدباء 16:319، ودبيح العامري: 1:827.
(145) انظر الفهرست لأبا عبد الديم: 66، 88.
(146) لم تَقَفْ عَلَيْ تَرْجُمَةِ.
(147) ترجمة ابن مقلة الخطاط في وبائت الأعيان 5:113، 118.
(148) ترجمته في غناء الوعاة 1:502.
(149) ترجمته، ومصدراه في إبناة الرواة 3:21، 141، وطبقات الزهري: 170.
(150) ترجمته في إبناة الرواة 1:25.
(151) لا يوجد شروح لباب الديسماة، كما أنواعه، والموضوع.
في مدمة النساء والثاني عشر باب في القصر والثالث عشر باب في الكبر.

وهذا الباب الثالث عشر زائد على ما تضمنت حماسة أبي تمام القديمة وحماسة أبي الفتح الجرجاني وغيره، وهو ثابت في حماسة عبد السلام فأتيت به ليأتي هذا الكتاب على جميع ما تضمنت الحماسات المختلفة من الأبواب.

وقد نسخت حماسة الأعلم هذه حماسة أبي تمام عند ظهورها في الأندلس، قال أبو إسحاق إبراهيم بن ملكون الحضرمي في إيضاح المنهج: "ولم كن حماسة أبي تمام - الموضوع كتاب أبي الفتح هذان (شكر إلى التبيه والمراجعة) على تزبيها - ماجوهر القرد في عصرنا ومطرحة الاستعمال عند أبناء دهراً حين أخْت هذه الحماسة الأعلمية عليها بامتثال النفس إلىها.

152) ويؤيد هذا الكلام ما نجده من روايتها في برامج العالماء من أهل القرنين السادس والسابع وما بعدهما كما أنها انتقلت إلى المشرق، وقد ورد ذكرها في حزائرة الأدب للبغدادي 153)، ووقف عليها ابن خللكن، قال في ترجمة الأعلم: "وغالبًا أن شرح الحماسة، فقد كان نعدي شرح الحماسة للشامري في خمسة مجلدات وقد غاب عن الآن من كان مصنفه وأظهره هو والله أعلم وقد أجاج فيه." 154.

والحماسة الثانية بعد حماسة الأعلم هي حماسة الشاعر المغربي أبي العباس الجراوي، وقد نزل بها ابن الأدب وابن خللكن وغيرهما، قال ابن الأبار في التكلمة: "وألف للسلطان كتابًا في معنى الحماسة لحبيب سماه صفوة الأدب ونخبة كلام العرب أخذها الناس عنه، وكان شيخنا أبو الحسن سهل بن مالك يبث على هذا التأليف وحدثنا به عنه هو وأبو الربع بن سالم.

152) مخطوط الآسكيروال.
153) خزائنة الأدب.
154) وفيات الأعيان 7: 81 - 82.
وأبو عبدالله محمد بن عبد الجبار الرعيني وغيرهم(155) وقال ابن خلجان:
وجمع كتاباً بحوثي على فنون الشعر على وضع الحماسة لأبي تُمام الطائي وسماه: صفحة الأدب وديوان العرب، وهو كثير الوجود بأيدي الناس، وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل الإسكندرون(156) وقد ذكر هذه الحماسة أيضاً حاجي خليفة، والاسم المختصر الذي عرفته به هو الحماسة المغربية وتوجد منها نسخة مختصرة محفوظة في خزانة طومال باشا تحت رقم 4079.

وألف الأديب الإشبيلي ديفين مراكش أبو القاسم أحمد بن محمد البليوي حماسة أكبر من حماسة الجراوي وسماه: «روض الأدب والمثلج العجيب»(157).

وفي القرن السابع الهجري ألف الأديب الحافظ أبو الحجاج البياسي حماسة أصبحت تعرف بالحماسة البيسية نسبة إلى مؤلفها المسوب إلى بيسة في الأندلس وتميز هذه الحماسة على الحماسات السابقة بكونها تشتمل على أشعار أندلسية ومغربية، وقد تحدث عن هذه الحماسة البيسية ابن خلجان فقال: «ورأيت له كتاب الحماسة في مجلدين، وقد قرئت هذه النسخة عليه وعلى أخير كتابه في أواخر شتاء شرف الآخر سنة خمسين وستمائة، وقال في آخر الكتاب: وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس، حرسها الله تعالى في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ونقلت من أوله بعد الحمادلة ما مثله، أما بعد فإني قد كنت في أوان حداثتي، وزمان شبيتي، ذا ولو بالأدب، ومحيط في كلام العرب، ولم أزل متنبيعاً لمعانيه ومنفثاً عن قواعده ومبادئه، إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسمع الطالب المجتهد جهلها، ولا يصح بالناظر في هذا العلم إلا أن

(155) التكميلة: 128 - 129.
(156) وفيات الأعيان 7: 12، 137.
(157) الذيل والتكملة 1: 456.
يكون عنده مثلها، وحملتني المحبة في ذلك العلم والعلوم به على أن جمعت مما اخترته من أشعار العرب جاهليها ومخبرتها وإسلامها ومولدها، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم، ما تحسن به المحاضرة، وتحمل عليه المناظرة، ثم إنني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديران يؤلفها، مؤذن بذهابها ومؤذن إلى فسادها، فرأيت أن أضم وأجمع مستحسنها، تحت أبراب تقييد نافرها ومضت نادرها ونظرت في ذلك فلم أجد أقرب تويد، ولا أحسن ترتيب ما بويه وربته أبو تمام حبيب بن أوس رحمة الله تعالى في كتابه المعروف بالحماسة وحسن الاتباع به، والتحري لمذهبه، لتقدمه في هذه الصناعة، وانفراده منها بأوفر حفظ واحد بضاعة، فاتبعت في ذلك مذهبه ونعته منزوع، وقررت الشعر بما يجابهه، ووصلته بما ياسبه، وفتحت ذلك واخترته على قدر استطاعتي، وبلغه جهدي وطاقتي. (158)

هذه فقرات من مقدمة الحماسة السياسية أوردها لدلالتها على نهجه في ترتيبها نهج أبي تمام من جهة ونثر فيها على اختيار أشعار الأندلسين، وقد نقل ابن خلكان شيئاً من بعض أبراهام، وتوجد قطعة صالحة من هذه الحماسة مخطوطة في بعض الخزائن الخاصة بالمغرب وعندل صورة عنها، وكانت اخترت منها الأشعار الأندلسية على حدة من أجل نشرها فلم يتسار ذلك إلى الآن، وفيما يلي أسماء الشعراء الأندلسين والمغاربة المختار لهم في هذه الحماسة:

- سليمان المستعين الأموي.
- ابن هانيء.
- ابن دراج.
- الرمادي.

(158) وفيات الأخوان 7: 238 - 244.
- إدريس بن اليمان.
- عبد الكريم الذهبي.
- محمد بن حبوس.
- ابن زيدون.
- ابن رشيق.
- ابن شرف (أبو عبدالله).
- ابن الحداد.
- ابن حمديس.
- أبو بكر بن الملح.
- أبو الوليد النحلي.
- أبو العرب الصقلي.
- أبو الحسن بن سيدة.
- أبو الحسن الحصري.
- محمد بن خلصة الضرير.
- ابن سارة.
- ابن عبدون.
- أبو الحجاج المنصفي.
- أبو الحسن علي بن خروف.
- أبو الحسن علي بن الفصل الأوربي.
- أبو الحسن علي بن حريق.
- أبو الحسن علي بن حزمون.
- ابن عمّار.
- ابن عباد.
- ابن اللبانة.
- ابن وهبون.
- حسان بن المقصص.
- أبو عبدالله الخشني.
- أبو الوليد يونس القسطلي.
- الجراوي (أبو العباس أحمد).

ومن الحماسات الأندلسية أيضاً حماسة أبي حفص عمر بن منذر الصدفي الأندلسي، قال ابن عبد الملك المراكشي: "كان أديباً حافظاً، وصنف في منحى حماسة حبيب مصنفًا حسنًا أفاد به".(159)

من هذه الإشارات والأخبار التي لم نقصد فيها إلى الاستقصاء يتجلى التأثير الذي كان لأبي تمام في الحياة الأدبية بالأندلس والمغرب، وذلك بواسطة شعره أولًا وحماسه ثانياً.

---

(159) الدليل والتكملة 5: 471.
الورقة الأخيرة من ديوان أبي تمام برواية القالي (مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط).
أول شرح الحماسة للجرجاني.
مخطوطة الأسكندريان.
آخر شرح الحماسة للمرجاني.

مخطوطة الأسكوريال.
الفصل الثاني

أبو الطهيب في أدب الأندلس قبل المغاربة
إذا كانت الدراسات المتتالية قد بلغت مبلغًا كبيرًا من التوسع والتنوع، فإن بعض الجوانب المتميزة بالشاعر الكبير ما زالت في حاجة إلى الإبانة والإحاطة، ومنها إبراز عناية المغارية بشعره وإظهار موقفه في أدبه.

وستناوله الآن بما يضيف إليه جديداً ويزيده غنى، وذلك حسب التصميم الذي سنراه عليه في الفصل السابق تقريباً.

أ- الأسائد:

من سمات الثقافة العربية الإسلامية القديمة على العموم والمغربية

---

(1) انظر على سبيل المثال: رائد الدراسة عن المتتالي تأليف كوركيس وبيثان ميا، والمتتالي في أثرنا تأليف عبد الله الجبري.

(2) انظر ديوان الشاعر في العالم العربي. ترجمة أحمد أحمد بدوي من ص 41 إلى ص 54.

(3) مع شعراء الأندلس والمغتني. تأليف الطاهر مكي ومجلة المغرب الجديد 1936 (عدد خاص بالمغتني) ومجلة الوجد 1977 (العدد الخاص بالمغتني) ومجلة دورة الحق 1968 (عدد 6 - 7).
على الخصوص عناية أهلها بالرواية واهتمامهم بالأسانيد، ولم تكن الرواية
عندهم من متعلقات الحديث وغيره من العلوم الدينية فحسب وإنما أخذوا
بها في سائر العلوم الثقيلة تقريباً.

وإن الدارس للتراث المغربي ليعجب من كثرة برامج العلماء
ومشيخاتهم التي حرصوا فيها على توقيع الكتب بأسانيد متصلة بمؤلفيها؛
وهذه البرامج هي باختصار عبارة عن جرد شامل، ورصد كامل لانتقال
المؤلفات من المشرق إلى المغرب(2).

وقد رجعنا إلى بعض هذه البرامج لمعرفة سيرة شعر المتنبي
وانتشر فيه في البيئات الأدبية المغربية فوجدنا أن إفريقيا وقاعدتها القروان من
أقدم هذه البصع اتصالاً بشعر المتنبي، وبدلاً على ذلك أيضاً قصيدة في
ديوان الشاعر محمد بن هاني الذي أدرك زمن المتنبي، والقصيدة تتحدث
عن نسخة من شعر أبي الطيب وصلت إلى القروان في حياته، فاستعدها
الشاعر من صاحبها الذي لقي المتنبي، ولكنه كان حريصاً على نسخه فألذ
في استرجاعها من الشاعر الذي اغتاظ وقال قصيدة تتهكم فيها بصاحبها
ونيل من المتنبي نفسه، ومنها قوله:

ْتَبَا المُتَنَبِّي فَيُكَم عَصْرًا
وَلَوُ رأى رَأَيْكَ فِي شَعْرِهِ كَفَرَا
مَهَلًا فَلا المتنبي بَالْبِي ولا
أَعْدُ أمثاله في شعره السُّرِأ
تَهْمُّ علينا بُمرأة وَعَلِكَم
لَم تدركوا منه عيناً لا ولا أثرا

(2) راجع بحث استناداً للمراجع عبد العزيز الأهراني حول كتاب برامج العلماء في مجلة معهد
المخطوطة.
وهي قصيدة تقع في 21 بيتًا .

وثمة خبر في (الصحيح المبكي) عن ثلاثي ابن هانئ والمتنبي في القروان ولكنه خبر من نسيج الخيال.

ومهما يكن الأمر فعلى النسخة المذكورة وغيرها كانت منشأ عناية القروانيين المبكر بالمتني، ومن أوائلهم عبد الكريم النهضلي الذي استشهد بشهرة في الممتع، والحصري الذي اختار منه في زهر الآداب والقرار الذي خصص به تأليفين، وإن شقيق الذي تحدث عنه كثيرًا في الحمدة، وإن شرف الذي قيم شعره في مقتمه النقدية؛ وقد نقل الوزير أبو القاسم المغربي أن المغربية كانوا يسمونه المتني، وهذا ينطلق مع التهويل الذي نجده في الممتع للنهضلي: (قيل له المتني لقطته) وأشار إلى هذا الرأي ابن شقيق في الحمدة.

ولا ننسى الإشارة إلى المتين الإفريقي أبي الحسن محمد بن أحمد المغربي الذي كان (راوي المتني) وألف (الانتصار المتني) عن فضائل المتني) رد فيه على من زعم أن شعر المتني مسروق من أبي تمام والبحتري (1) فهو وإن عاش في المشرق فإن مطلعه من المغرب.

أما الأندلس، فلدينا أخبار تشير إلى البقاء بعضهم به في مصر

(3) انظر تحليل الاستاذ غرماي غزالة لهذه القصيدة في مقاله عن المتني وابن هانئ (ترجمة د. الطاهر مكي).
(4) الصحيح المبكي، وذكر ابن شهراشوب (أن المتني لما توجه إلى مصر سمع مندنا يقول: تقديم خطي، وتأخر خطي، فإن الشباب منه فهـجر في نقال المتني: (س بن هانئ، علينا طريق المغرب وانصرف) معالم العلماء: 148، وانظر أيضاً: ابن هاني، للبحتري: 17، 296.
(5) وفيات الآخرين والمحموم: 283 والممتع: 75 ونسرة الثائر: 180 قال الصفدي: وهذا تحريف حسن من المغربية، وما يليق أن يطلق عليه المتني.
(6) رائد دراسة عن المتني: 310-311، والمصادر المحال عليها.
وسامعه منهم شيئاً من شعر أهل الأندلس، ومن هذه الأخبار ما ذكره ابن خاقان في المطلع من أن آبا الوليد ابن عيال الأندلسلي لما انصرف من الحج اجتمع مع أبي الطيب في مسجد عمرو بن العاص بمصر ففاوضه قليلاً ثم قال له: أنشدني لمليح الأندلس يعني ابن عبد ربه، فأشدته:

يا لؤلؤا يسي العقول أنيقا
ورشداً بتعذيب القلوب زَقَيقا
ما إن رأيت ولا سمعته بشيء
دْراً يعمرُ من الحياة غِيقبا.
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه
أبصرت وجهك في سناه غريبا
يا مَنْ تقطّع حُسْرَه من رقة
ما بال قَلْبِك لا يكون رَقِيقا.

فلما أكمل إنشادها استعادها ثم صفق يديه وقال: يا ابن عبد ربه، لقد تأتيك العراق حباً(6)؛ ومنها خبر لقاء ابن المستكفي المتنبي بمصر أيضاً وروايته عنه شيئاً من شعره(7)؛ ونقرأ في الذكيرة لابن بسام هذا الخبر: وحكي أن آبا الطيب المتنبي على قلة رضاء عن شعر أحد فإنه على ما ذكر عنه أنشد لجملة من شعراء الأندلس حتى أنشد قول ابن هذيل:

لَمْما وضعتٌ على قلبي يدي يدي
وصحت في بيضة الظلماء واكبدي

(6) مطلع الأنسى: 52 ونفح الطيب 3: 356، 7، 51 وابن عيال في الرواية ورد في بعض النسخ ابن غتال، وفي بعضها: ابن عيال والأهداية إلى شخصيته عسير في الجملة، والخبر أيضاً في شرح مقصورة حازم 1: 183.
(7) نفح الطيب 2: 222.
ضَخَّت كَوَايْب أَلْيَلٍ فِي مَطَالِبِهَا وَذَابَت الصَّخَرَة الصَّمَامِ مِنْ جَلَّيْدٍ
فَقَالَ: هذَا أُشَرُّ أَهْلِ الْمَغْرِبٍ.
وَمَنْهَا خِيرٌ رَبِيعٌ يَتَحَلَّثُ عَنْ تَعَلِيقٍ بَدْيِ الْمَمْنُوسِ عَلَى قُولِ الرَّمَادِيِّ:
فِي أَيٍّ جَارِحَةٌ أَصْوَانٌ مُّعَذَّبَيِّ
سَلَمَتْ مِنَ التَّعَذِيبِ وَالْتَنْكِيلِ.
وَكَانَ الرَّمَادِي لَمْ سَمِعْ قُولَ المَمْنُوسِ
كَفَى بجَسَمِي نَحْوًا أَنْتِي رَجُلٌ
لَولا مَخَاطِبِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْتُنِي
فَقَالَ فِيهِ كَلِمَةً نَأَبِيَ فَعَالَمُهُ المَمْنُوسُ بِالْمَثْلِ وَجَزَاءً مِنْ جَنِسِ اْنْمَالٍ.
وَنَشَرَ بالِمَنَاسِبَةِ إِلَى قُوْلَةَ شَيْخٍ الآدِبَ بِالأَنْدِلْسِ فِي حَيَاةِ الرَّماْدِيِّ وَالمَمْنُوسِ:
فَفَتَحَ الشَّيْخُ بَكَنْدَةً وَخَتَمَ بِكَنْدَةً يَعْنُونُ اَمْرًا الْقِيسِ وَالمَمْنُوسِ والرَّمَادِيِّ.
وَمَهَآ يُكَنِّ نَصْبُهُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنَ الصُّحَةِ فَمَنْ مُؤْكَّدُ أَنْ شَعْرٌ
المَمْنُوسِ وَقَبْلَ اْنْدِلْسِ فِي حَيَاةِهِ، فَقَدْ اِسْتَشْهَدَ بِهِ المَسْتَنْصَر
الأَمْرَيِّ (٩)، وَوَجَدَ صَدَاً عِنْدَ شَاعِرٍ قَرِيبٍ مِنْ زَمَنِ المَمْنُوسِ هُوَ أَهْمَدٌ بن
فَرْجُ الْجِبَاتِيِّ (١٠)، وَقَدْ نُسِبَ بَعْضُ المَصَّارِدِ شَرْحًا لِّشَعْرِ المَمْنُوسِ إِلَى
الآدِبِ اللَّدْوِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي الْقَرْطَبِيِّ الْمَتَوَفِّيِّ سَتَةٌ ٣٥٤ هـ
وَهِيِّ اْلَسْتَنَةِ الَّتِي تُوْفِيَ فِيهَا المَمْنُوسِ (١١).

(٨) الدَّخِيرَةَ (١٦; ٥١٤ - ٥١٥)؛ (١٠) جَذَوَّةُ المَقْتِسِ: ٣٤٧.
(٩) المَصَّرُ الَّذِيْنَ: وَفِي طَرْقَةِ الْآدِبِ الَّذِي رَتَّبَ الْفَشْتَالِيَّ. قُصَةُ مَسْنُوَةٍ إِلَى مِنْ أَسْمَاهُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْإِسْبَلِي خَادِمُ المَمْنُوسِ، وَلَكِنْ بِدُوْنُ أَنَا هَذَا مَوْضُوْعَةً. تَرْتِيبُ الْآدِبِ. ٢٦٤ مَخْطَوْطَ.
(١١) المَقْتِسِ: ١٩٩ تَحْقِيقَ أَبِي الرَّحْمَٰنِ بِحْيَى.
(١٢) الدَّخِيرَةَ قِبْلَةٌ مِنْ مَطْرٍ. ٢٤٥ - ٤٨.
(١٣) إِضَاحُ المَكْتَوبِ ٢٧٢: ٥٢٧ وَهَذِهِ الْعَارِفَةُ. ٤٤.
وهكذا عرفت الأندلس شعر المتنبي في وقت مبكر وذلك بوسائط متعددة؛ فقد نقله إليها أول مرة زكرياء بن بكر المعروف بابن الأشج (310 - 393 هـ) وكان قد رحل من الأندلس إلى المشرق فلقي أبا الطيب بمصر وأخذ عنه شعره رواية، ونجد سند هذه الرواية بين أحد عشر سنداً أثبتها ابن خير في فهرسته؛ وثمة أندلسي آخر شافه المتنبي في مصر أيضاً، وأدخل شعره إلى الأندلس وهو أبو عبدالله محمد بن قادم القرطبي (15).

ورويته موجودة في أساليب ابن خير المذكورة، ويبدو أن رواية ابن قادم كانت مدوّنة في نسخة ظلت متداولة في المغرب حتى عصر المنصور السعدية وكانت من أصول الديوان المختلفة التي اعتمد عليها الفصلي في ترتيب ديوان أبي الطيب، جاء في هذا الترتيب (ص 283): (وممّا ليس في كتاب ابن قادم ولا رواها أكثر الرواة قصيده في سيف الدولة: أصدوداً هجريتنا أم دلالاً حين أظهرت جفوّة واعتلالاً)

وقد ورد ذكرها في الترتيب المذكور أكثر من مرة.

غير أن الرواية المشهورة لشعر المتنبي في الأندلس هي رواية الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف، وهو لم يلق الشاعر وإنما أخذ شعره عن راويين له في مصر، هما أبو الطائي وإبراهيم المغربي (16). ثم عرفت البيات العلمية في الأندلس بعد هذا روايات أخرى في...

---

(14) له ترجمة في تاريخ ابن الفضلي 1: 179 وترجمة الملتمس رقم 744.
(15) فهرست ابن خير: 403.
(16) وترجمة الراوي 1: 542 والذكرى لأبي أحمد بن نجم. (الديوان 2: 81)
(16) أبو بكر الطائي هو الذي خطاه المتنبي ببيتين ذاتين عندما نام وهو ينامه (الديوان 2: 81).
 الشعر المتنبي لعلها أن تكون أكمل من سابقاتها، ومنها الروايات التي أدخلها أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني الذي وقف على الأندلس سنة (406هـ) (17)، وأبو الحسن علي بن إبراهيم التبريزي الذي دخل سنة 421 هـ (18)، وأبو عبد الله محمد بن البر الصقلي الذي دخل سنة 460 هـ (19).

تورد فيما يلي نماذج من بعض أساليب شعر المتنبي في القرن السادس من خلال فهرست ابن خير:

1-
المتنبي
↓
أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي
↓
ابن العريف
↓
ابن الإفليلي
↓
عبد الملك ابن سراج
↓
جعفر بن مكي
↓
ابن خير


99
2- المتنى
   ↓
أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي
   ↓
ابن العريف
   ↓
ابن الإفليلي
   ↓
الأعلم الشتامري
   ↓
ابن فنده
   ↓
ابن خير

3- المتنى
   ↓
أبو بكر الطائي وإبراهيم المغربي
   ↓
ابن العريف
   ↓
ابن الإفليلي
   ↓
ابن بقنة
   ↓
ابن أبي الخصال
   ↓
ابن خير
4.
المتنبي
↓
ابن الأشج (زكرياء بن بكر)
↓
المصحفي (هشام بن محمد)
↓
المصحفي (محمد بن هشام)
↓
ابن معمر (محمد بن عبد الرحمن)
↓
ابن خير

5.
المتنبي
↓
ابن قادم (محمد بن أحمد)
↓
المصحفي (الأب)
↓
المصحفي (الابن)
↓
ابن معمر
↓
ابن خير

101
المتلمص
↓
أبو بكر الطائي
↓
ابن العريف
↓
المصحفي (الأب)
↓
المصحفي (الابن)
↓
ابن معاصر
↓
ابن خيبر
المتلمص
↓
الباري
↓
الجرحاني
↓
mفصفي (أبو بكر محمد)
المتنبي
↓
الزبيري (علي بن عيسى)
↓
الجرجاني (ثابت بن محمد)
↓
المصافي (أبو بكر محمد)

المتنبي
↓
التاني (علي بن أحمد)
↓
الجرجاني (ثابت بن محمد)
↓
mصافي (أبو بكر)

المتنبي
↓
عبد السلام بن الحسين البصري
↓
الجرجاني (ثابت بن محمد)
↓
mصافي (أبو بكر محمد)
تتكلم أسابيع فهرسة واحدة هي فهرسة ابن خير، والواقع أنه لا يكاد يخلو أي برنامج أندلسي مهم من التعرض لأسابيع الأندلسيين في شعر المتنبي.

ومن برامج القرن السابع التي تحفل بهذه الأسابيع برنامج أبي جعفر أحمد بن يوسف اللبلي الذي يروي شعر المتنبي بأسابيع أندلسية وشامية ومصرية تبلغ 7 أسابيع.(20)

وبرنامج ابن أبي الربيع الإفريقي ثم السبتي الذي يحمل شعر المتنبي عن الشلويين عن ابن مضاء عن ابن أبي الخصال عن ابن بقية عن ابن الإفريقي عن ابن العريف عن أبي بكر الطائي وأبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله المغربي عن المتنبي (21).

وكان أصل أبي عبدالله ابن أبي الخصال المذكور في سنة ابن خير وفِي هذا السن من شعر المتنبي ممّا يتناسف فيه أهل العلم، وقد آل إلى

(20) رحلة ابن رشيد 2: 249 - 250 تحقيق الشيخ ابن الخوجة.
(21) برنامج ابن أبي الربيع مجلة معهد المخطوطات العربية (نوفمبر 1955) ص 271.
الأديب الحسيب أبي بكر محمد ابن محز البلنسي مستوطن بجاية، ثم أهداء إلى الحاكم العالم سعيد بن حكم الفرشي أمير جزيرة مقرة(22) الذي كانت عنه نظائر للأصل المذكور.

وكان غلاف هذا الأصل قد تلاؤل بكثرة التداول والاستعمال فعنى الأمير المذكور به وكساء حلة ما فوقها حلة، وهذا ما يشير إليه في جملة شعر كتب به من من Crate إلى أبي بكر ابن محز في بجاية:

فَلَيْلَهُ شَيْعُرُ أَبِي الطَّيِّبِ الَّذِي
يَنْبِطُ فِي مَهْدِيهِ طَابٌ
أَفَادَ خَصَالُ الخَصَالِي وَهُمْ
يَلَفَّانِ مِنْ فَطْرِ هَامِ السَّحابِ
فَلَمْ يِرْ إِلَّا انسِياقاً إِلَى
نَظَائِرٍ عَنْدَيْهِ لا وَسَيبِبٍ
وَلَا غَرَوُّ إِنْ بَرَّ حُصَّنَ اللَّبْوِ
سُ فَالْفَضْلُ لِيُسْ بَلْسُ الْثَّيَابِ
ولِسْ الْكَهَامُ الْظَّبيْ ما
ضَيِّ الْذَّنَابِ بِحَالٍ بِحَالِي الْقَرَابِ
أَلَا إِنَّمَا الْفَضْلُ تَحْتَ الْثَّيَابِ
أَلَا إِنَّمَا الْفَضْلُ تَحْتَ الْإِهَابِ
سَأَكْسُهُ هَيَّةً يُقَتْضِي
بَهَا هَيَّةً مَا اقْتَضَاها كِتَابٌ(22)

ومن برامج القرن التاسع في الأندلس برنامج أبي عبدالله محمد بن عبد الملك المتوري، وله سنن في شعر المتنبي ذكرها كما يلي:

(22) مخطوط الاسكوربال رقم 520.
كتاب شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي المتنبي
الكوفي. قرأت بعضه على الأستاذ أبي عبدالله محمد بن محمد بن منصور وأجازني جميعًا، وحدثني به عن الأستاذ أبي الحسن علي بن سليمان
القرطي عن أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص عن
الخطيب أبي الحسن علي بن محمد بن يثرب عن الحافظ أبي طاهر
أحمد بن محمد السلفي عن أبي زكريا التبريزي عنه.

وحدثني به القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي إذنًا عن
المحدث نور الدين أبي الحسن علي بن عمر الوالي كتابة على الشيخ أبي
القاسم عبد الرحمن بن مكي بن الحاسب عن جدث للام الحافظ أبي طاهر
أحمد بن محمد السلفي عن أبي زكريا التبريزي.

قلت: وهذا الإستاد ساويت الأستاذ أبا عبدالله (23). وهذه الأسانيد
الأندلسية التي أوردها إنما هي على سبيل المثال، ولا نبعد إذا قلنا إنه
كان لكل دبيب مشهور رواية في شعر المتنبي، وفي هذا ما بين عناية
الأندلسيين بتناقل هذا الشعر وتدارسه منذ ظهوره حتى آخر عهود الفردوس
المفقود.

وقد انتشر شعر أبي الطيب في صقلية بواسطة علي بن حمزة اللغري
راوية المتنبي في مصر، وكان قد انتقل إلى بلغرم حيث توفي سنة
375 هـ (24).

وانثر كذلك من طريق محمد بن البر الذي روى شعر المتنبي في
مصر أيضاً سنة 413 هـ عن ابن رشدين عن المتنبي، ورواه عن ابن البر
جماعة من الصقليين منهم عبد الله بن محمد الصيبري سنة (549 هـ)
واحسن القطاع.

(23) مخطوط الخزانة الحسينية بالرباط.
(24) له ترجمة في إرشاد الأزاي 13:208 - 209 ويغبة الواعية 2:165 وانظر: العرب في صقلية
للدكتور إحسان عباس: 93 - 95.
الذي سنذكره مع شراح المتنبي فيما بعد(25).

وكان لأبن شرف وأبن رشيق وغيرهما من أدباء القروان الذين هاجروا إلى صقلية أن تؤدي ذلك في نشر شعر المتنبي بهذه الجزيرة(26).

وأما في المغرب الأقصى فلا يُعرف متي درس فيه شعر المتنبي، وذلك لضياع أخبار المراكز الثقافية الأولى، ولكننا نُقدر أن شعر المتنبي عرف في المغرب بواسطة الأندلس.

وقد ذكرونا في الفصل السابق أن أقدم سند لمغربي وقتنا عليه في شعر أبي تقاس هو سند القاضي عياض في برنامجه المسمى بالغنية، ويبدو أن له سندا في شعر المتنبي بواسطة شارجه ابن السيد البطليبي وغيره من الأندلسيين الذين أجازوه(27).

ولذا بدأ ابن موسى الجزولي كان له سند في شعر المتنبي إذا إله اختصر أقدم شرح لهذا الشعر وهو الفسر لأبن جنكي، وقد يكون ذكر سنده أو أشار إليه في مقدمة شرحه.

كما أن ابن خير الذي ذكرونا أسانيده فيما سابه هو فاسي المولد.

والنشأة استوطان إشبيلية وروى عن علماء الأندلس.

ويمكن القول على العموم بأن أساتذ الأندلسيين في شعر المتنبي التي عرفت خلال عهود المرابطين والموحدين والمغريين عرفت في المغرب أيضاً نظراً لما كان بين العدوانين من روابط الوحدة.

وسترى فيما بعد كيف أن مراذ الأندلسي السعدي العلمية كانت تحتوي على نسخ متعددة من ديوان المتنبي كلها عنيفة ومنسوبة ومرورية ومجازة(28).

(25) تكملة ابن الأبار 2: 672 (وانظر كذلك رقم 367 في الملحق).
(26) ديوان المتنبي في العالم العربي: 44.
(27) راجع الغنية.
(28) انظر مقدمة ترتيب ديوان المتنبي للفشتالي في الفصل الخامس.
ب- الشرح:

لم يحظ ديوان من دواوين الشعر القديم بمثل ما حظي به ديوان المتنبي من حيث الاهتمام بشرحه والعناية بتفسيره، وقد تجاوزت شروحته الأربعين شرحًا، يقول ياقوت: «لم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح هذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان».

وقد كان للأدباء المغاربة - بالمعنى الواسع - سهم كبير وحظ وفير من هذه الشروح سواء من حيث الكم أو من حيث الكيف.

وإذا تابعنا مذيل كشف الظنون فإن أقدم شرح أندلسي لشعر المتنبي هو الذي نسبه إلى محمد بن أبان القرطبي، وهو أمر لم يرد له ذكر في المصادر القديمة.

ولعلّ أبا القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا القرشي الزهري القرطبي المعروف بابن الإفلي (410 - 476هـ) هو أشهر شارح أندلسي لشعر المتنبي وما يزال شرحه مخطوطة، وتوجد منه نسخ في خزائن المغرب وغيره؛ وقد عرف هذا الشرح قديمًا في المغرب والمشرق وأثّر عليه العلماء، وأفاد منه شرح المتنبي من المشاركة كالعكبري الذي ذكره في مصادره ونقل عنه كثيرًا، واهتم به الأندلسيون في عصر صاحبه وبعد عصره، فالفينج ابن حزم كتابًا «في التعقب على ابن الإفلي في شرحه لديوان المتنبي» ورد أبو محمد عبدالله بن أحمد النباهي تلميذ ابن

(29) إرشاد الأريب لياقوت ووفيات الأعيان 1: 121 تحقيق د. إحسان عباس.
(30) إيضاح المكون 1: 527 وبداية العارفين 2: 44.
(31) أنظر تعريبًا بهذا الشرح ومخطوطاته في كتاب تاريخ النقد الأدب في الأندلس: 94 - 116.
(32) شرح العكبري 1: 241 - 242. القاهرة 1308 هـ. وانظر ما قيل في شرح ابن الإفلي في شرح المتنبي.
(33) رائد الدراسة عن المتنبي: 54 - 55.
(34) تلميذ ابن الخطيب، رائد الدراسة عن المتنبي: 73.

108
الإفلافي، أبو محمد ابن حزم، لا يوجد لهذين الكتابين اليوم.

لا توجد بين أيدينا ديباجة شرح ابن الإفلافي، ولعله تحدث فيها عن طريقه أو منهجه في الشرح، وقد درس الدكتور الداية هذا المناهج في ضوء نسخة الخزائنة العامة بالرباط وال المتحف البريطاني ونما نسختان ناقصتان إذ أنهما لا تحتويان إلا على جملة من السيفيات، وتوجد من شرح الإفلافي نسختان ناقصتان بدون ديباجة وهما تشملان على الشعر الذي قاله أبو الطيب من أول السيفيات إلى آخر حياته، وهذا هو القسم الذي يمكن ابن الإفلافي من شرحه قبل وفاته ثم أكمل القسم الآخر وهو ما يعرف بشعر الصبا تلميذه الأعلام كما سبأى، والقصيدة الأولى في نسخة الخزائنة الحسنية هي:

وَفَاغْرَبُكَمَا كَالْرِّبعُ أَشْجَعُ طَابِمُهُ

بُنَانِ شُمعًا وَالْدِمْعَ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ

والثانية، أما آخر قصيدة في الشرح فهي التي قالها المنتمي في وداع عضد الدولة:

فَلَكَ مَنْ يُقْصَرُ عَنْ نَداكا

فَلَا مَلِكٌ إِذْنَ إِلَّا فَداخلا

ويكاد ما قال كما بنص المصادر ونسخ الديوان.

إن طريقة الشرح في هذا القسم الذي لم يقم عليه الدكتور الداية لا تختلف عن القسم الذي حلله في رسالته الجامعية، فابن الإفلافي يقدم أولًا شرح الألفاظ التي تحتاج إلى الشرح ثم ينتقل إلى شرح المعاني ويبان في خلال الشرح إلى جزيئات نحوية أو بلالغية، كما يستشهد عند شرح الألفاظ أو المعاني أحيانًا ببعض الشواهد من الشعر القديم أو من الشعر المولد، ومن أمثلة ذلك استشهاده بشعر الأخطل عند شرحه بيت المنطي:

تَفَقَّى وَقُفْ أَطْرافَ الرُّماحِ بَسْيَفِهِ

وَلَمْ يَحْضَنْ وَقُفْ النَّجمِ وَالْدِّبَّرَانِ
قال متحدثاً عن النجم والدبران: "وهما من منازل القمر، وليس في جميع المنازل منزلتان تقارب تقاربهما، وتسمي العرب ما بينهما ضيقة، ويتشاهمان بمواجهةهما. ولذلك يقول الأخطل وهو يهجو سعيد بن بيان التغلبي وكان نزوج بمرة بنت أبي معاين التغلبي، وكان الأخطل يشبه بها فقال:

وكيف يدأويني الطبيب بن الجوّي
وبمرة عند الأعوين بن بيان
فهلآ زجرت الطير إذ جاء خاطباً
بضيقة بين النجم والدبران"

وقال في شرح قوله:

من الجذر في زو الأعارة
حمر الخليل والمطباش والمجلابة
وحمر الجلابيب من حسن الملابس وأناق المناصر وقد ذل على ذلك بشار بقوله:

حذى ملابس زينة
ومصبغات فهي أشهرين
وإذا خرجت تقنعني
بالحسن إن الحسن أحمر

وأبن الإفيلي معجب بالمنتي ويشعره، وللهذا نجد يتعقب غله.
بالانتقال ببعض الشراخ فعندما شرح قول المنتي:

لَوَ القَلَّةَ الدَّوَّارَ أَبْعَضُ سَعْيِه
لَعَوْقَهَا شَيْءًا عَن النَّذَورَانِ

اكتفى بقوله: "وهذا الكذب من الشعراء ومتلَّه قد فهم أهل اللغة"
القصد منه وعلم المرأة، وذلك أن الشاعر إذا أراد أن يوجب لوصفه بلوغ
غاية ما يمكن نسب إليه في تلك الجهة ما لا يمكن فعله السامع عند ذلك
أن الشاعر لم يقصد إلى إجالة نظرة والإسراء على نفسه ولكنه قصد إلى
استيفاء الغاية وبلوغ أبعد أسباب النهاية وسهلت له اللغة بمعرفة قصده ما
يتقلده من المجال في ظاهر لفظه((34)).

ويصل بهذا الشرح اتصالًا وثيقًا بل يتعلق به التضامن شرح الأعلم
الشثري، وهو خاص بشرح قصائد الضبا من شعر أبي الطب المتنبي،
وهيذا سماه الأعلم في مقدمة شرحه على حماسته((35)، وسماء كذلك
الدبيعي في الصبح المني((36)، وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أن
الأعلم "ساعده شيخه ابن الإفيلي على شرح ديوان المتنبي((37) وعلق
الدكتور رضوان الداية على هذا قائلًا: "ولا ندري معنى هذه المساعدة
ولا مقدرها..." ثم قال: "ولعل ما بينهما في أمر الديوان مثل ما يكون
بين الاستاذ وتلميذه النجيب من باستفادة مباشرة، وقد يكون الأعلم دون
شرح أستاذه((38) والحق أن العبارة المذكورة تضح لمن وقف على شرح
الأعلم، ومن حسن الظن أننا وقينا على قسم كبير من هذا الشرح، وهو
مصنف مع ما يسمى بالخروج في خزانة القرويين، وقد ظل مجهولًا لكون
هذه الخروج لم تكتشف إلا بعد صدور النهض القديم للخزانة الذي يعتمد
عليه بروكلمان وغيره؛ وتدلنا مقدمة هذا الشرح على جملة أمور:

منها أن ابن الإفيلي توفي قبل أن يكمل شرح الديوان حيث إنه لم
شرع منه إلا نحو النصف من جملة شعر المتنبي، وبيقي عليه قسم من
شعره وهو الشعر الذي قاله الشاعر في صياح فنهض تلميذه بشرحه ليكون

(34) مخطوط الخزانة الحسنية.
(35) مخطوط الخزانة العامة رقم 101 د.
(36) الصبح المني 1: 426.
(37) وفيات الأعيان 7: 811، وانظر كذلك إنشاء الرواة 4: 60 ومعجم الأدباء 7: 307.
(38) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: 118.

111
كما يقول في المقدمة: «هذا الشرح موصولاً بشرحنا المذكور، وضافةً إلى تأليفه المشهور، فيكمل بذلك جميع الشعر مشرحاً» ويدمج الأعلمنا إلى أن الغاية من تكلمته شرح استاذه بشرحه هي أن يستغني بهما عن شرح أبي الفتح ابن جني وغيره ثم يبين رأيه في شرح ابن جني الذي يعتبر أقدم شرح لشعر العربي المبتدئ قائلاً: "تصفحته وإشرفت عليه فألقته متشاغلاً فيه ببعض اللغة والتصريف والإعراب عن تحقيق المعاني وتبين الأغراض، ورأيته خطأ في تأويل المعاني أكثر من إصابته فيها وإعراضه عن تبعين المشكلات منها أكبر من إقباله عليها، وليس هذا قدحاً في علمه، ولستاريئاً إلى ظله وهمسه، ولكن معاني الشعر كثيراً ما زال العلماء في تأويلها، وضلوا عن نهج سبيلها، وذكروا عجز كثير من العلماء عن التقصير منهم فيها ولذلك قال أبو عمر بن الولاء: العلماء بالشعر أقل من الكريت الأحمر، وقال الأصمعي: فرسان الشعر أقل من فرسان الحرب»، ونحن لا نعد هذا الكلام من قبيل التعالم الفارغ أو الدعوى العريضة لأن الأعلم بشروبه المتعددة والمتنوعة للنصوص الشعرية الجاهلية والإسلامية يأتي في الصف الأول بين الشراح الأقدمين على الإطلاق، كما أنه لم يكن الوحيد الذي انتقد شرح ابن جني فقد كتب ردود متدلَّدة عليه، وقد نفهم من كلامه إحساساً بمعنى الكتاب الأندلسي واتجاهًا إلى الاستغناء به عن غيره، ويعبر الأعلم في فقرة من مقدمته إلى طريقته في الشرح يقول: "وقد شرحت هذه الجملة المذكورة من شعره شرحناً يقتضي تفسير غريبه ومفعانيه ويحتوي على تقرب أغراضها ومراميها، ويسهل الصعود إلى معاجها ومرافها، وضمته التنبؤ على محاسن أبي الطيب في شعره ومساواه مما استحسن له أو قدح فيه، وإن عن من الإعراب شيء يحتاج إلى ذكره مما يتحقق به معنى أو"

(39) مخطوطات خزانة الفروين.
(40) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس: 287 - 287 ورائد الدراسة عن المتنى: 86، 186.
يتبين له لفظ أو تقع معه فائدة ذكرتهْ(41)، وفي آخر المقدمة يبطل الأعلام
الثناء والدعاء للمعتضد العبادي صاحب إشبيلية ولولي عهد المعتمد الذي
ألف الكتاب برميه كمأجت عادة الأعلام في إهداء مؤلفاته(42).
وتدلنا القراءة السريعة للقطعة الموجودة من شرح الأعلام على أنه سار
فيه على منهجه المذكور وهو منهج مبني على التركيز والإيجاز والقصد
والاعتدال إذ تندر فيه الروايات والأقوال وترد فيه بين الحين والحين بعض
الشهاد من الشعر القديم والمحدث، وقد أشار مرات إلى ابن جني
(43) وذكر الوحيد مرة(44) وأنبه له بكلمة في انتقاد المتنبي، وثمة فقرة في هذه
المقدمة تشير إلى وقوف الكتاب الأندلسي على قدمه، وذكر الشكوٍ ممن
يقف الإحسان على ما هو مشرقي أو ينسب الفضل إلى القديم فحسب،
وهكذا قوله: "أرجو أن يكون هذا الشرح كافياً لمن أنصف، شافياً [لمن
أولي] الإحسان لصاحبه واعترف، وتبكي عن طريق البغي والحسد،
وأعرض عن الاعتلال بالبصر والبلد، ونعوذ بالله من العجب بما نحسن
وتعلم، كما نعوذ به من الادعاء لما لا نعقل ولا نفهم، وهو حسبنا ونعم
الموكيل"(45) وستكبر هذه الشكوٍ عند ابن بسام في مقدمة اللخيرة
والحميري في مقدمة البديع في وصف الربع وعنده غيرهما فيما بعد.
وقد أعدنا الموجود من هذا الشرح وننوي إصداره قريباً بحول
الله، وفيما يلي نموذج منه:
وقال أيضاً في صيحة:

(41) المصدر أعلاه.
(42) نجد هذا في مقدمة شرح الأشعار السنة ومقدمة شرح شواهد كتاب سيويع ومقدمة شرح
ترتيب الحماسة.
(43) المصدر أعلاه.
(44) المصدر نفسه.
(45) المصدر نفسه.

113
أرق عَلَى أرق ومثلي بَأَرقُ
وجوُي يزيد وعبhra تترَقرَّقُ
جهد الصبابة أن تكون كما أرى
عين مسهدة وقلب يخفقُ
ما لاح برقت أو ترم طائر
إلا أنسنت ولي فؤاد شقيقُ

الأرق: السهر، والجري، فساد الجوف، والعبرة الدمعة، وترقرقها تردها في العين، والجهد بلوع الغابة في كل شيء، والصبابة رقة الشوق، ولاج البرق إذا لم، واشنثت رجعت وصررت، يقول: أرق متناضح، وجواي متزايد، ودمعي مترفق، ويثلي مثن عشق عشقي، وفوجيء بثالث فرائي لألغي، يارق ويسهر ويجوي ويسعير، ثم بين جهد صبابة وشدة حزنه بما وصف من تسديد عينته وخفقات قلبه، وذكر أن البرق وترنّم الحمام يرفعه على الحزن ويحلج ما سكن من لاعج الشوق، وذلك لتذكره بالبرق وتيس الحبيب وترنّم الحمام فقد الإله والأنس.

جرِبت من نار الهوى ما تنطفي
نار الغضى وتتكمل عمّا تحرقُ
وعذبت أهل العشق حتى ذفتُ
فعجبت كيف يموت من لا يعشقُ
وعذرتهم وعرفت ذنبي أنتي
عبرنهم فلقيت فيه ما لقوا

نار الغضى أشد النار أهباً، وهو شجر يضرب المثل بجمهر، فيقال: نار الهوى، أشد من نار الغضى، فلو جربت في إحراس شيء لطفقت نار الغضى وكبت عما تحرق نار الهوى، وألزم همزة تنطيضي التخفيف والبدل ضرورة، ثم قال: كنت أعلّى أهل العشق على ما يبدو منهم من الحزن

114
والضَّعْفُ حتى بُلِيَّتْ به وَجَرِينُهُ [ فَعَرَفَتُ أَنّ من يعشق يموت ]، وعجِبَت
من كل من يموت دون عشق، وعذرتهم فيما يظهرون من الحزن وعلمت
أتي مذنب في تَعْبِيرِي لهم به فلقيتُ فيه مثل ما لقوا عقوبة وجزاء وَمِن
أمثال العرب: مِنْ يَرَى يَومًا يَرَى به والدهر لا يغتر به.

أَبِيِ أَبِنا نحنُ أَهْلُ منازِلٍ
أَبِدًا غَرَابُ الْبَيْنِ فيها يَنْعَقُ
نبكي على الدُنيا وما مِن مَعْشَرٍ
جميعهم الدُنيا فلم يَتْمَّرُوا

قوله: أَبِيِ أَبِنا كقولك يا إخواتي، وأراد بَغْرَابَ البَيْنِ ذاقي الموت
ونقل لفظ الغَرَابَ إلى الوعظ، وهذا من عاداته لحذقه وحسن تصرُّفه، ويقال
 negócio الغراب بالغين معَجمة، وقد يقال نقع بالعين. ومعنى أن كل منزل
فلا بد من حلول الموت بأجله، وكل مجتمع إلى افترئ، فَلِم نبكي على
dُنيا وَلَم نحزن على ما فات منها:

أَيْنَ الأكاسرةُ الجَبَّابَرةُ الأَلْيَى
كَتَبَوا الكُثُورُ فَمَا بَيْنَنا وما بَقِوا
مِن كُلّ مِن ضَائِقَةِ القَضَاءِ بِجِبَيلٍ
حَيْثُ نَرُوَى فُحُولًا لَحَدِ ضَيِّقٍ
جَرَعَ إِذَا نُودَوْا كَانَ لَم يَعْلَمُوا
أَنَّ الكلامَ لُهُمْ خِلالَ مُطَلَّقٍ

الأكاسرة: مُلُوكُ الفرس، وأجَدَّهم كسرى، وهو جمع على غير
قياس، والجبابرة: جمع جبائر، ويقال أيضاً جَيْرٌ، والأَلْيَى: في معنى الذين
لا واحد له من لفظه، والقضاء: ما تسمع من الأرض، يقول: يَمِن مَضْيٍ
من الملوك الجبابرة عظَّةٌ لِمَن بقي ومعنى نَرُوَى عَظَّةٌ مَا تميت هناك، وهو بالثاء ثلث.
فالموت آتٍ والنفس نفاس
والمعجز بِمَا ذَيَّه الأَحْمَقُ
والمَرْءُ يَأْمُرُ والحياة شهية
والشَّيْبُ أَوْقَرُ والشيِبَة أَنْزَقُ

النفس: جميع نفسة، والمستعر: المغتر، يقول: لا بد من الموت
وحلوه بالنفس وَإِنْ كَانَتْ نفيسة شريفة فلا يرجع عندها لفاستها، ومن اغتر
بما لديه من أعراض الدنيا وأفعالها وصالح أحوالها فهو أحق ضعيف
التميز والرأي، ثم وصف الأحوال في الدنيا وعظاً وراديًا فقال: العمر يأمل
ابداً ما لا ينال ويشتهي من الأشياء ما لا يدوم له وبطرأ عليه من الشيب ما
يكره وَإِنْ كَانَ أَذَىٰ إلى الوقار من الحداثة والشيَبَة، ويرحل عنه من
الشباب ما يسُوءه رحيله وإن كان ذلك أذىٰ إلى النزق والحنكة.

وَلَقَدْ بَكِيتَ عَلَى الشَّيْبَ وَلَمْ تَضَغَوْ
مُضَغَوْنَةً وَلَمَّا وَجَهَي يَرْتَنُعُ
حَذْرَه أَوْلَى قَبْلَ يَوْم فِرَآٰهَ
خَيْتَ لِكِدْتُ بِمَاءٍ جَفْنِي أَشْرَقُ

اللَّهِمَّا مِن الشَّعْرِ مَا أَلَّمَ بِالْمَنْكِبِ والرَّوْقَن الحسن والضارية
والشَّرَق: العَصص بالماء فإن كان بالربيق فهو حرظ وَإِنْ كان بالطعام فهو
غضض، أي بكيت على الشباب قبل فقدته حذراً عليه وِإِشْقَاقاً من ذهابه
فلم يفعني ذلك.

أَمَّا بَنِى أُوس بْنِ مَعْن بْن الرَّضِي
فأَعْرُ من تَحْذِيٌ إِلَيْهِ الأَنْبِيَّ
كُبرت حول ديارهم لما بدَّت
منها الشمس وليس فيها الشَّرْقُ
الأين: جمع ناقة، والأصل فيها أثْرُ فَحَذَتْ الراو استقلالًا لها
وعوضت اليا، من ذهابها، ويجوز أن تُبَذَّل اليا، من الراو لأنها آخذت منها
وقلبت اللفظة لتسكن اليا. يقول: هم أعرُ من وَفَّدَ إله وأكرَ من نُزَّل
عليه، وهم في الاستضاءة بآرائهم وحسن مظاهرهم وسِمَّىهم كالشمس
فكان ديارهم شمارق الشمس فإن لم تكن في حي المشرق يريد أن
ديارهم في ناحية المغرب.

وَعِيَّنَت من أرض سحاب أكفرهم
من فوَّاقها وصخورها لا تورُقُ
وتفوح من طيب البناء روائعُ
لهم بكَلِّ مكانة تُستَنْشَقُ
مسكيّة النفاحات إلا أنَّها
وحشية بسواهم لا تُغَبِّقُ

يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة، ودار ودارة، وإزار وإجازة ومغنى
ومغناة ومجرى ومجرأة وريحة. يقول ذكرهم منثشر طيب كما أن
جودهم منّصل شامل، فعجاً من أرض تولى فيها أمور جودهم، ويرى بها
مع ذلك أثر فقر على بعض ساكينها وضرب الصخور لذلك مثلًا وذكر أن
روائع نائهما كالمسك وأن ثناها منهم لأنهم أهلها ومشهورون بها وأنَّها
وحشية مضرة بغيرهم لا تُعْقِب أي لا نفوذ ولا نظيب لأنهم ليسوا من أهلها.

أُمِرَت بطلِ محسَن في عُصْرَينا
لا يُبَذَّل بطٍّ وَلَا يُتَّحُقُ
لم يخلق الرحمن مثل محسَن
أحداً وطَيَّه أَنَّه لا يخلقُ
يقول: من طلب مثل هذا المدروج في عصره فقد طلب ما لا يدرك
ولا يُلْحَقَنٌ ثُمَّ عَلَّام في وصفه فقطع على أن الله تعالى لم يخلق مثله فيما
مضى وَشَكَّ في أن يخلق مثله فيما بقي لأنه قد علم ما كان في مضى من
الزمان ولم يعلم ما يكون بعد، وَرَبَّاهٍ لَّها يَسْتَقِبَلَ بالظن إثبات لدعوته
بينما قطع عليه في... الماضى بزمته:

يا ذا الذي يُهَبُ الكثيرة وعنده
أنبه عليه بأَحْذِهِ اتَصَدَّقُ
 amatrعلَيْ سَحَابٍ جَوْيِكَ ثُرَةً
وانتظر إِلَى بَرْحَمَةِ لا أَغْرَقَ
كذَبَ ابن فَاعِلِهِ يقول بِجَهْله
مات الكرام وأنت حي تُرْزَقُ

المتصدّق: المعطي، وقد يكون السائل، قال الشاعر:

لَو أنهم زَرَقوا عَلى أَقدارهم
الْقَبْتَ أَكْثَرَ مِنْ تَرْزَى يَتَصَدَّقُ

والبيوت مأخوذ من قول زهير:

نَرَاهُ إِذَا ما جَعَلَهُ مَتِهِْلَلا
كَانَكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنتَ سَائِلٌ

ولم يرد أنه حريص على الأخذ، وإنما يريد أن سروره بما يهب
كرسروه، وسرور غيره بما يهبه له على ما غَهِد وتعود، والثرية والثراثة
الغزيرة، يقول إن لم تتلاقى برحمة منك وإشفاق عليك غَرَقت في تيار
جودك أي إن لم تُقصر عن بعض ما يهبه لي من جزييل هباتك أفضى بي
السرور بتواليها وكثرتها إلى الموت وهذا كقول أبي تمام:
لهُ تُشْتَهِرُ العقُلُ لَوْلَا اتِصَالُهَا
بِحَسْنِ دِفاعِ اللهِ وَسُوْسَ سَيَأَلَةً
وأرادَ بابِنِ فاعِلَة ابْنَ زَانِيَة، فَكَتَبَ عَنْهَا، يَقُولُ عَنْ زَمَنَ أنَّ الكَرَامَ قد
انفرضوا فَكَذَبَ لِأَنَاَكَ تَنْبَثُبْ مِنَا بَعْضٌ جَمِيعَهُمْ مَا حَيْتِهِ.

وَعْمَةُ شَرَحِ أَنْدالِي ثَالِث وَقَالَ إِلَيْنَا لَكَذَٰلِكَ لِحَسَنِ الْحَكِيمِ وَعْيُنِي بِهِ
شَرَحَ مَشْكُولَ أَبَيْتَهُ الْمَتْنِي لَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيَّ بِنْ سَبِيدَة مَؤْلُفُ الْحِكَم
وَالْمَخْصُوصِ وَلَاهِمَهَا مِنَ الْمُؤَلفِينَ، وَقَدْ تَوَارَدَ عَلَى تَحْقِيقِهِ وَنَشَرَ عَدَدٌ مِن
الْمُحْقِقِينَ فِي مَصرٍ وَسُوْدَرٍ وَالْعَراقِ.

وَهَذَا الْشَّرَحُ وَإِنْ كَانَ شَرَحًا جَزِئيًا إِلَّا أَنَّهُ ذُوَ قِيَمَةٍ خَاصَّةٍ مِنْ حِيَثَ
الْتَفَتَّاهُ إِلَى ظَاهِرَةِ فِي شَرِحِ الْمَتْنِي أَسْمَاهُ الْأَقْدَمُونَ: مَشْكُولٌ أَوْ مَشْكُولَات
شَرِحِ الْمَتْنِي، وَاسْمَاهُ آخُرَانَ أَبَيْتَيْنَ الْمَعَانُي فِي شَرِحِ الْمَتْنِي، وَيُمكِنُ أَن
تَنَقِّلَ عَلَيْهَا ظَاهِرَةُ الْغَمْضِ فِي شَرِحِهِ، وَقَدْ شَغَّلَ بِهَا بَعْضُ شَراَعِهِ مِثْلِ ابْن
جُرِي في كِتَابِهِ: الْفِتْحُ الْوَهْبِي، عَلَى مَشْكُولَاتِ الْمَتْنِيَّ، وَالْأَصْفَهَانِيَّ، مَؤْلُفُهُ: الْوَضَّاحُ فِي مَشْكُولِ شَرِحِ الْمَتْنِيَّ، وَابْنِ عَبَّادُ الْمَلِكُ الْشَّتِرِيَّ، فِي
الْجَزِءُ الْرَّابِعُ مِنْ كِتَابِهِ: جَوْهَرُ الْأَدْبِ، وَقَدْ نُشُرَّ هَذَا الْجَزِءُ بَعْنَاهُ:
سَرَقَاتِ الْمَتْنِيَّ وَمَشْكُولَةِ مَعَانِيَّ وَنَسْبَ خَطَا إِلَى ابْنِ بَسَمَ الْشَّتِرِيَّ
وَفَسَتَحَّدَّتَ عَنْهُ فِيْمَا بَعْدَ.

وَيَتَمِيزُ شَرَحُ ابْنِ سَيْدَة بْمِيزةٍ وَاضِحَةٍ وَهِيْ تُعْرَضُهُ لِلْجَوْانِبِ المَنْطَقِيَّةً
وَالْفِلَسَفِيَّةَ فِي شَرِحِ الْمَتْنِيَّ وَمَعَالِجَةٍ مَوارِيْعَ الْحِكْمَةِ فِيهِ، مَعَ مَنَاقِشَة
الْقَضَائِدِ الْلُغْوِيَّةَ وَالْتَحْوَيَةَ وَالْسُِرْقُيَّةَ وَالْعَرَوْضَيَّةَ، وَلَهُ مَلَاحِظَاتٌ وَمَؤَاذِنَاتٌ
وَفَيْلَهُ، وَهُوَ فِي جُمْلَتِهِ يَمِثِلُ إِسْهَامُهَا أَنْدَلُسِيَاً كَبِيرًا فِي خَدِمَةِ شَرِح

(46) حَقَّهُ مُصْطُفِى السَّفارِ وَحَامِدُ عَبْدُ العَزِيزِ فِي مَصْرٍ وَرَضوَانُ الْبَلْدَاءَ مِنْ سُوْدَرَ وَالْشَّيْخ
مُحَمَّدُ آلُ يَابِسٍ فِي الْعَراقِ، انْتَرَا الْدِّرَاسَةَ عَنْ الْمَتْنِيَّ: 46.
(47) طَبَّ الْكِتَابِ فِي تُونِسِ بِتَحْقِيقِ الْشَّيْخِ مُحَمَّدُ الْطَّاهِرُ أَبِي عَشَاءِرْ سَنَةِ 1970.
المتبت٥ ويُبنى على المستوى العالي الذي وصلت إليه الثقافة في الأندلس.
فابن سيدا في هذا الشرح يخالف أبا الفتح ابن جني وأبا علي الفارسي (48) في الرأي ولا يأخذ بعض ما ذهب إلى وينزع إلى الاجتهد في التوجيه والاستقلال في الفهم، وفيما ييلي نموذج من شرحه يدل على ما أشرنا إليه:

«وضاقت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنن رجلاً»

أما الرؤية فلا تعن على غير شيء، لأن غير شيء ليس بمحسوس إحساس الجوهر ولا إحساس العرض، لأن غير شيء خارج من الجوهر والعرض لأن كل واحد من الجوهر والعرض شيء، وإنما أراد هذا الشاعر: إذا رأى غير شيء ظنن رجلاً، فهؤلاء في قوة قولك إذا رأى شيئًا لا يفضل به أن يكون رجلاً، كقول العرب: إنك ولا شيء سواء، وحال أن يسوى بين الموجود والمعدوم لأنهما في طريق التضاد ولكنهما يريدون إنك وشيء لا يعبا به سواء، ولكنهم قالوا: إنك ولا شيء، واكتفوا به من قولهم: وشيء لا يعبا به، لأن ما لا يعبا به كالمعدوم، ولذلك الزرتاف السبويه التصب في قوله: إنما سرت حتى سأدخلها، إذا كنت محترفاً للسير، قال الفارسي: إنما ذلك لأنه لا شيء أقرب إلى طبيعة النفس من الاحتراف، والنقى عدم، فجعل الاحتراف كالعدم» (49).

ويظهر في هذا العصر أيضاً شرح عبد الدائم بن مزوق وهو أحد أعلام الفيروز الذين أبلغهم زحفة بني هلال إلى الأندلس وقد أُسِمِّي شرحه لـ«شعر المتنبي المكتفي»، ويبدو أنه ألفه بالأندلس لأنه أورد فيه أشعاراً لبعض الأندلسيين حسبما يستفاد من «التكملة» لابن الأبار، والشرح...

(48) شرح متنوع شعر المتنبي (انظر الفهرس) تحقيق د. رضوان الدابة.
(49) المصدر نفسه: 33.
مفقود اليوم، وقد نقل عنه ابن الأبار لبناً في التكملة ثم قال: «أورددها عبد الدائم بن مرزوق القيرواني في شرحه لشعر المتنبي الذي أسماه بالمكتفي».(50)

ولعل تلميذه ابن السيد البطليسي استفاد منه في شرحه لديوان أبي الطيب، وهو شرح مفقود كذلك، ولا معنى لتشكيك بلاشير في موضوع شرح ابن السيد(51)، فقد ذكر في عدد من المراجع، وكان ابن السيد يستظهر شعر المتنبي، ولذلك نجد في شرح سفط الزند واللزوميات يلح إلحاناً بالغاً على التنبه بين شاعري المتنبي ومعاني المعنوي وفعلاً بينهما(52). ولا بد أنه نهج فيه منهجه في شرح اللزوميات بالعرض إلى المعطيات الفلسفية كما فعل ابن سيدة من قبله.

ومعًا لا شك فيه أن القرن الخامس الهجري كان القرن الذي شغلته فيه البيئات الأدبية في الغرب الإسلامي بالمتنبي على نحو واسع، ولكن ليس معنى هذا أن الاهتمام به ضعيف أو توقف بعد عصر الطوارئ في القرن الخامس، وإنما استمر كثيروا أراي الأستاذ بلاشير الذي يقول: «كان استيلاء المرابطين القادمين من المغرب الأقصى على الأندلس موقعاً بطيعاً، فحال كله - كما شهرته التي تمت بها ديوان أبي الطيب، فقد حملوا معهم جزءاً كاملاً من دينيتهم، ولكن ذلك لم يستمر إلا بضع سنين فمنذ سنة 520م تقوم الأسرة استرجع الديوان كل نفوذه لدى المثقفين الأندلسيين».(53)

و بهذا نرى تشعنة رائحة التخصب الذي نشأه دوزي ومن تبعه من

(50) التكملة: 410 (ملحق).
(51) ديوان المتنبي في العالم العربي: 49 - 50، وراجع رائد دراسة عن المتنبي: 44 - 45. (الم) انظر س: 1: 44، 45، 46، 47، 76، 77، 81، 82، 86، 89، 91، 99، 100، 102، 104، 105، 106، 142، 157، 161، 169، 176، 178، 186، 215، 221، 222، 232، 234، 238، 269، 272، 319، 337، 343، 346، 356 ومواضع أخرى كثيرة من الجزء الثاني.
(52) ديوان المتنبي في العالم العربي: 50.

121
المستشرقين حول هذه الدولة المجاهدة، وهو رأي بعيد عن الصواب، ولعلّ خير تفند له هو ما ورد في الحولات التاريخية من أن يوسف بن تاشفين اكتشف بالحجاب على خطاب الفونسو السادس بيت واحدٍ من شعر المتنبي وهو:

ولأ كتب إلا المشرفة والفناء ولأ رسول إلا الخمس العمرٌ (53)

وإذا كان الأمر في حاجة إلى أدلة وشواهد فإني أذكر على سبيل المثال لا الحصر - أن قاضي المرابطين ابن العربي كان يحفظ ديوان المتنبي ويكثر من التمثيل به (54)، وكان قاضيهم الكبير عياض يروي شعر المتنبي عن شارحه ابن السيد البطليوسي في جملة ما رواه عنه (55).

أبو بكر المرادي - وهو من رجال هذه الدولة - يستشهد في كتابه الإشارة، في تدبير الإمارة بشعر أبي الطيب ويقول في باب الإتفاق وصفة الوجد: «وأحسن ما رأيت في الوجد والإمساك من أقوال الحكماء والشعراء قول أبي الطيب المتنبي:

 فلا ينحَّلُ في الوجد مالك كله فينحل مجدُ كان بالمال عقدُه ودبره تدبير الّذي المجد كفه إذا حارب الأعداء والمال زندُه فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجدُ» (56)

(53) انظر أحكام صنعة الكلام: 164.
(54) تمح الطيب.
(55) الغنية (ترجمة ابن السيد).
(56) الإشارة، في تدبير الإمارة: 144 تحقيق. سامي النشار.
كما أنه ضمن بعض آيات المتنبي في بعض شعره، ذكر ابن بسّام أنه «كانت بينه وبين الشيخ أبي محمد عبد العزيز التونسي مناقضة في مسائل من العلم، فسافر المرادي عن أعمات، وكتب عند رحلته إليه بهذه الأبيات:

قل لعبد العزيزٍ بكثير من بعيد
كَما شاءٍ منه قيلَ وقال
وشتَجع ما غبت عنك فإننا
فَقد ضرفِنا لئك الأمثالا

وإذا ما خِلَل الجبان بأرض
طلب الطعن وحدة والنّزالا»(57)

وثمة أمثلة أخرى لا أريد أن أتبّعها بالاستقصاء.

أما شعراء المرابطين الذين تأثروا بالمتنبي وعارضوا فمنهم الأعمى التطليبي وابن عبد العفو وابن خفاجة وابن أبي الخصال وابن المرخي وغيرهم (58)، وفي عصر المرابطين ألف أحد كتابهم وهو أبو القاسم ابن عبد العفو الكلاعي كتاب الانتصار لأبي الطيب (59). ووضع ابن عبد الملك الشتريني معجماً لمشكل شعر المتنبي وسواقيه (60).

ولألف ابن بسّام الذكرية الحالية بأصداء المتنبي (61)، كما ألف ابن خاقان كتابه القلائد فيها ذكر لأبي الطيب (62)، ثم إن معظم أهل الأدب

(57) الذكرية 4/1 : 367.
(58) راجع ديوان الأعمى التطليبي وديوان ابن خفاجة والذكرية لابن بسّام.
(59) وردت نقوله من كتاب أحكام صناعة الكلام.
(60) نشر منسوباً إلى ابن بسّام، وهو باب من كتاب جواهر الأدب وذخائر الشعراء والكتاب لابن عبد الملك الشتريني المعروف بابن السراج.
(61) راجع فهارس الذكرية.
(62) وردت أبيات المتنبي في قلائد العقين.
الذين عاشوا في عهد الطوايف أدركوا عصر المرباطين ولا يصح الفصل بين الحقيقتين، ولذلك اعتبرهما الدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي عصرًا واحدًا؛ ومقدمة الأستاذ بلالشير عن المتنبي في عصر المرابطين بالأندلس هي جزء من مقدمة كبرى ركّدها بعض الدارسين، وهي كسوف الشعر وكساد الأدب في عهد المرابطين، وهي مقدمة تطلبها النصوص الأدبية والشواهد التاريخية.

أما في عصر الموحدين فقد ظهرت بالأندلس شروط متعددة:

منها شرح أبي الحسن علي بن عيسفون الإشبيلي (حامل لواء العربية بالأندلس) كما يقول ابن شاكر في فوات الروايات وقد عد من شروطه «شرح المتنبي»، ويدو أنه مفقود ولعله يندرج ضمن الشروط التعليمية التي تعني بالجوانب النحوية والصرفية واللغوية إذ إن ابن عصفور «لم يكن عنده ما يؤخذ عنه سوى العربية»(63).

ومنها شرح أبي عبد الله محمد بن أحمد الأستجبي، وقد أسماه:

«ظهور الإعجاز، بين الصدور والأعجاز» وهو شرح مفقود مع الأسف، وكان الأستجبي قد درس شعر أبي الطيب في حلقته الشلوبين، وقرأ أيضاً قراءة فهم لمعانيه، وإعراب للفظاته، وتحقيق للفهم، وتنقيح من بديعه على كبار مؤذبي قروطبة في وقته أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميري(64).

ويبدو أنه التزم في شرحه بطريقة أستاذه الحميري وحقق فيه الأغراض الأربعة المذكورة وهي تفهم المعاني، وإعراب الألفاظ، وتحقيق المعاني وإبراز البديع.

ويعلان هذا الشرح على إعجاب صاحبه بالمتنبي ويخيل إليه أنه

اشتق عنوانه المسرح من عنوان شرح المعرفي: معجز أحمد».

(63) فوات الروايات 2: 185 وانظر نموذجاً لما ذكرته في المغرب.
(64) الإحاطة 2: 325.
ويبدو هذا الإعجاب في تفه، فهو يتمثل بأبياته ويتوكاً على أشطره، قال في إجازته: "ولولا تقت في بغمام فضلك الصبي، لتمثلت لنفسي بقول أبي الطيب:
"إذا شاء أن يلهو بلحبة أحمق أراه غباري ثم قال له الخطي، فإن رضيت أيها العلم، فما لتجرب إذا أرضىكم المعم؟".
ويظهر أن الأستنجي على في شرحه بالأغراض البديعية في شعر المتنبي، ومن المعروف أن معظم المباحث البلاغية عند الأندلسين كانت تتجه إلى هذه الأغراض.
ولعل أطبب الشرح الأندلسية التي وقفتنا على خبره هو شرح أبي الحسن فضل ابن فضيلة المعافري الوريث الذي فسر شعر المتنبي تفسيراً صوفيًّا، وقد سميه هذا التفسير "شرح الآيات الدينية، على الطريقة الصوفية". والعنوان في تركيبه عليه بعنوان "المآخذ الدينية، من المعاني الطائفة" لأبي الدعس، ولكن منحى هذا الأخير شيء آخر.
وشرح ابن فضيلة مفقود على ما يبدو، ولذلك فإننا لا نعرف الآيات التي اختارها من شعر المتنبي ولا طريقته في تفسيرها ولا بد أن وجه معانيها توجهاً صوفيًا وشرحها شرحاً إشراقياً، ومتى هذا العمل ليس بمستغرب، فقد جرت عادة أهل التصور أن يؤلوها بعض الغزليات والخمريات وصرفوها إلى الحب الإلهي والخمرة الصوفية، وقد وجدناهم يستشهدون بشعر المتنبي في مقامات ومناسبات صوفية كما في "الشوف".

المصدر نفسه.

(65) مقدمة ابن خلدون: 1385 تحقيق د. واقي.
(66) الذيل والتكملة 1541 حاشية رقم 1.

125
كان ابن فضيلة يجمع بين التصوف والدرب، وكان "أوحد عصره" في الطريقة الصوفية. وقد ألف شرح هذا في غرناطة بني نصر التي أوي إليها مع أهل شرق الأندلس الذين طوروا من ديارهم، وكان منهم آل سيد بونه أصحاب هذه الطريقة الصوفية التي ولدت في ظل تلك الأوضاع المؤلمة الداعية إلى الزهد والاعتبار، وكان لهذه الطريقة تأثيرها الكبير في المجتمع الغربي (70). وكان بهذا الأدب المتصور أراذ أن "يوطَف" شعر المتنبي - بما له من سلطان - في خاتمة طريقته الصوفية ويوحّل معانيه الدنيوية إلى معان دينية.

يقول الأستاذ بلايشر في كتابه عن المتنبي ما ترجمته: "لم تر الأزمان التي تلت سقوط الموحدين أي كتاب جديد عن ديوان أبي الطيب لا في المغرب ولا في الأندلس" (71).

فأما في الأندلس فقد رأينا هذا الشرح الصوفي الذي كتب في عهد بني الأحمدي، وقد يكون ثمة غيره ما لم يبلغنا خبره.

وأما بالنسبة للمغرب فستحدث عنه بعد قليل.

ولم تكن عناية البيات الأدبية في صقلية وإفريقية والمغرب بتدارس ديوان المتنبي أقل خطأ مهما رأينا في الأندلس.

(68) التشوف: 346, 353 تحقيق أحمد التوفيقي.
(69) روضة التعريف (الفهرس) تحقيق محمد الكتاني؛ وقد ذكر ابن شاكر أن ابن تيمية كان ينظر على المتنبي في بعالفه ويقول: في شعره شيء لا يصح أن يكون إلا اجتداء الله تعالى؛ قال: وربما قلت في سجودي من شعره:
يا من الود فيه مما أوخذه، ومن الود وما إحسانه،
لا يجبر الناس عظاماً أنتٌ كابر، ولا يضمنون عظاماً أنت جابر.
راجعناه في الديوان 2: 122 ط. البروفيقي.
(70) راجع الإحاطة ورحلة ابن بطوطة وأطروحة الدكتور محمد منتاح.
(71) ديوان المتنبي في العالم العربي: 52.
ومعًا بلغنا غيابه أو أثره من ذلك شرح أبي القاسم على ابن القطاع الصقلّي، وقد بقيت منه قطعة حقّها الدكتور محسن غياب وهو نشرها بعنوان: شرح المشكل من شعر المتنبي (72). ومن الشروح الصقلية شرح أبي علي الحسين بن عبد الله الصقلّي، ووجد منه نسخة نفيّة بمكتبة ولي الدين بالاستانة، ويقوم بتحقيقها أحد الباحثين (73).

أما الشروح الإفريقية (الرغمية) فنها كتاب ما أخذ على المتنبي، وكتاب أبيات المعاني في شعر المتنبي للقزاز، وقد استفاد من عنوان الكتاب الأول أنه كان من خصوص الشاعر أو المتأثرين على الأقل، إن باب وكيع، وقد أشار القزاز في كتابه: ما يجوز للشاعر في الضرورة إلى بعض المأخذ على المتنبي (74).

وهناك تونسي آخر من أهل القرن الثامن الهجري وكتب على ديوان المتنبي كتابة جيدة، حسب عبارة ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة، وهو أبو عبدالله محمد ابن القويق، وقد عرف شره في مصر حيث استقر وتوفي سنة 738 هـ (75).

وأما في المغرب الأقصى الذي عاني قديمًا من إهمال المؤرخين فأقدم من نعرف أنه استهل بخدمة ديوان المتنبي هو النجوي الكبير أو موسى الجزولي مؤلف الكراسة المشهورة.

ولعل وله بالإيجاز هو الذي حمله على اختصار الفسر لابن جني، وقد وصل هذا الاختصار إلى الشرق واطلع عليه ابن خلكان، قال في الروفاط: ورآه لى مختصر الفسر لابن جني في شرح ديوان المتنبي (76).

(72) مجلة الموعد - العدد الخاص بالمتنبي.
(73) انظر في هذا الشرح: رائد الدراسة عن المتنبي: 64.
(74) انظر المأخوذ في الكتب المذكورة من ص 28 إلى ص 35 تحقيق المنجي الحكيم.
(75) ترقى الآتي: 232 - 233 ويفية الوعاء 1: 228.
(76) وفيات الأعيان (ترجمة الجزولي) والرائد: 59.

127
ونقد أن الحياة الأدبية في المغرب عرفت مظاهر أخرى من الانشغال بديوان المتنبي في أيام الموحدين والمرتدين بدليل تأثيره الملموس في شعراء تلك الأيام غير أننا لم نتفق في المظانِ على شيء من ذلك، وعلينا أن ننظر زمن السعديين لتشهد حركة أدبية حول ديوان الشاعر الكبير واستحدث عنها فيما بعد.

ج - لعل أكبر معركة نقدية في تاريخ الأدب العربي القديم هي التي قامت حول المتنبي بين أنصاره وخصومه، ويكفي أن أشير إلى أسماه الحاتمي وأبي العباس الناصي والصاحب ابن عبد وابن جني وأبي العباس الأزدي وأبي القاسم الأصفهاني والوجيد البغدادي وابن وكيع النبتسي والقاضي الجرجاني والمعالي والمعري وابن فورجه وغيرهم من أهل النقد في المشتركة(77).

وقد انتقلت هذه المعركة النقدية حول المتنبي إلى بلدان المغرب والأندلس، فكان القراص من منتقدي المتنبي فيما يبدو، وكان بقية أدباء مدرسة القيروان ونجلها كعب الكريم الناهلي وإبراهيم الحصري وابن رشيق وابن شرف وأبي الطاهر التجيبي من أنصار أبي الطيب على العموم، فالتهيبي وجه تلقيبه بالفتياني توجهاً يدل على إعجابه به، واعتبر له في كتابه الممتتع جيد شعره(78)، وله في هذا الحصري(79)، وابن رشيق - في العمدة والفرقة - يذكر المتنبي كثراً مستحسناً لشعره ومدافعًا عنه في غالب الأحيان، وقد قال فيه كلمته المشهورة: "ثم جاء المتنبي فعلاً الدنيا وشغله الناس" وقال في منصف ابن وكيع: "وسمى كتابه المنصف مثلما سمى اللديغ سليماً، وما أبعد الإنصاف منه"(79).

(77) انظر على سبيل المثال: تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس من ص 252 إلى 335.

(78) انظر الممنوع تحقيق د. العنجي الكعبي.

(79) راجع زهر الأدباء.

(79م) راجع العمدة.
وكذلك دافع أبو الطاهر التجيبي عن المنتمي في كتابه «الرايق» ورسم ابن وكيع بالتكليف، ووصفه بالحُفف في تحمله على المنتمي.

وخصوص ابن شرف حيزةً مهما للمنتمي في رسالة الانتقاد، وقصص فيه: «وأما المنتمي فقد شُغلت به الألسن، وسهرت في أشعاره الأعيان، وكثر الناسخ لشعره، والأخذ لذكره، والغائص في بحره، والمتفش في قعره، عن جمانه ودَرَه، وقد طال فيه الخلف، وكثير عنه الكشف، وله شيعة تغلو في مدحه، وعليه خوارج تعايا في جرحه، والذي أقول إن له حسنات وسيئات، وحسناته أكثر عدداً، وأقوى مداً، وغرابه طارة، وأمثاله سارة وعلمه صحيح، وبرم فيه، ويدري ما يتفرد، ويصدق».

وقد انتقد في كتابه أوهار الأفكاء ابن وكيع وقال في حق كتابه «المنصف» إنه «أجور من سدوم».

وأما الأندلس فذكر وصل إليها التراث الذي أسفرت عنه المعركة النقدية حول المنتمي في المشرق، سواء فيه ما أنفه خصمه أو ما كتبه أنصاره، فمن ذلك «المنصف» لابن وكيع، وقد وقف ابن عبد الملك المركاشي على نسختين أندلستين منه بخط ورق من ذرة عبد الرحمن الأوسط كان حيزة سنة 425 هـ، واقتبس منه الشريش في شرح المقامات الفصد المتعلق بأحكام السرقات، ووصفه ابن ذيحة وغيره بالجرور وعدم الإنصاف، ومن ذلك أيضاً مؤلفات الحائطي خصم المنتمي اللودود، وقد أشار إلى بعضها ابن حزم في الجمهرة وغيرهما، وثمة نقول غير منسوبة.

(80) راجع المختار، من شعر بشار، وهو الرايق.
(81) راجع الذكرى.
(82) نصرة الثائر، للصافدي تحقيق د. سلطاني.
(83) الديار والكرمل 6: 96.
(84) شرح المقامات 2: 205 - 212 نشر د. خفاجي.
(85) المطبوع: 69. تحقيق الأيدي.
(86) راجع الجمهرة والرسائل.
في ذكرى ابن بسام تدل على استفادة من شرح الوحيد البغدادي وروده على ابن جني، والوساطة للجراكني (87)، وأشار الأعلم ابن سيدة إلى شرح ابن جني وشرح الوحيد أيضاً (88)، وكانت "الموازنة" للأمدي متناولة في الأندلس كذلك (89)، وكان من أثر هذا كله أن ظهر في الأندلس مختصون لأبي الطيب ومنتقدون عليه.

وقد كان ملوك الطوائف الأدبية من المعجبين بشعر المتيني، فالمعتد:

كان ينشد بانتهاء قوله:

أزورهم وسواهم الليل يشفع لي
وأتيش وبياض الصبح يغري بي (90)

وقد رد في أحد مجلسه باستحسان بالغ قول المتيني:

إذا ظلت منك العيون بنظرك
أثاب بها معي المطي ورازُمة

فقال ابن وهب، إرجالاً:

لتن جاء شعر ابن الحسين فإِنما
تجلد الغطايا واللها تفتح اللها

نبأ عجباً بالقريض ولو درى
بأنك تروي شعره لتأله (91)

والمؤرخ ابن الأفطس مؤلف الموسوعة الأدبية المعروفة بالمظلّرية كان (87) الذكرى: 2/488.
(88) شرح شعر الاصلاح للإعالي (مخطوطة القرويين) وشرح مشكل شعر المتيني (النشر).
(89) يدل على ذلك النسخة القديمة المحفوظة في القرويين والنقل الموجودة في الذكرى.
(90) نفح الطيب: 4:261.
(91) وفيات الأعيان 1:124 والمطرب: 118 ونفح الطب: 3:194، 233 ط. صادر.
ينكر الشعر على قائله في زمانه ويقّال رأي من ارتسم في ديوانه، ويقول:

من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري فليسكّت».

وهكذا كان شأن العامون ابن ذي النون في التشيع للمتنبي، فقد ذكر ابن باسر في الذكرى أن ابن شرف قال يومًا للعامون بن ذي النون أيام خدمته إياه، واستشفافه صبابه عمره في ذراه، وقد أجرؤوا ذكر أبي الطيب، فذهبا في تأبيه كل مذهب: إن رأي العامون - لا فارق العزة والعُلا - أن يشير إلى أي قصيدة شاء من شعر أبي الطيب حتى أعارضه بقصيدة تسمى اسمه، وتعفي رسمه، فتناول ابن ذي النون عن جوابه، علماً بضيق جنبه، وإبّاغاً من فضحته وانتشابة، وليل أبو عبدالله حتى أخرج ابن ذي النون وأغراء، فقال له: دونك قوله: لعينيك ما بلقي

فخلا بها ابن شرف إذاما فرّد مركبها وعراً، ومريرتها شرراً ولكنه أبلى عذراً، وأراط نفسه من أمرها عراً، فما قام ولا قعد، ولا حل ولا عقد. وسأل ابن ذي النون بعد: أي شيء اقتضه إلى تلك القصيدة؟ فقال: لأن أبا الطيب يقول فيها:

بلغت بسيف الدولة النبور رتبة أثرت بها ما بين غرب ومشرق.

إذا شاء أن يلهو بِلحْيةِ أحمق آرئٌ غباري ثم قال له الحقيق.

وهي حكاية تسبّب أيضاً للخالدين مع سيف الدولة.

وقد تطور هذا الإعجاب إلى مواقف نقدية تمتثل في بعض الأعمال الأدبية، ومنها كتاب «الانتصار لأبي الطيب» من تأليف أبي القاسم ابن عبد

(92) اللحظة في 2: 641.
(94) راجع الصحيح العتيبي.

131
الغفور الكلاعي، ورسالة «روضة الأدب»، في التفضيل بين المتنبي وحبيب
وكتاب الأول مفقود وعنوانه يدل على موضوعه واتجاهه، وقد نقل عنه
مؤلفه في كتابه إحكام صنعة الكلام(95)، وأشار إليه ابن الأبار وابن عبد
الملك في الذيل والتكملة(96)؛ وأما روضة الأدب فقد أشارنا إليها في
الفصل الأول من هذه الدراسة، وستتحدث عنها بعدها من التوسّع في
الفصل القادم.

أما ابن بسام فقد ترجم بين الإعجاب والانتقاد وساق أخباراً تشير إلى
إعجاب الأدباء بشعره وعجز بعض الشعراء عن معارضته كخبير ابن شرف
ومحمدر شقيق، وعلق على من أراد أن يتعالج طريقه أبي الطيب في
استعمال التصغير بقوله: «ولكن هيهات ما كل من أُجّرى سبق، ولا كل من
ارتجل نطق». كما نقل شيئاً من قلادة أهل النقد فيه، وعاب عليه استعمال
ألفاظ الفلاسفة وقال مشيرًا إلى ذلك: «وإنى لأعجب من أبي الطيب على
سعة نفسه، وذكاء قباه، فإنه أطال فرع هذا الباب، والمرس بالذهب
الأسباب»(97).

وتم كتاب نشر في تونس عنوانه: سيرات المتنبي ومكانيه،
ونسب إلى ابن بسام النحوي، وظلّ محققه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
ظلمًا قويًا أنه لن ينصب صاحب كتاب الذكرية، والحقيقة أنه ليس من تأليف
الشترني صاحب الذكرية وإنما هو لشبتي مال آخر هو محمد بن عبد
الملك السّرّاج(98)، وهو ليس كتابًا مستقلًا ولكنه جزء من كتاب عنوانه:

(95) راجع إحكام صنعة الكلام.
(96) التكملة 2: 462 والذيل والتكملة 6: 394.
(97) الذكرية 2: 480.
(98) ترجمه ومصادره في الذيل والتكملة 6: 410.
جواهر الأداب، وذخائر الشعراء والكتاب» ويبدو أنه الكتاب الذي اخترع فيه ابن عبد الملك الشترني كتب العمة لابن رشيق وثبت عليه أوهامه فيها مع زيادات مفيدة منها هذا الجزء في سرقات أبي الطيب، وهو يؤلف الجزء الرابع من هذا الكتاب الذي يوجد مخطوطة بصيغة الأسكوريال رقم 352.

والحق أن الشيخ ابن عاشور إنما أخذ بما هو مسطر ومكرّر في النسخة المشرقية من نسخة الكتاب إلى ابن بسام وأنه صاحب الذكرى.(99)

ولا نعرف منشأ الخطأ في نسخة هذا العمل إلى غير صحبه، ونقدر أن يكون الناشر نقل هذا الجزء من أصل الكتاب ولم يثبت اسم المؤلف إلا بعد أن غاب عنه الأصل وقي في حفظه وذكره، شيء منه كالناحوي الشترني مثلًا، فنسبه إلى ابن بسام لأنه أظهر شترني، وورد صفة النحوي قد تعزز هذا الافتراض، لأن الذي أشتهر بالنحو وتعليمه هو ابن عبد الملك السراج الشترني فقد «كان نحويًا حاضقًا» وهو الشيخ ابن بري النحوي المصري المشهور وألف في النحو وأقرأ بالأندلس ومصر واليمن(100); ويساعد إلى هذا أن الرجلين البلديين كنا متعاصرين، وجمعهمسا سكنى إشبيلية بعد خروجهما من شترني إلا أن صاحب الذكرى ظل بالأندلس بينما كتب لابن عبد الملك أن يرحل إلى الشرق ويعرف فيه ونستنف مؤلفاته به.

أما إفراز جزء السرقات بالانسخاء دون بقية الكتاب في النسخة المشرقية فجعله جاء من وقع الناشر بجمع الأشياء والنظائر في مجموع واحد، والمجموعة المشرقية الذي توجد فيه يستمل على ورسالة للحاتمي في مناظرة بين وبين المنتبي، ورسالة له في أخذ المنتبي معاني عدة أبيات

(99) انظر مقدمة: س.
(100) الفن والتكملة.
من كلام الحكيم أرسطاطاليس (101).

وقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى ما ذهب إليه الشيخ ابن عاشور من اعتبار ابن بسام صاحب الذكرى مؤلفاً للكتاب الذي نشره وقال: ليس في الكتاب أية قروينة تدلُّ على أنه من تأليفه (102) والواقع أنه حتى قبل الوقوف على جواهر الأدب فإن بعض القرآن تدل على أنه ليس من تأليف ابن بسام، وأهمها في نظري اختلاف الكتابين في شواهد السرقات وأصولها، فقد ذكر ابن بسام في الذكرى من آيات المتنبي المسروقة قوله:

للستِّي ما نكحوا والقتلِ ما وَلِدْوا
والنهبِ ما جمعوا والنارِ ما زَرَعْوا

وقوله:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصديق ما يعتاده من توهم

وقوله:

تبخلُ أيدينا بأروايجنا
على زمنٍ هنَّ من كسيه
فهذه الأرواح من جروه
وهذه الأجسام من تزوه
يموت راعي الضأن من جهله
ميتة جالينوس في طبيه

(101) المصدر نفسه: ص.
(102) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 305 - 307 (حاشية رقم 4).

134
وهذه الشواهد كلّها موجودة في الذخيرة(103) ولا وجود لها في كتاب السراقين مع أن صاحبه قصد به أن يكون معجماً شاملًا لأبيات السراقين في شعر المتنبي.

ومن القرائن أيضاً ترتيب أبيات السراقين على حروف المعجم حسب الاصطلاح المشرقي، وهذا شيء غير معهود في الأندلس والمغرب، مما يشي بأن الكتاب ليس لابن نسرام وأنه ألف في المشرق، ومن الملاحظ أن نسخة الأسكوريال - وهي بخط مغربي - تتبع الترتيب المشرقي كذلك، وقد وقف الشيخ ابن عاشور عند أمر هذا الترتيب، وقال: "وهذا محل نظر، ويجمل أنه تابع فيه ترتيب أبي الفتح ابن جني(104)."

إن صنيع السراج الشترني هو كما قلت بمثابة معجم مرتبت على الحروف قدّس به حصر أبيات المعاني أو الأبيات المعقدة، مع أبيات السراقين، وقد جمع فيه السراج جهود سابقه في هذا المجال منذ ابن جني إلى وقته، وزاد عليها حتى بلغ عدد الأبيات المذكورة نحو خمسمائة وأربعين بيتاً.

وقد أشار في المقدمة إلى هذا الجزء من كتابه فقال: "والجزء الرابع في سراقين أبي الطيب ومثله معانيه، وأنما ألحق هذا الجزء بالكتاب لما في معرفته من العيون على التصرف والتبني لل.localScale المعاني، واقتصر على شعر أبي الطيب لقرة ذلك فيه ولأنه أشهى، واستعمال الناس له أكثر، وذكر هذه السراقين على ترتيب القوافي ليسهل بذلك طلب ما تحتاج إليه منه"، كما يقول في أول الباب، وباختصار فإن عمل الشترني ضرب من ضروب الترويب والتريم، والتهييم والتكميل لهذه المادة التي كانت مفتوحة في المصادر المشرقية، وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن هذا العمل قد أفاد منه بعض الشراح الذين بعنون بتبع المآخذ والسراقين، ومنهم العكبري الذي يتابع في عدد من المواطن ولكنه لا يسمي الكتاب ولا صاحبه.

(103) الذخيرة في: 2/409، 421، 481.

(104) مقدمة سرقات المتنبي: ي.
إن إسهام الأندلسيين والمغاربة في الحركة النقدية حول المتنبي يتسم دائماً بمراعاة الحساسية الدينية التي كانت شديدة في البيئات المغربية على العموم، وإذا كان الأندلسيون والمغاربة قد أعجبوا بشاعرة أبي الطيب فإنهم لم يتساهلوا معه فيما يمس الحساسية الدينية، ومن هذا القبيل أن الفقيه الأديب الحافظ ابن عبد البر استشهد بشعر المتنبي في كتابه: "بهجة المجتمع" ولكنه كان ينظر إليه بمنظار الدين ويزن به ميزان الشرع، فقد أورد قوله:

والظلم من شيم النفس فإن تجد ذا عفقة فعلنة لا يظلم.

وقوله:

ومَن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس روى رَمَحَة غَير راجح.

وعلق عليهما بقوله: "وهذه الأخلاق أخلاق السُفَاق ومن لم يتادب بآداب القرآن ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرُفاعة".

ونجد مثل هذا عند ابن سيدنا، فعندما أورد قول المتنبي:

طلبنا رضاك أتريك الذي رضينا له فكرك السجدأ

وعلق عليه بقوله: "قبنا لكلاهبه، ونقرأ في هذا الموضع وشاهه لنظامه".

ومثل هذا أيضاً عند ابن عبد المنعم الحميري مؤلف الروض المطئار

(104) بهجة المجتمع لابن عبد البر.
كلذي يقول في معرض حديثه عن تهامة: «وأما قول المتنبي لمدروجه من قصيدة:

وأشهَر آيات التهامي أَنْهُ
أبوك وأجدى ما لذك من منائق
فعني بالتهامي النبي، وهذه العبارة تقتضي جهله أو قلة أدبه، فضَّل الله فاها (105) ونعوت ابن عبد البر الفقهي المحدث ودعا ابن عبد المنعم الجغرافي تعكس تلك الحساسية الدينية عند المغاربة الذين لم يكونوا يتساهلون فيما يتعلق بالدين أو الأخلاق وقد انتقد الأديب الشاعر الناقد ابن رشيق غلَّ المتنبي وقال في التعليل على بيت المتنبي:

كأنَّى دَحْوَت الأرْض مِن خُبْرَتِي بِهَا
كأنَّى بَنِي الآسفندر السَّدَنَ من عَزْمِي
فشبَّه نفسه بالخالق، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (105).

ومن أجل هذا كان الأعلم الشمري يكره عن تدريس شعر المتنبي إذا دخل شهر رمضان وينهى طلبه عن قراءته خلال الشهر المعظم بينما كان يستمر في إقراء شعر أبي تمام وغزيرة (106).

وقد لاحظ صديقنا الكبير الدكتور إحسان عباس تفاوتًا في الدوق الأندلسي تجاه المتنبي في القرن السابع الهجري وقال: «فيينا يتأثر المتنبي عن شعراء القرن الثلاثة الأخيرة في قدره على الإبداع التصويري لدى ابن سعيد وربما لدى المدرسة الإشبيلية كلاهما نجده أكبر شاعر في نظر حازم ابن المنطقة الشرقية» (107).

(105) الروض المعطار: 142 تحقيق د. إحسان عباس.
(106) المعمدة 2: 63.
(107) نظر روضة الأدب في الفصل الثالث من هذه الدراسة.
(108) تاريخ النقد الطبية عند العرب: 537.
ويبدو لي أن هذه الملحوظة قابلة للمراجعة فإن رسالة "روضة الأدب" لابن يلالي الشريطي التي عرضا عليها تبقى مدى إعجاب المدرسة الإشبهيلية بالمبتني وتفضيلها إياه على غيره.

د - إن إعجاب الأندلسيين والمغاربة بالمبتني وجد معظم شعرائهم حذوه في القصائد كان يثير أحيانا ردد فعل لدى بعض الشعراء، وقد رأينا ما قاله ابن وهب للمعتمد، وما حاوله ابن شرف في مجلس ابن ذي النون، وما قاله أحمد بن طلحة السقري، ومن هؤلاء الشعراء أبو بكر صفوان بن إدريس التجسيبي الذي يقول في مدح إحدى قصائده:

لُو جاد فكر ابن الحسين بمثلها
صحت نبوته لدى الشعراء.

ويقول الشاعر الجراوي متحداً عن نفسه:

لَو كان يوماً في بني حمدان لَمْ
تَهْجَ بِأحَمْدِهِ بنو حَمْدَان.

ونجد مثل هذا عند الشفقيدي الذي أورد أبائنا من رأيته ابن دِرَاج المشهورة وقال: "وأنا أقسم بما حازته هذه الأيام، من غرائب الآيات، لو سمع هذا المدح سيد بني حمدان لسلَّهُ عن مدح شاعره الذي سأذَّكَل شاعر، ورأى أن هذه الطريقة أولى بصدح الملوك من كلّ ما تفنّ في كل ناظم، ونائر".

ومنيح هذا المنزع في قول الكاتب الشاعر ابن المرخي الذي جاوب:

ابن بسام بقصيدة على وزن قصيدة المبتني:

(108) زاد المساير.
(109) المصدر نفسه.
(110) نفح الطب (رسالة الشفقيدي).

138
قرأت الكتب أعرَّض الكتب
وقال في آخرها:
قوافُ تعملُ في وظفها:
«قَرَايِدُ الْكِتَابِ أَعْرَضَ الْكِتَابِ»
إِنْ تُكْ أَحْمَدُ هَذَا الزَّمانِ
فَأَيْنَ عَلَيْ أَنَا أَوْ حَلْبِ»(111)
وفي قول ابن القرَّاز:
فَخَرَ الزَّمانُ يَنَا لَنَا حَاتِمٌ
في جُودُه وَلَانْئِي الْمُتَسْنَيِّ(112)
وفي قول أبي عامر ابن مسلمة:
بَأَ حَاتِمَ الْكُرْمَاءِ
وَأَحْمَدَ الشُّعْرَاءِ(113)
وفي قول أبي بكر ابن عبادة مخاطباً ابن بسام:
أُوْ تَدْمِ الزَّمانَ وَهُوَ بَعْيدُ
فَأِبْوُ الطَّيِّبِ الْبَعْيدُ المَرَامِي (114)
وقد بالغ بعضهم فذهبوا إلى أنهم أشقر من أبي الطيب وأبي تمام مثل ابن طلحة الشقري، وقد مزر قوله. وقيل ابن خفاجة الذي يصف شعر أحد أصدقائه بقوله:
بَرَعَتْ فَرَعَتْ فَمَنْ ذَا حِيْبُ
لَهُ الْوَيْلُ أَمَّ مِن أَبْوَا الطَّيِّبِ

(111) المصدر نفسه.
(112) المصدر نفسه.
(113) المصدر نفسه.
(114) المصدر نفسه.
ولو جاريَّاك إلى غاية لَفْزَتْ وكَانَا من الحُبّ (115)

هـ من التقاليد الأدبية عند شعراء الأندلس والمغرب محاكاة النماذج الشعرية السائدة ومعارضة القصائد المشهورة، وغالبًاً ما تكون معارضاتهم "وِنتِجة الإعجاب بالآثار السابقة" (116) ولكنهم قد يطمحون أحيانًا إلى طلب المضاهاة أو نشان التفوق، ومن هنا ذهب بعض النقاد إلى أن رائية ابن دراج التي مطلعتها:

أجود من رائحة أبي نواس (117):

ولنونية ابن زيدن المشهورة:

أضحى الثنائي بديلًا من تدانينا

وناب عن طيب ألقاننا تجانينا

أحسن من نونية البخترى (118) التي يقول في أولها:

يكادُ عاذَّنا في الحب يُغرينا

فما أُصاحِكَ في لَوْمَ المُحبّينا

لقد رأيننا في الفصل السابق شيئًا من معارضات الأندلسيين والمغاربة لا يُبِّن، ونعرض الآن بعض معارضاتهم في شعر المتنبي، وهي أكثر من غيرها لأن المتنبي كان عندهم الممثل الأعلى والموروث المحتوى أو "الطائر المحكي" كما يقول في شعر له وسوف نقتصر على الإشارة إلى

(115) ديوان ابن خفاجة.
(116) الموازنة بين الشعراء.
(117) رسالة الشندي وفاضلة ابن فضل الله العمري بين القصائد والموروثات وموازنة بين الشعراء.
(118) شرح الرسالة الهزيلة لابن باتة.

140
المعارضات التي توجهت إليها النية وتوقعت فيها شروط الموافقة في البحر والقافية والموضوع.

ولعلّ أقدم من عارض المتنبي هو متنبي المغرب ابن هانيء، وقد عرفنا مما سبق وقوعه على ديوان زميله، وبدع معارضته له في بعض قصائده، ومنها قصيدته:

ألا كُلٌّ آت قريب المَدَى
وكل حياة إلى مَنتَهَى (119)

فهي تنحو في شكلها منحي مقصورة المتنبي:

ألا كُلٌّ مَاشية الخَيرِلَى
فَذَا كُلٌّ مَاشية الهَيْدَيْبَى

وقد ترارد مَعُه في عدد من قوافيه، وهذا أمر لا بد أن يقع في المعارضات، وإذا كان ابن هانيء لم يفصح عن ذهبه إلى المعارضة فإن قصيدة الأعمى التطيلي التي أولها:

إلى الله أشكو الذي نحن فيه
أسي لا ينهيه منه الأسي
تشي بالمعارضة المقصودة، وذلك أنه ضمنها أشهر بيت في قصيدة المتنبي وهو:

وَمَا دَا بِبيَّر مِن المُضَحِكَاتِ
ولكنَّه ضَحِيَّ كَالْبُكَّا (120)

ولكنه استبدل مصر بحماص ويقصد بها إشبيلية.

(119) ديوان ابن هانيء.
(120) ديوان الأعمى التطيلي.

141
وفي ديوان ابن هاني، قصائد على وزان:
فيلي بعده الظاعتين شكل، وأعلى الممالك ما يبقى على الأسل،
و (إذا كان مدح فالسبيب المقدَم). (121)
ويأتي بعد ابن دراج القسطلاني الذي كان بصق الشام كالملتني،
بصق الشام فقد عارض قصيدة المتنبي التي أولها:
باد هواك صبرت أم لم تصرأ
ويكاك إن لم يجري دمتك أو جرى
بقصيدة مطعماها:
بشارك من طول ترجل والسري
صبح بروح السفر لا يقسم
وقد احتذى في بعض أبابها حدو أبي الطيب وذهب مذهبه كما يقول
ابن بشام (122)، والمعارضة واضحة في القسم الذي يقول فيه:
ولعل الممالك أني بعدهم
ألفيت كل الصيد في جوف الفراق
ففي هذا القسم ذكر لأيام العرب وأعلامها ومفاخرها، ولكان ابن
دراج يرده على المتنبي في قوله:
من مبلغ الأعراب أني بغدها
جاوزت رستاليس والاستكندرا
وملت نهر عشارة فاضفة
من ينحى البدار النضار لمن قرى

(121) انظر ديوان ابن هاني.
(122) الذخيرة.
وأشهر من رائحة ابن درّاج رائحة ابن عمّار:

أدر الرّجاحة فالسِّهم قد انبرى

وقد ذاعت معارضة ابن عمّار هذه وأصبحت هي نفسها نموذجاً للمعارضة.

وعارض ابن سهيل رائحة المتبنِّي أيضاً بقصيدتين إحداهما في مدح

سعيد بن حكم صاحب منيرة والآخر في مدح ابن خلاص والي

سابت (124).

وكان ابن زيدون ريان من شعر المتبنِّي يشتهده به في نثره (125)،

ويقتبس منه في شعره، وقد عارض قصيدته التي مطلعها:

بِم التَّعَلُّلَ لا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُّ

وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَاسٌ وَلَا سَكَّنُ

وهذا في قصيدته التي أوالها من:

هل تذكرون غريباً عاده شجٌّ من ذكركم وجفا أجفانه اليوسٌ

وأضاف في آخرها مطلع المتني على طريقه الوضاحين فقال:

إِن كَانَ عادك عيدٌ فَرَبْ قَتَّيْ

بالشَّوقي قد عاده من ذكركم حزنٌ

أوَفِرَّتْهُ الليالي من أجَبَهَه

فبات ينشدها بما جنى الرَّمْنُ

(123) نفح الطبّ.
(124) ديوان ابن سهيل.
(125) راجع رسالته الجدية والهزلية.
«بم التعلُّل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن» (126)

أما معاصره ابن عبدون فعليه أقرب شعراء طبقة إلى أسلوب المتنبي في الجزالة وإرسال المثل والتحكمة، وقد أورد ابن بسام في الذِّكرية نماذج من نظره إلى معاني المتنبي وأخذ منه، كما أنه عمد إلى معارضة بعض قصائده فمن ذلك معارضة لقصيدة:

من الجَّادِر في زِي الأعارِب
حُمْرَ الحَلِي والمطَابِي والجَّلابِبِ
والذّلِّك بِقصائده التي مَتْلَعِبَها:

سُاروا وِمَسَك الدِّياجِي غَيْبٌ مِنهوٍب
وَطَرْرَةُ الْشَّرَقِي غُفْلٌ دُونَ تُهْذِبِ (127)

وفيها يقول:

هْيَاهَات لا أَقْتَنِي مِنْكُمُ هَوَى يِهْوَى
خَسْيُهُ مَكَّنُ مُجْبِي غَيْرِ مَحْبُوبٍ
فَمَا أَرَاح ل ذِكْرِي غَيْبٌ عَالِيٌّ
وَلَا أَلْدَ يَتَحْبُّ دُونَ تُهْذِبٍ
وَلَا أَصَالُ أَيْامِي عُلْيَ دُخِن
لِيَنَفَاق إِلَى خُلْقٍ بْلَمْ يَمْتَسَوبٍ
يا دَهْرٌ إن تَوسِع الأَحْرَار مَظَلْمَةٌ
فَاسِئِيْنِي إِن جَيْلٌ غَيْرِ مَقْرَوبٍ

(126) ديوان ابن زيدون.
(127) الذِّكرية.

144
ولا تخل أثني ألقائك مفرداً
إن القناعة جيش غير مغلوب

فهذه القوافي ناظرة إلى هذه القوافي من قصيدة المتنبي:
أنت الحبيب ولكني أعود به
من أكون محبباً غير محروم
إذا غزته أعادته بمسالمة
فقد غزته جيش غير مغلوب
ومن هوى الصديق في قوللي وعادته
رغبت عن شعر في الرأس مكدوب(128)

وعارض القصيدة التي مطلعها:
كفى بك داء أن ترى الموت شافيًا
وحسب المنايا أن يكن أماناً

بقصيدته التي يقول فيها:
مضاوا يظلمون الليل لا يلبسونه
إن كان يسكي الجلابيب ضافيا(129)

وعارض البائية التي مطلعها:
بغيرك راعياً عبث الذئاب
وبغيرك صارماً ثلَّم الضرباب

بقصيدة أولها:

(128) المصدر نفسه.
(129) المصدر نفسه.
غيريهم لا يُسْدُ عليه باب
وقلْب لا يَقَلُ له ذَبَابٌ(130)

وعارض عبد الله بن خليفة القرطبي قصيدة المتنبي:

دروع لملك الروم هذي الرسائل
بقصيدة في وزنها ورويها في مدح علي بن مجاهم وقد اتقده ابن
باسา لأنه اهتم فيها معاني المتنبي(131).

ونحا أبو محمد ابن عبد العفو في معارضة المتنبي منحى يعني ض
في علي الفاطم ومعانيه ويعبر بقلة لباقته في المدح، قال يمدح ابن
تاشفين:

سير حل حيث تحل النور
وعَمامة لا ديمة مدرار
تنفي الهجر بظلها وتنين بالر
ش القتام وكيف شئت تدار
وقضي الآله بأن تحود ظمنها
وقضت بهيبك نحبها الكشام
فقد اقتبس مطلع شعر للمتنبي في مسجد الدولة وصرّ في
بعض لفظه ثم عقب على ذلك بقوله:

هذا ما تمناه الولي، لا ما تمناه الجماعي، فإنه قال: حيث انتجهت،
وديه، ما تكاد تندم معها عزيمه، وإذا سيحبت على ذي سفر، فما أحرها
بأن تعوق عن الظهر، ونعتها بمدرار، وكان ذلك أبلغ في الإضرار(132).

______________________
(130) المصدر نفسه.
(131) المصدر نفسه.
(132) المصدر نفسه.
ويشبه ابن عبد العفو في هذا الانتقاد معاصره ابن خفaja، فقد
اعترف بأن قوله من قصيدة:

فليؤت أعناق المطلي معرجاً
ونزلت أعتيق الأراك مسلماً

ينظر إلى قول أبي الطيب:

نزلنا عن الأكواب نمشي كرامةً
لمن بن عنه أن نُنعُم به ركباً

ووازن بين بيت وبيت أبي الطيب وانتقد عليه كلمة "لمن" في فقرة طويلة ثم قال: "ربما حمل علينا حامل فقال إن هذا الرجل يتعاطى رتبة في الشعر فوق رتبة المتني، وليس الأمر كذلك لأنه لم يعترضه في جملة شعره، وإنما استغرقه في لفظة، وهذا ليس به مسكتر ولا مستكر". وقد سبق ابن سيدة في شرح مسائل المتني إلى مثل هذا وتركته عنه مثل هذه العبارة: ولر قال كذا لكان أحسن(133). وابن سيدة مسرب في هذا الصنيع بابن وكيع الذي نجد عنه مثل هذه الاقتراحات(134).

ومن شعراء الموحدين الذين عارضوا أبا الطيب ابن المنخل الشليبي، فقد عارض البائرة التي مطلعها:

فديًّاك من ربع وإن زدتنا كريباً
إنك كات الشرق للشمس والغربا

بائرة يمدح فيها عبد المؤمن، ومطلعها:

(132) انظر الفلكلد والخريدة والمغرب.
(133) ديوان ابن خفaja.
(134) شرح مسائل شعر المتني.
(134م) المنصف لابن وكيع.

147
فَتَحْمُلُ بَلَادَ الْشَّرْقِ فَاعْتَمَدُوا الْغَرْبَا
فَإِنَّ نَسَمَ النَّصْرِ بِالْفَتْحِ قَدْ هَبَا
ويقول في آخرها مَضْمَّنًا مطَلِع المَتْنِيَّ:
وَإِنَّ يَقُضَّ نَحْبَا مِنْهُمْ ذَو بِسَالَةٍ
فَمِنْ نَفْسِ جُبَّارٍ أَلْكَمْ يَقُضُّي النَّحْبَا
وِيِسْتَشْيَدُ الْبَطْرِيقُ فِي غَرَصَائِيَّكَمْ
فَدِينَاكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ زَدْنَا كَرَبَآٰ

في ديوان ابن سهل قصيدتان في معارضة «باد هواك صبرت أم لم تصدرا»، وثالثة في معارضة «وألا لا أرى الأحداث مداها ولا دما»، ونشر إلى أن ابن سهل درس شعر المتنبي مع زميله ابن سعيد العماري في حلقة الشرويين بإشبيلية(136).

وفي العصر الغزافي كان أبو الطيب الرئيسي يترسم في مداولته طريقة كنها، فقد اختار له في باب المدح من كتابه الواقفي القصيدة التي مطلعها:
أَجَابَ دَمُعِي وَمَا الدَّاعِي بِمَوْهَب طَلَّل
دعا فلباً قبل الخيل والإبل
وساق بعدها قصيدة ذكر أنه قالها في عروض قصيدة أبي الطيب،
ومطلعها:
مَن الْظَّبَاءِ تروع الأَسْدَ بَالْمُقَلِّي
وَمَا رَمْتَها بِغَيْرِ الغَنْجِ وَالْكَحْلِٰٓ

(135) المثن بالإمام.
(136) انظر ديوان ابن سهل، وأختصار القدن المعلِّم.
(137) الواقفي لصالح بن شريف الرهبي (مخطوطة).
وخمس الأديب أبو عامر بن الأصيلي القصيدة التي أولها:

أطاعن خيلاً من فوارسها الذهر
وحيداً وما قولك كذا ومعي الصبر

وهذا نموذج من تحسيسه:

ورب أمير مقرط في اختياليه
قبضت يميني نحوى عن شماله
ونزعت نفسى رفعة عن نواله
«ومن ينقى الساعات في جمع ماليه»

مخايفا فقر فالذي فعل الفقر (138)

وكانوا يضعون شعرهم أحياناً شتراً أو بيتاً من شعر المتنبي اعتماً
على شهرته وسيرته، وقد رأينا أمثلة من ذلك ومنه أيضاً قول عبد الله بن حماد المراكشي:

يا من إليه في الحوادث يسند
وعليه ألوية المحامد تُعقد
إنني آتيت بشطر بيت سائر
"اليوم موعدكم فأبين الموعد" (139)

وبناب ابن خفاجة على بيت المتنبي قطعة له بدأها بقوله:

صممت سمعاً فما أضغي إلى العذل.
وهنفت قلباً فما أصحح عن الغزل.

(138) الدخيرة.
(139) الخريدة.
وختتمها ببيت المتنبي:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
(140)

وصنع هذا الصنيع أبو بكر ابن العربي في قطعة له بدأها بقوله:

إليك إله الخلق قاموا تعبدا
وذلوا خضوعا يرفعون لك البدا

وختتمها بقول المتنبي:

أزل حساد الحсад عني بكفوه
فانت الذي صبرتهم لي حسدا
(141)

وضمن ابن الخطيب مطلعا للمتنبي في آخر شعر له يقول فيه:

لا أعدم الله دار الملك منك سنا
يجلب به اللحالكان: الظلم والظلم
وأنشدتك الليلي وهي صادقة:
المجد عوفي إذ عوفي والكرم

وضمن ابن الحكيم الوزير بيتا مشهورا للمتنبي وأحسن التضمين،
وذلك في قوله (الإحاطة: 2: 463).

ولم رأينا من ربوع حبيبنا
بيشرب أعلاماً أثرنا لنا الحبا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا
شفينا فلا باساً نخاف ولا كربا

(140) ديوان ابن خفاجة.
(141) بغية الملتمس: 87.
وجَيَنْ تَبْدِّي للعِيْونَ جَمِالُهَا
وَمِنْ بَعْدِهَا عَنَّا أَدِيْت لَنا قَرْباً
«نَزِلَنا عَنِ الأَكَوارَ نَمْشِيَّ كِرَامَةً
لَمْ يِلِ جَحْلُ فِيهَا أَنْ نَلْمَ بِهِ رَكْبَاءٍ»

وَإِقْبَسَ السَّفِيرُ العَقِيليُّ الغَرَنَاطِيُّ صَدَرُ مَطْلِعٍ لِلْمُتنَبِيِّ إِذْ يَقُولُ فِي مِمِيْتِهِ الطَّولِيَّةِ عَلَى لِسانِ ملَكِهِ مَخَايِبً صَاحِبُ فَاسٍ وَأَزْهَرِ الْرِّياضِ)
«إِيِّهِ حَنِانِيكَ يَا بَنَانُ الأَكْرَمِينَ عَلَى
ضَيْفٍ أَلْمَ بَفَاسُ غَيْرُ مُقْتَسِمٍ»

وَقَدْ كَانَ أَبٌّ لَكَ الْخَطِيبُ مَوْلُناَ بَتْضِمْنٍ شَعْرُ المَتَنِبِيِّ فِي نَحْرٍ، أَوْ التَّلْمِيْحِ إِلَى مَما يَذْلِكَ عَلَى اسْتِظْهَارِهِ وَاسْتِحْضَارِهِ لَهُ كَفْوَلَهُ فِي «خَطْرَةِ الْطِّيفِ» وَسَرْتَا
وَدَرُّ الْحَصَيْصُ بِسَاطٍ لَّا رَجَلٍ رَكَابَتَا وَهُدَانَيْنَ أَبِي الْطَّيْبِ تَتَنُّرُ فَوْقُ أَنْوَابَا وَكَرَرَهُ
هَذَا الْتَّلْمِيْحُ فِي مَوْعِدٍ أَخَرِ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قُوَّلِهِ
«وَلَقَّيَ الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي
دَنَانِيْراً تَفْيِرُ مِنَ الْبَنَانِ
وقَوْلُهُ فِي أَبِي إِسْحَاقِ السَّاحِلِيِّ الْأَنْدِلُسِيِّ نَزْيِلٌ مَّالِيٌّ: دَفْجُّ بِهَا مَحْلُ
الخْمَرِ فِي الْفَارِ، وَالنَّوْرِ فِي سَوَادِ الأَبْصَارِ، وَتَقْدِيْرُ بِالْإِحْسَانِ، وَإِنْ كَانَ غَرِيبٌ
الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْلَّسَانِ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قُوَّلِهِ: «وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قِيدَ أً
تَقْدِيْرًا، إِلَى قُوَّلِهِ
وَلَكِنَّ الأَفْقَيْنِ الْعَرْبِيَّينِ فِيهَا
غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْلَّسَانِ»
وَهَكَذَا أَصْبِحَ شَعْرُ المَتَنِبِيِّ مُورِّداً عَلَياً وَمَجْنِى رَطْبَا لِشَعْرَاءِ الْأَنْدِلُسِ
وَالمَغْرِبِ يَنْهَلُونَ مِنْ صِفَوِهِ، وَيْقَطَفُونَ مِنْ تَصْرُّهُ، وَغَدَا - وَهُوَ الَّذِي طَالِمًا
أَصْرَفَ خَصْوِهِ فِي اتْهَامِهِ بِالسَّرقاتِ - مَرْجَعًا خَصْبَا لِهِؤَلَاءِ الْشَعْرَاءِ المَتَمَثِّلِينَ
مِنْ شَعْرَهِ وَالَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسْتَطَيعُونَ - بَعُيٍّ أَوْ بَعُدٍ وَعَيٍّ، - الْخَلاَضِ مِن
إسăr محفوظه، ومن هنا عَنني الشرَاخ والتقاَد الأندلسيون يبَعَذ تواردهم على معينه، ونظرنهم إلى إلفاظه أو معانيه، ومن هؤلاء ابن بسام في المقصورة (142) والشريشي في شرح المقامات (143) والشريف السبتي في شرح المقتصرة والزَرَندي في الواقي (145) وغيرهم، وهذا باب كبير لا أريد أن أفتتحه تجَبًا للإثقال أو الإملاك، وقد كان المسَرَّلون أيضًا يستَهذدون بشره، أو يعْمدون إلى حُلة وثُرته، والأمثال في المذكرة وغيرها كثيرة، وما هذا كله إلا لأن القوم كانوا يستَهذرون ديوان المتنبي ويتمَّلونه، ويجدون فيه ما يسعفهم في التصور عن أفرادهم ورفاقهم، وقالืَه الذين كنا نحفظون الديوان طويلة، وفهمهم الطبيب كاِبن زَهَر (145) والفيلسوف كاِبن رشدا (146) ولفقه كاِبن العربي (147) والمؤرخ كاِبن خلدون (148) والأديب كاليسابي (149) وغيرهم، وللذالِة على مدى حفظ الديوان في الأسِاط الأدبية بالأندلس والمغرب نورد حكايات لا تخلو من طرقيف في هذا المجال.

جاء في المعجب لعبد الواحد المركاشي عقب ذكر أبي جعفر الحَمريري: "أبو جعفر هذا، آخر من انتهى إليه علم الآداب بالأندلس، لزمنه نحوًا من ستين، فما رأيت أقوى لشعر قدم ولا حديث، ولا أذكر بحكاية تتعلق بادب أو مثل سائر أو بيت نادر أو سجعة مستحسنة منه رضي الله عنه وجَازاه عنا خيراً. أدرك جلة من مشايخ الأندلس فأخذ عنهم علم الحديث والقرآن والآداب، وأعانه على ذلك طول عمره وصدق محبته وإفراط شغفه بالعلم.

(142) راجع فهارس المذكرة.
(143) انظر شرح المقامات.
(144) انظر رفع الحجاب المستورة.
(145) انظر الواقي.
(146) انظر ترجمته في الجليل والتكملة.
(147) انظر نفح الطب.
(148) انظر التحريف بابن خلدون.
(149) انظر ترجمته في وفوات الأعيان.
(150) انظر ترجمته في الجليل والتكملة.

وختتم الشقيقي رسالة المعروفة في فضل الأندلس بالحكاية التالية:

"وانا أحكي لك حكايتي جرت لي في مجلس الفقيه الرئيس أبي بكر ابن زهر، وذلك أنني كنت يوماً بين بديه، فدخل علينا رجل عجمي من فضلاء خراسان، وكان ابن زهر يكرمه، فقلت له: ما تقول في علماء الأندلس وكتابهم وشعرائهم؟ فقال: كبرت ، فلم أفهم مقصده، واستبردت ما أني به، وهلمه مني أبي بكر ابن زهر. أي نظرته نظر المستدير المنكر، فقال لي: أقرأت شعر المنتمي؟ قلت نعم، وحفظت جميعه، قال: فعلى نفسك إذن فلتتذكر، وخاطرك بقية الفهم فلتتهم، فذكرني يقول المنتمي:

"كبَرَتْ حَولُ دِيارِهِمْ أَلَمَّا بَدَتْ منْهَا الشُّموُسُ وَلَتَسْ فيَهَا المَشْرِقُ" 

(150) المعجب بالمراكيشي وترجمة الحميري ومصادرهما في الدليل والتكملة وترجمة ولده عاصم ومصادرهما في الدليل والتكملة
فاؤذرت للخراساني، وقلت له: قد والله كبرت في عيني بقدر ما
صغرت نفسي عندي، حين لم أفهم نبأ مقصودك فالحمد لله الذي أطلع
من المغرب هذه الشمس، وجعلها بين جميع أهله بمنزلة الرؤوس.\\(^{151}\)

وجاء في الصحيح المنبي ما يلي:

وحكي صاحب الحديث أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائق في
قلائد العقيان فقال فيه: «رعد عين الدين، ومدى نفس المهتدین، لا يظهر
من جنابة، ولا يظهر مخايل إبابة».

فبلغ ذلك ابن الصائق فمر يوماً على الفتح ابن خاقان وهو جالس في
جماعة فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح وقال له: إنها شهادة يا
فتح، ومضى فلم يدر أحد ما قال إلا الفتح فنفير لونه، فقبل له ما قال
لك، فقال إني وصفته كما تعملون في قلائد العقیان فما بلغت بذلك عشر
ما بلغ هو مني بهذه الكلمة، فإنه أشار بها إلى قول المنبی:

وإذا أنتك ملمتی من ناقص
فهي الشهادة لي باتي كاملاً

وجاء فيه أيضاً: «حدث بعض المغارة قال: كنا عند ملك المغرب
فورد عليه مكتب من بعض ثغوره يتضمن أن أعداء المسلمين خرجوا من
البحر، وفتكوا بعضهم بعض، حتى لم يبق منهم من يحمل السلاح،
وصارت القتلى كالآكام على البطاح، وكان يبدأ ذلك الغزاة أمير تهابه
الحروف، وتفرق من ملاقيته الألف، وسار إليه أعداء الدين، جمع لا يبلغ
عشر من قتلاً، فقتلوه بالبيض المشرقية والسمك الختية، فانهزمت
أرواحهم إلى النار، وثبتت أجسادهم كال أحجار، وعمد إلى سفينهم فأغرقهوا وإلى
إشبائهم فأحرقه، فلم ينت قراءة الكتاب قال رحم الله أبا الطيب، ومراده قوله:

____________________________
\\(^{151}\) نفح الطيب 3: 222، 4: 208

154
فلْيَسْ تَأْكُلَ إِلَّا الْمِيْتَةِ الْسَّبْعَ
ونَلْسُ هذَا الْأَسْتِظْهَارُ فِي تَمْثِلِ ملْوَكَ الْغَرْبِ الإِلَـلَمِيَّ وَرُوَّاسَاهُ
بِشَحَرِ الْمَنْتَيِّ فِي الْمَخَاطِبَاتِ وَالْمَوَاقِفَ، فَقَدْ تَمْثَلَ الْحَكَمُ المُسْتَنْصَرُ
الأَمْوِيَ عِندَا أَعْجِبُ بِحَرَّاَتِ الْرَّزَائِيِّينَ عَلَى خَيْرِهِمْ بِقُوَّلِهِ:

فَكَأَنَّا وُلِدْتُمْ قِيَامًا تُحْتِهِمْ
وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهْوَائِهِمْ(152)

وَكَتَبَ أبُو القَبَاسِمِ الْزَبِيْدِي إِلَى الْوَزِيرِ ابنِ حَزَم كِتَابًا تَمْثِلُ فِي أَخْرِيهِ
بِقُولِ الْمَنْتَيِّ:

وَمِنْ نَكَّدِ الْذَّنْبِا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى
عَذْوَاهُ لَه مَا مِنْ صَدَاقيَهُ بَدٌ

فَوْقَعَ الْوَزِيرِ ابنِ حَزَم عَلَى ظُهْرِهِ وَلَمْ يَزِدْ:

وَمِنْ نَكَّدِ الْذَّنْبِا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى
صَدِيقَاهُ لَه مَا مِنْ عَداوَيْهِ بَدٌ (153)

وَلَمَّا بَلَغَ الْكَتَابِ ابنِ الْبَنَاءِ الإِشْبِيْلِي مَوتَ عَدُوُّهُ لَهَ تَمْثِلُ بِمَتَلَعَ
المَنْتَيِّ:

قَالَوْا لَنَا مَاتِ إِسْحَاقَ فُقِلَ تُلْهُمُ
هَذَا الْذَّوَاءِ الَّذِي يُشْفِي مَنْ الْحَمْمِيْ (154)

---

(152) المقتبس: 193 تحقيق عبد الرحمن الحجي.

155
وكان حمّو بن ملِّيل يقتصر في مكتبة خصمه تيميم بن المعز بن
باديس على شعر المتنبّئ، فقد كتب إليه مره مماثلة بقول أبي الطيب:

إذا كان أعجبكم عامكم
فعودوا إلى جمّص في القابل
فإن الحسام المُصيب الذي
قيلتم به في يد القاتل

وكتب إليه في مناسبة أخرى مماثلة بقوله:

كم قد ذهبت وكم أقبرت عندكم
ثم انقضت قزل القدر والكفن
ما كلما يتنمي المَرَّة يدركه
تجري الرياح بمالا تشهي السَّمَن

واكتشف يوسف بن تاسفين في مجازية الأدفونش بهذا البيت:

ولا كتب إلا المُسَرِّفية والقنا
ولا رسول إلا الخمس العمران

وكان المهدي ابن تومرت يمثلب بقول المتنبئ:

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقلع بما دون النجوم
فطغم الموت في أمر حقي
كطغم الموت في أمر عظيم

(154) رحلة النحامي: 72.
(155) المصدر نفسه.
(156) إحكام صنعة الكلام للكلاعي.

156
ويقول أيضاً:

ومن عرف الأيام معرفتي بها
وبالناس زوّر رمّته غيّر راحم.
فليس بمرحوم إذا ظفروا به
ولَا في الردى الجري عليهم بآثم.

ويقول أيضاً:

وَما أُنا منْهُم بالعيش فيهم
ولكن معْدن الذهب الرغام(157)

ومن أطرف ما وقع لهم في التمثيل بشعر أبي الطيب هذه الحكاية التي ذكرها ابن خلدون وغيره من المؤرخين المغاربة وهي أن العادل الموحدي لما وصل قصر المجاز عائداً من الأندلس بسبب اضطراب الأحوال لقبه أبو محمد عبد الله بن أبي حفص فسأله العادل عن الحال فأنشد متمثلاً:

حالَ مَتى عَلَم ابنُ منصورِ يَها
جَاء الزمانْ إِلَيْ منْهَا تائباً

فاستحسن العادل تمثل المذكور بهذا البيت لموافقة للحال إذ العادل هو ابن منصور فوالة، إفريقياً مكافأة له بسبب هذا البيت، وكان ذلك مبدأ الدولة الحفصية(158).

يتجلّى ممّا عرضنا في هذا الفصل مبلغ العناية بشاعر العربية الأكبر في الغرب الإسلامي وهي عناية ظلّت مستمرة إلى وقتنا.

وفي العصور الأخيرة التي تدعى بعصور الانحطاط أصبح المغرب

(157) وفيات الأعيان 5: 54.
(158) العبر لابن خلدون وتاريخ الدولتين للمزركشي: 21.
القضيّة المركز الأول لقراءة ديوانائتي وحفظه ودراسته، ولا سيما يعد
زيارة الأندلس وقيام الترك في تونس والجزائر، فقد كان السلطان السعد
محمد الشيخ يحفظ ديوانائتي، عن ظهر قلب، ويروي الناصر في
الاستقصاء سبب حفظه له فقوله:
«لما غادرت به قبيلة المنابة وأتجاه الله من غذرتهم كتب إلي شيخه عبدالله
ابن عمر المدغري يشكو له الحال فأخذه: أي أنت من قول أبي الطيب:
غاب النِّفَّاءُ فَما تَلَقَّاهُ فِي عَدَّة
وأَغْرَزَ الصَّدِيقُ فِي الْآخَبَارِ وَالْقَصَمِ.
فَعَعَفَ السُّلَّطَانُ الْمَذْكُورُ عَلَى دِيوَانَيْنِي حَتَّى حَفَظَهُ وَلَمْ يَعَزِب
عَنَّهُ بَيِّنَ وَاحِدَ».

ويحثنا عبد العزيز الملزوحي عن شغف السلطان المذكور بشعر
المنتبي يقول: «وكان أشدهم به وولداول، وأحناهم عليه ضلماءً، أشبههم
كلاهما برضه، وألهمهم لساناً بحكمته وأنذاهم يوم الروع لسف جزالتهم،
وأجراهم في الإقدام في حومة الهياج والكفاية على دلالته، وأحسنهم إيرادًا
لأمثاله، وأرشفهم بسهام الأرى المصيب ونبلاء، وأفتقدهم في الملحدين
لوعيده، وأعطفهم على المؤمنين من رعايا الله، وعبده ملك الملوك، وفكر
الملك والمملوك، مولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين، وناصر الدين، أبو
عبد الله محمد الشيخ المهدى قديس الله نفسه، وطيب بتألف اسم المغفرة
والرحمة رميه، كان كثيرًا ما يعتاطه على شغفه، ويعرب بذوقه السليم عن
حكم أنثقه القرط والشفن، ويجلب بفوارس الإدرار غرم، ويستخرج
بفهمه النابث من بحور معانيه الرايحة درءه، حتى اشتم عليه حفظًا
ودراسة، ورفع للشهيرة بمعارفه الراية، وما زال رضي الله عنه يوصي بحفظه

(159) انظر الاستقصاء.
ودرآته إلى أعقاب الكرام ونثيه، ويشير بذلك على كتّابه وأدبائه وقته وذويهم.(160)

وبلغت العبادة بديوان المتنبي في المغرب ذورتها في عهد المنصور الذهبي، فقد ورد الشعر بديوان المتنبي عن أبيه محمد المهدي، يقول كاتبه عبد العزيز الفشالي: «فإنّه اليوم أيّده الله كالخليفة أبيه كلف بصناعة ومغرم، وولوّه المنيف قد طاف بمعاطاته وأُحرم، وما زال على المدى مطلعاً لشمس حكمه ونواهد في كريم نادبه، ومجلاً لقداح المحاورة فيه مع جهاده هذا الشَّان وأهل واديه، حتى فاز من سهام المعرفة بمعانيه وأساليبه ومبادئه بالقدر المعالى، وصار في حفظه وحفظ الأدب على الجملة ودرآته آية تأتي.(161)

وتظل شغف هذا السلطان العظيم بالشاعر الكبير في شئين:

أحدهما: أنه جمع في خزائه العلمية الحافلة عدداً كبيراً من نسخ هذا الديوون المتقيدة المسموحة المروية.

وثانيهما: أنه «آشَر بتحرير نسخة منها تشتمل على نظمه المروي المجاز، وشعره الذي ليس في صحة روايته احتمال ولا مجاز، وأمر أمه الله ونصره، وأسدّ أصالته يُبكره، برتيبه على حروف المعجم على طريقة المغارية واصطلاحاتهم، والجري في وضعها على بيانهم وإيضاحهم، ليتفنِّع بهذا التحرير العجيب عين شعره المروي الشك والازتب، ويسهل بهذا الترتيب اهتداء المطالع إلى محل الحاجة من الكتاب».(162)
كان الباعث على إشارة المنصور أنه «نظر إلى هذا الديوان نظر
مشفق على بضاعته، وغيره على صناعته، فرأى أبهه الله عدم ترتيبه،
 وإغفال تمويه، وخلو جمعه من ضابط، وغربّ موصوله من صلة ورابط، نقصًا
في إحسانه، وحرصًا في لسانه وعاهة في شخصه وسلوكه، إذ يعسر بذلك
على مطالعه الاهتداء إلى قصده، والعثور بديهًا على ما يشاء من هزه
وجده» (163).

إذ عمل المنصور السعدي في الأمر بترتيب شعر أبي الطيب على
نحو جديد شبه بما ذكرنا سالفًا من تكيف الناصر الأموي أديهة وقته بجمع
شعر أبي تمام وترتيبه.

وقد كلف السلطان السعدي بهذا العمل كاتبه المجيد وشاعره
الخنثدي عبد العزيز الفشتالي وأمره بمقابلة النسخ التي تشمل عليها
خزانته، وإليه في ذلك بالجمع المناهي، وجز ما أغفله الساهم».

وقد تفرغ الفشتالي لهذا العمل وعكف على شعر المتنبي يرتبه ويقدم
له ويعارضه بالأصول التي وضعت بين يديه، وفيها أصول عتيقة ونسخ
متداولة، وفيها روافات أندلسية قام بها العهد وظلت محفوظة إلى ذلك
الوقت، فقد أشار الفشتالي إلى رواية ابن العريف القروطي هكذا: «وقال
في كافور ولم يرو ابن العريف هذه الأبيات» وذكر مرات روایة ابن قادم
القروطي، منها مرة في ص 46: «وقال وليس في كتاب ابن قادم ولا هي
في النسخ المتداولة ومرة ثانية في ص 241: «وقال وليس في كتاب ابن
قادم ولا ثبت في أصل الديوان» ويشير الفشتالي إلى أصول أخرى بدون
تعين كما في ص 228: «وقال وليس مما ثبت في أصل الديوان» وكما
في ص 260: «وقال مما لم يثبت له في الأصول المنشئ منها».

(163) المصدر نفسه.
يبدو من هذا أننا أمام نسخة موثقة أو نقدية كما يقال اليوم، وقد
تعرّضها أول نسخة نقدية لشعر المتنبي في بداية التاريخ الحديث.

ويشير الفشتالي في مقدمة ترتيب الديوان إلى أن بعض الفضلاء «كان
قد فوق إلى هذا الغرض تباليه، وأشعرين إليه صالته، وجرى في ترتيبه على
حسب ما في وسعه ومقدوره، ونظم في قضاء جمعه ما التقطه من فرائه
وشذره، فقل أن كان [مستوفياً] في ترتيبه لشعره المشهور، ومستقصياً في
جمعه لائمه الذي صحّحه أئمة المنظوم والمثير، إذ كان اقتصر على ما
صحّت عنه روايته، ووقف في الاجتهاد حيث وقفت في مجال الدراسة
رايته» (164).

ولا يعرف من هو هذا الفاضل الذي يشير إليه وله أحد فضلاء زمانه
ووطنه، ويبدو من عبارة له أن عمل هذا الفاضل رفع إلى السلطان ولكنه لم
يقنعه وفائر أيد الله الإتيان في ذلك بالجمع المتناهي، وجب ما أغرله
الساهي» (165).

ومهما يكن الأمر فقد أنجز الفشتالي عمله حسبما أشار عليه
المنصور، وقد وصلت إلينا نسخة من هذا الترتيب: إحداهما في الخزانة
العامة بالرباط (رقم 609 ج) والثانية في الخزانة العامة بتطوان (رقم 524)
ولكنها نسبت إلى أبي جمعة الماغوسي معاصر الفشتالي وأحد كتاب
المنصور، وتتصدر د비용ها هذه العبارة: "هذا إنشاء الأديب الشهير أبي
جمعة المراكشي المعروف بالمغولي رحمه الله".

لقد ذكر هذا الكتيب ونسبه إلى الفشتالي ابن القاضي في درة

(164) المصدر نفسه.
(165) المصدر نفسه.

161
الحجال إذ يقول: «آلف مقدمة لترتيب ديوان المتنبي على حروف المعجم الذي أمر بترتيبه على ذلك المنهج المخوم وولانا أبو العباس المنصور، وقد ذكرت صدور التأليف المذكور في المنتقى المقصور» (166) وكذلك المقري الذي يقول في روضة الآس:

«ومنها أيضاً: ترتيب ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين الكندي الشهير بالمتنبي، رتبه على حروف المعجم، وجعل له خطبة، أمره بذلك أمير المؤمنين نصره الله» (166).

يتميز عمل الفشتالي بما يلي:

- ترتيب شعر المتنبي على حروف المعجم حسب الترتيب المغربي.
- تحقيق المتن بالاعتماد على نسخ أصلية كبيرة أصبح بعضها مفقوداً.
- التمهيد للقصائد بما يشرح المناسبات التي قبلاً فيها.
- إغناء النسخة بطر - وهي الحروفي في اصطلاح المغاربة - ومعظم هذه الطر تتعلق بالسرقات، وقد اشتملت هذه الطر على أيات السرقات الواردة في المنصف لابن جنير، وغيره، ويمكن القول بأنها أوسع ما وضع في سرقات المتنبي على الإطلاق، وإذا كانت هذه الطر للفشتالي فإنها تدل على غنى مكتبة المنصور التي ورثها ولده زيدان ثمّ غرّ بها القدر إلى الاستكرال حيث ما تزال بقيّتها إلى اليوم.

وينقل الفشتالي عن مصادر مفقودة بل لا ذكر لبعضها في تراجم أصحابها، فقد نقل رواية في سبب مقتل المتنبي عن رسالة لأبي هلال العسكري (المصدر نفسه).

(166) المصدر نفسه. 162
اسمها "التكملة المختارة في تتبع الوساطة"، ولم نجد لهذا الكتاب ذكرًا فيما وقفتنا عليه من مصادر، وهو يمثل حلقات مفقودة من حلقات المعركة النقدية حول المتنبي، ولا بد أن أبا هلال العسكري رد في رسالته المذكورة على القاضي الجرجاني، والعسكري كما يؤخذ من كتاب الصناعتين كان من خصوم المتنبي، فهو يقول فيه: "ولا أعرف أحدًا كان يتبع العيوب فيأتيها غير مفكرًا إلا المتنبي، فإنه ضمّن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها" ويقول في ابتداءات المتنبي إنها "ابتداءات لا خلاق لها".(167)

وتتميز نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 609 ج بتوقفات على بعض الآيات يبدو أنها بخط المنصور الذهبي، وهذا مستفاد من مقارنة خطوط التوقفات بخطوط المنصور الموجودة وكذلك من التعليق الذي كتبه الأديب السيد محمد غريغ ونصّه: "الحمد لله، يقول الراوي اسمه عقب تاريخه سامحه الله بسمه: إني سمعت سيدي الوالد رحمه الله يقول غير ما مرة: إن المنصور السعدي كان مولعاً بديوان المتنبي وكانت له نسخ منه، وكان يوقف عن ما أعجبه من أبياته ويجعل مكان الرمل سحيب الذهب تنبهاً على كثرته لديه، وأن نسخة من تلك النسخ عند السادة الشرفيين، ولا شك أنها هذه لما فيها من التوقفات المذهبة. وقيد في 25 ربيع الثاني عام 1347 هـ.

ولهذه التوقفات فائدة في الدلالة على ذوق السلطان المذكور ومقياس اختياره - وكان كما هو معروف آديباً نادقاً - وقد وجدناه يوقف في الغالب على أبيات حكيمة أو غزليّة كما يوقف على أبيات في وصف الخيل والمعارك، وقد يوقف على بعض المطالع التي تعجبه أو على بعض الآيات التي انتقدت على المتنبي كهذا البيت:

(167) كتاب الصناعتين.
فظَّلتُ بهمُ الذي قُلُّ قلَّ الحشا
قلَّ قلَّ عيسٍ كلهن قلاقلُ
ومعظم الأدب التي وقف عليها هي من أبيات المنتمي السائرة،
وربما كان المنصور يشدها ويرددها في المواقف المناسبة، وربما وجد في
بعضها ما يعبر عن واقع حاله كهذا البيت الذي وقف عليه:

وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى
ولكن بايامٍ أشبى نواصيًا

وستبت هذه التوقيفات مع مقدمة هذه النسخة السعدية وزياداتها
وبعض طرها في فصل آتٍ.

إذا كان الفشتالي قام بترتيب الديوان وتحريج نسخة مغربية له فإن
محمد بن علي الهوزالي الملقب بالابناء وضع شرحاً على الديوان توجد
منه نسخة في إحدى الخزانات الخاصة، ولم تتمكن من الإبلاء على هذا
الشرح، ولا بد أنه أهداء إلى المنصور.

وتساءل عن دواعي بعث ديوان المنتمي وإحياء قراءته ودرسته؟

وقد يكون أول هذه البواعث إعجاب المنصور وسله بالشاعر الكبير,
وتطلعه إلى تكوين طبقة من الشعراء في مستواه لتسجيل مفاهيحه، وتخليد
مشارته، وهذا ما حصل بالفعل، فقد ظهر عدد من فحول الشعراء، ومنهم
الهوزالي الذي كان ينزع مراعي المنتمي وعبد العزيز الفشتالي وغيرهما.

ومن الملاحظ في تاريخ الأدب الأندلسي والمغرب أن العناية بشعر
المنتمي تقوى مع ظهور كبار الملوك الذين يحتاج وقائعهم إلى من يخللها
بشعر يكون في مستوى شعر المنتمي في وقاع سيف الدولة، فمن ذلك
ظهور ابن هاني مرمي المغرب مع المعز الفاطمي، وفي عهد المنصور بن
أبي عامر نهان بن دراج ‚وكأن بصبع الأندلس كالمتنبي بصبع الشام‘

واخيراً نجد في عهد المنصور السعدى هذه العناية بشعر المتنبي التي أنجبت الشعراء المذكورين وغيرهم.

وكان الطابع العربي لهذه الدولة المغربية الشريفة من أساب إحياء شعر المتنبي والآداب العربية على حين غدت التركية لغة الدواوين في معظم العالم الإسلامي.

كما أن المنصور الذهبي في هذا العصر الذي تقهقرت فيه الثقافة العربية والإسلامية رأى أن يحيي مجموعة من أصول هذه الثقافة، فكما كلف كاتب دواوينه بوضع نسخة جديدة عن ديوان المتنبي كلف أيضاً علماء الحديث في عصره بعمل نسخة مقابلة ومعارضة بالأصول من صحيح البخاري وقد ضمّن قائده أبو الحسن الشيعي تاريخ الفرات من هذه النسخة في آخر الأبيات التالية:

للّ مَنْهَا دَرَّةً قَدْ بَذَتْ
في غاية الإحِكَامِ والجِنْفِيْالْ

نسخة من فَاقَ الْوَرَّةِ هَمَّةُ
وَحَصِّهَا اللهُ بِلْرِثَ الْمَعَالَ

وَأَكْسِبَ المَأثِرَ فَخْرًا يَهْ
وَأَلْبَسَ الرَّوْئَةَ بُرْدَ الْجِمَالَ

المَلِكُ المُنْصُورُ مُحْيِي الْهُدَى
ابن رسول الله وافي الكَمَالَ

جاذِبَتْ بِهَا الْأَيَامَ في طالع
أفاذا عَيْنَ الْدُّنْيَ اتَّحَالَ

(168) بيتهم الدهر
متي نشأ تاريخ إتحافه
بالملك قل آل النبي خير آل (169)

وندب علماء حضرته إلى تخريج تفسير ابن عرفة الذي كان يؤثره،
وأشار بوضع شروح ومؤلفات سمى بعضها الفشالي في مداخل الصفا وابن القاضي في المتبقى المقصور حتى لقد اشتملت "الخزنة الكبيرة العقلية
الإمامية الشريفة اليوم على عدد جم من تصنيف أهل العصر في كل فن
حتى في الطب والهندسة" (170) وكان يرسل العطايا الجزيلة للمؤلفين
المشاركة الذين كانوا يهودون إليه مؤلفاتهم (171) ، واشتغل هو نفسه
بالتلخيص، فألَّف كتابًا في السياسة، وجزأها في الأدبية المتأكرة عن
النبي، ونابها في علم المعنى من فنون الشعر ومعرفة
طرقة وأسمائه وألقاه، وجمع أشعار العلويين من أمهات الأدب
والدواوين الشعرية، وبالجملة فقد كان المنصور مغرماً بالشعر "لا تكد
داويته تفارق راحته، ولا يرى في غير واديه أنفس وراحته" (172) ولهذا كله لا
نحرب إذا رأينا منه هذا الاهتمام بشعر المتني "والانفراد بمعرفة ديوان أبي
الطيب واستحضار حكمه وأمثاله" كما يقول الفشالي في المناهل، وفي
دبيجة النسخة المتصرفية أيضاً شرح لأسباب اهتمامه بالديوان.

وقد استمرت العناية برواية شعر المتني وحفظه في العهد العلوي
حيث كان عبد القادر الفاسي والحسن اليوسي وابن سليمان الروداني
وأحمد بن خالد الناصري وغيرهم من حفاظ ديوان المتني (173)؛ وما يزال
علماءغرب الإسلام اليوم يشدون شعر المتني في المناسبات

(169) المتبقى المقصور (مخطوطة).
(170) مناهل الصفا. نشر د. كريم.
(171) ريحانة الأيلاب: 113.
(172) راجع مناهل الصفا: 294 - 293.
(173) ديوان المتني في العالم العربي: 54.

166
والمجلس العلمي، ومن ذلك ما أنشده أخيرًا العالم السنغالي الشيخ عبد العزيز جرب في آخر درسه الدينى الذي ألقاه في حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله (رمضان 1405) وكان جلالته محفوظًة بولي العهد سيدي محمد وصنه مولاي رشيد ومن ضمهم ذلك المجلس العلمي، وبعد أن أنهى الشيخ درسه ختمه بالدعاء وإنشاد هذين البيتين وهما للمتنبي:

أما ترى ما أراه أيها الملك
كأننا في سماء ما أها جُمُك
الفردُ ابنك والمصبغ صاحب
وانت بدر الدُجى والمجلس الفَلُك

ويشير في ختام هذا الفصل إلى أن أدباء المغرب احتفلوا بذكرى المتنبي عندما احتفلت بها الأوساط الأدبية في العالم العربي سنة 1935 وقد سجلت صحف ذلك الوقت ومجملها ما كتبه في تلك المناسبة(174).

وإذا كانت العوود إلى المتنبي في العالم العربي لم تتم إلا في مطلع النهضة الحديثة فإن مكانه في المغرب ظلت محفوظة - كما رأينا - طوال مختلف العصور.

(174) تذكر منها على سبيل المثال العدد الخاص من مجلة "المغرب الجديد" العدد المزدوج 9 - 10 فبراير - مارس 1936.
الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث.
من جواهر الأدب لابن السراج الشتريلي
168
الصفحة الأولى من الجزء الرابع من كتاب
ابن السراج الشنريني
169
نسخة من شرح الوحيد لديوان المتنبي منشقة في سبعة (مخطوطة الأسكندرية)
المؤلفة روضة الأديب
في النضج بين المتانة وحبب
مؤلف رسالة هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي المعروف بابن لبّال الشريشي، ورفع ابن عبد الملك المراكشي نسبةً إلى عبد مناف فقال: «علي بن أحمد بن علي بن فتح بن لبّال بن إسحاق بن أمية بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف»(1).

ولم يشر ابن عبد الملك إلى مصدره في هذه السلسلة على خلاف عادته، وعلّه اعتمد فيها على ابن لبّال نفسه الذي كان - كما يقول - "حافظًا للتاريخ والنسب"(2).

ويقول أبو الخطاب ابن دحية الذي عرف ابن لبّال وسمع منه منزله في شريش: "أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح وهو لبّال بن أمية بن إسحاق القرشي الأموي"(3) وإذا لم يكن في هذا النص المطبوع خلل فإن كلمة لبّال بما تحمله من مسحة عجمية إنها هي لقب لفتح أحد أجداد المترجم، وهذا يخالف ما رأيناه عند ابن عبد الملك من عده جداً آخر بعد فتح.

(1) الذيل والتكمية 5:169.
(2) المصدر نفسه.
(3) المطرتب: 97 تحقيق الأباري.
أما الآخران الذين ترجعوا لابن لالب فهم يقفون في تعداد نسبه عن جده علي، ولكن الجميع يتفق على نسبته الأموية.

وإذا صبح النسب الذي ساقه ابن عبد الملك بكون ابن لالب من عقب عبد الرحمن الداخل ومن ذريته ولده عبدالله بنهسي، وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة أنه بقي في وقته من ولد عبد الله البناسي رجل يعرف بابن الخديين.

ولد ابن لالب بمدينة شريش سنة ثمان وخمسينيات وسبيع من قائمة شيوخه أن جلّ دراسته كانت بإشبيلية، فقد قرأ القرآن بالقراءات السبع وسمع صحيح البخاري على أبي الحسن شريح شيخ القراء والمحققين بإشبيلية والأندلس في زمنه، وروى الموظفاً عن أبي بكر محمد بن طاهر وأبي بكر ابن العربي بإشبيلية أيضاً، ودرس بها النحو واللغة والأدب على أبي الحسن علي بن مسلم وأبي الفضل ابن الأعلم وأبي بكر محمد ابن فدللة، وقد نص في رسالته على قراءته على هؤلاء بإشبيلية، وسمع بلده شريش مقامات الحريري على أبي القاسم عبيس ابن جهور الذي أخذها في بغداد عن الحريري نفسه. ومن شيوخه أيضاً أبو الطاهر التميمي السرقطي مؤلف «المسلسل» و«المقامات اللزومية» وأبو الحجاج يوسف.

الجمهوره: 95 تحقيق عبد السلام هارون.


ترجمتها في الصلة: 557 - 558 وغيرها.

ترجمتها في الصلحب والكلمة 5: 180 ، 392 والكلمة رقم 1848.

ترجمة أبي الفضل حفيد الأعلم في المطمح: 64 - 67 والصلة: 552 وفظمة الملموس رقم 609 وفظامة الوعية 1: 161 وفظامة الطيب.

ترجمته في الصلة: 552 وفظة الملموس رقم 210.

ترجمته في الصلة: 416 وفظة الصلة رقم 79 وفظمة الملموس رقم 1140.

ترجمته في الصلة: 556 ومعجم لابن الألاز: 140 وفظامة الوعية 1: 279.
ال قضاعي الأندلي (11) وأبو مروان ابن مسمرة (12) وابن الحسن خليل بن إسماعيل (13)، وأبو العباس بن أبي مروان (14) وغيرهم.

قد تهافت لأبي لبلان بهذه الدراسة الجادة ثقافة عامة عريضة، وتكونت لديه مشاركة واسعة في علوم متنوعة، وكان معنياً بالقراءات مجوداً لها، وافر الحظ من الآداب، حافظًا للتاريخ والنسب، متقدمًا في علم العرية، عاقدًا للشروط ضابطًا لها (15).

ولما انتهى زمن الطلبة والدراسة بإشبيلية عاد أبي لبلان إلى بلده شريش واستقرَّ به منصبًا للتدريس مطرعاً به ومتعلماً بالتوثيق متعيشاً منه، ومتمتًا بالتدريس والتأليف ونقد أن عودته إلى شريش كانت في آخر العقد الرابع من القرن السادس أي حوالي 540 هـ وهذا التاريخ يمثل نهاية عهد المغربين في الأندلس وبداية عهد الموحدين، وقد كانت مدينة شريش أسبق مدن الأندلس إلى الدخول في الطاعة والمبادرة إلى مبايعة عبد المؤمن فأصبح لها بذلك وضع خاص طوال عهد الموحدين، قال ابن أبي زرع: "فكان أول مدينة فتحوها من الأندلس مدينة شريش، فتحوها صلحاً، كان بها قائدها أبو الغمر من بني غانية في ثلاثة آلاف فارس من المرابطين، فخرج بمن معه فتلقى الموحدين وباكيعهم عبد المؤمن ودخل في طاعته، فكان الموحدين يسمونهم السابقين الأولين، وحرزت أملاكهم فلم تزل محررة إلى انقضاء أيامهم، فليست في أملاكهم رباعة وجميع بلاد الأندلس مرتَّبة، وكان ملوك الموحدين إذا قدم عليهم وفد الأندلس للسلام في كل سنة لمن ينادون من أهل البلاد أهل شريش، فقال لهم: أين...

(11) ترجمته في بحث الحمص رقم 1446 والتكملة رقم 2076 وصلة الصلة رقم 400.
(12) ترجمته في الصلة: 348.
(13) ترجمته في التكملة: 310.
(14) ترجمته في التكملة: 58.
(15) الذيل والتكملة: 169.
السابقون أهل شريش يدخلون للسلام فإذا سلّموا وقضيت حاجاتهم
انصرفوا، فحينئذ يدخل غيرهم، وكان فتح شريش في أول يوم من شهر ذي
الحجّة ستة سنع وثلاثين وخمسمئة(16).
كان ابن لبّال في هذا التاريخ قد جاوز الثلاثين وبلغ مبلغ الرجال،
وفي هذا الجو الاجتماعي الممتاز الذي أصحبت تتبعه شريش أقبل بعزم
وحزم على ما كان بصدده من التدريس ونشر العلم، واتسمت حياته منذ
شبابه بسمات الفضل والخير والورع والزهد، وسرعان ما أصبح بفضل
خصائص الحميدة وشيمه النبيلة عين ذلك المصر، وفارسه في الفقه والنظم
والثروة كما يقول ابن دحية(17).
وهذا ما جعل أهل بلده يجمعون على ترشيحه لخطبة القضاء
عليهم، وهنا يحسن لنا أن نسوق كلام ابن الزبير قال: "رواي قضاء بلده
شريش مكرهاً، وكان سبب ذلك أن ولي إشبيلية كتب إلى أهل شريش أن
يجتمعوا على رجل منهم يولى القضاء بها فجمعهم ولي البلد وأجمعوا عليه
ولم يختلف عليه أحد منهم فهلف أن لا يكون قاضيًا ورجا أن يروا يمينه
فلم يفعلوا، وكتب عقدًا باتفاقيهم عليه ووجّه إلى إشبيلية فوصلهم كتاب
ولايته، فهم بالمشي إلى إشبيلية ليعتني فمنعوا وافقو على المشي معه
في طلحه، وذكر لصاحب إشبيلية أنه ضيف الحلال فرّب له مربّي يأخذه من
المخزن مشاهرة فاشترى منه عبّاً فأعتقه كفارة ليبينه وقال في ذلك:
كنتُ مُذْ كنتُ كارهاً
أن ألي خطّة القضاء
لَمْ أردها وإنّما
ساقها نحوي القضاء

(16) الألبن المطرب: 188 ط. دار المنصور – الرباط.
(17) المطرب: 97.
وقال حين زال عن القضاء:

\[ \text{حَمَّلَهُ عَلَى القَضَاءِ فَلَمْ يُرْدِهُ} \]

وكان بالله أنقل من تيبر

\[ \text{فَلَمَّا أَنْ عُرِّنَت جَعَلَت أَشَدُّ} \]

لقد أنقذت من شرٍّ كُبْرٍ (18)

ويشير ابن عبد الملك إلى سيرته خلال الفترة التي تقلّد فيها القضاء

فيقول: «وكان من أفزاع قضايته زمنه صدعاً للحق في قضائه، وقياماً بالعدل في أحكامه، لا تأخذته في الله لومة لائم» (19). ويقول ابن دهية: «ولي القضاء به ( يعني بلده) فحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، وصارت في العدل أخباره» (20).

ولما تخلّى عن القضاء تفرغ لما كان يؤثره من الإقراء والتدريس، وقد

وصف ابن عبد الملك حاله في تعليمه ومعيشته فقال: «وكان محرضاً على طلبه،

برًا بطلبه، معظماً لشأنه وأهله، لين الجانب لهم ناصحاً في تعليمه،

متواضعاً في أحواله، متبدلًا في لبسته، أكثر لباسه بجبة صوف لا شعار لها،

يتولى خدمته لنفسه، وشراء ما يحتاج إليه، وحمل خيذه إلى الفرن وسوقه

منه تخلانياً وفقره نفس» (21).

أما تلاميذه فمعظمهم من أبناء بلده شريش ومن أنجحهم أحمد بن

عبد المؤمن الفقيه الشريش شارح المقدمات المشهورة (22)، وكان شيخه

ابن لبلا يثبت نسبه في بني أمية، وفي هذا ما يدل على اعتزاز الشيخ

---

(18) صلة الصلاة: 109.
(19) الذيل والتكملة 5: 170.
(20) العطر: 97.
(21) الذيل والتكملة 5: 170.
(22) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 1: 268.
بتلمسه، وقد تابع هذا التلميذ شيخه في شرح المقامات، وضمن هذا الشرح جملة من أشعار شيخه، ومن أنجبهم أيضاً الأديب الشاعر أبو عمر محمد ابن غياث الشريشي (23) وهو من سراة الأعلام، وخصوصاً الأيام، رق نسيم نسيبه، وراقت ما اخترع من عجيب النظم وغريبه (24) وأبو بكر محمد ابن الغزال الشريشي (25) وأبو الحسن علي ابن الفخار الشريشي (26)، وأخذ عنه من غير أهل شريش النحوي المشهور أبو علي الشلويش الإшибلي (27) وأخرون.

يُعتَبّ ابن لبال بالقاضي الزاهد، هكذا وصفه الرعيني أكثر من مرة (28)، وقال ابن الزبير: "وكان... زاهداً ورعاً فاضلاً من أفضل أهل زمانه وأورعهم". ثم قال: "وأخرجته في ورعه كثيره " (29). وظّل على حاله هذه إلى أن توفي سنة 582 هـ. وهو ابن أربع وسبعين سنة. قال ابن عبد الملك: "وكان الحفل في جنازته عظيماً ولئنه عليه جميلاً، ولم يزل قبره مزوراً مرجاً البركة رضي الله عنه " (30).

أما آثاره الأدبية فهي:

1- شرح مفيد على مقامات الحريسي. ويبدو أنه مفقود، ولعلّ شرح تلميذه أحمد بن عبد المؤمن الشريشي غطّى عليه فكتبه له الشهرة والبقاء وأحسب أنه استعان به، ولكنه لم يذكره من جملة شروح المقامات في

(23) ترجمته ومصادرها في الليل والتكملة 6: 295.
(24) المغرب 1: 305.
(25) ترجمته في الليل والتكملة 6: 499.
(26) ترجمته في الليل والتكملة 5: 185.
(27) ترجمته ومصادرها في الليل والتكملة 5: 460.
(28) برنامج الرعيني: 90، 122.
(30) الليل والتكملة 5: 1717; هذا وحين السببه إلى أن ترجمة أبي الحسن ابن لبال كما وردت في نفح الطبيل 4: 231 نقلًا عن المعطوم لا علاقة لها بصاحبنا.
مقدمة شرحه ولم يصرح بالنقل عنه إلا مرة واحدة في آخر المقامة الكرجية عند شرح بني بن سكره في كافات الشناء فقد أورد ثلاثة أيات للشاعر الأندلسي ابن مسعود زاد فيها كافاً ثامنة وقال: "نقلت إيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن لبائل، قال (أي ابن لبائل): ولما جمعنا في أيام الشناء ما جمعنا من الكافات قلت في ضمها الحربيتين جمعت فيها من الرايات ثمانية وهي:

![عندى فذينك رايات ثمانية
ألقى بها الحر وفاف وإن بددا
رق وروح وريحان وريش رشا
ورفر ورياض ناعم ورداء](31)

ويستفاد من هذا النص أن شرح ابن لبائل على المقامات حافل بالمختارات الأدبية ولا سيما الأندلسية، وأنه يشمل على نماذج من شعر مؤلفه، كما ندلنا نقول منه وردت في كتاب الدوة المشتكي الرطبول على أنه عامر بالفوارق الفقهية والتاريخية، وأخيراً فإن قيام ابن لبائل بوضع شرح للمقامات ينهض دليلاً على ثقافته الأدبية واللغوية الواسعة.

2- مقدمة في العروض. وفق عليها ابن عبد الملك فيما يظهر.

ووصفها بأنها نافعة.(32)

3- رواية الأدب، في التفضيل بين المتنبي وحبيب. وقد انفرد ابن عبد الملك بذكراه في المقدمة المذكورة قبلها، وهذه الرواية التي قدم لها بهذه المقدمة، وهي عبارة عن مقالة وصفها ابن عبد الملك بأنها "مقالة نبيلة" وسنعرض لوصفها وذكر محارها وقيمتها فيما بعد.

4- شعره ونثره: قال ابن عبد الملك: "وكان يفرض مقطوعات من

(31) شرح الشريشي على المقامات 3: 42.
(32) الدليل والتكمية 5: 170.
الشعر يجيد فيها، وبينه وبين جماعةً من أدباء عصره مخاطبات أدبية نظماً وثراً دُلَّ على متانة أدبهٍ.

أما مخاطباته الأدبية ورسائله الإخوائية فلم يصل إلا شيئاً منهما فيما وقفتنا عليه، وأما شعره فقد بقيت منه بعض القصائد والمقطعات في أغماء متنوعة.

إن هذا الشاعر الحسيب والفقه الورع الزاهد الذي أصبح قبره في شرير مزاراً يتركُه (34) كانت تهذيه أريجية الأدب فيتقاذ لدواعي القول البريء وينظم في أغراس الكلام المباح فله غزيات حلوة وخمرات حذرة، وعلّمه قالها من باب الأريجية أو على سبيل الرياضة كما يعبر المعري، وله شعر في وصف الطبيعة، ومتنزهات بلده شريش، كوصف التلززى في النهر البازوارق، ووصف متنزه الالجاتة ووصف زمن العصر، وله مقطعات في الألغاز، ووصف الأدوات الحضارية كالدودة والمقص وغير ذلك.

أما شعره في الحين إلى الديار المقدسة والشوق إلى زيارة قبر المصطفي فهو ينسجم مع تذيلته وورعه وزده.

ولعل من المفيد أن تثبت ما وقفتنا عليه من شعره ونسوبيه مرتباً على الحروف:

حرف النداء:
قال يصف التين القوطي:
كأن جنبي القوطي في رؤن ني الضحى
وقذ حملته راحة الوراقات

المصدر نفسه.
المصدر نفسه.
نهودٌ عذارى زُرُحَتْ عن مَقْرَها
فقمَت على الأطراف والحلَماتٍ

حرف الحاء

وقال معارضي البحري:

يا بِابي ظبي إذا مارِنا
أَمْخن فُلُبٍ وفُؤادي جَراح
يفتَر عن طلع وعن جوهر
وَفَضْة أو حِبْبٍ أو أَفْحَأٌ

حرف الدال

وقال في راءات الصيف:

عَندي فَديتك راءات ثمانية
ألقى بها الحَر إن واقى وإن بردا
رق ورَُوح ورَيحان وريق رشا
ورَفْر ورِياض نَاعم وِردا

وقال يتشوق إلى الروضة المقدسة الظاهرة، وسَلَم على محمد سيد

ولد آدم في الدنيا وسَيد الناس في الآخرة:

سلام وَلا أَقرَّا سلاماً على هِنَد
صرفت إذا مَرَىٰ عن مَسْلِك الرُشدِ

(35) شرح مفاتيح الحريري للكشي: 3 نشر خفاجي. والتين القوطي من أنواع التين
بالأندلس. انظر النفح 1: 200.
(36) المصدر نفسه 1: وهو يعارض قول البحري.
(37) المصدر نفسه 3: 42.
على قَمَّرٍ لو أطلعتهُ يَدُ الْنَّرِيَّا
لاقَصَّرَ عَنَّهَا قَمَّرُ الصَّعِيدٍ
وأَرَّبَّى عَلَى نُورِ الغَزَالَةِ نُورُهُّ
كَمَا يَفْضِلُ الْحُرُمُ الكَرِيمُ عَلَى العَبِيدَ
فَطَابَ بِهِ تَزْبُّ الْمَرْجِحِ بِطَيِّبِهِ
فِيِبِّ عَنْ مِسْكِٖ نَدْيِٖ وَعَنْ نَدُّ
وِيَضْحُكُ عَنْ رَوْضٍ تُدَانِي يَدُ الصَّبا
بِهِ صَفَحَةِ السَّوْسَانٍ مِن صَفَحَةِ الْوَرَى
فَطُواَيِ لِمَنْ أَضْحَى يَمَرْعُ لَوْعَةً
بِتَرْبَةِ ذَلِكَ الْقُبْرَ خَدًا إِلَى خَدٍّ
نَبِي عَلِيهِ مَنْ تَلَآَلَّ نُورُهُ
تَلَآَلَّ بَرَقٍ أَسْرَجْتُهُ يَدُ الرَّغْمِ
نَمَا مِنْ قَرْيَةٍ فِي ذِوَابَةِ هَاشِمٍ
فَمَا شَنَطَ مِنْ فَضْلٍ عِمَّمِ وَمِنْ مَجْدٍ
سَلَامٌ عَلِيهِ مَا تَغْنِي حَمَامَةٌ
وَفَاحَ ذِكْرِي المَسْكٍ مِن جَنّةِ الخَلْدِ
وَمَا أَنْشِدَ الْمُشْتَقٌ إِنْ هَيَبَتَ الصَّباً
(۳۸) أَلَا يَا صَبا نَجِيَّ مِتَى هَيَجَّتِ مِن نِجِيدٍ
وَقَالَ يَسَفِ الْبَهَارِ وَهُوَ الَّذِي يَسْمَيْهُ أَهْلُ الْمَشرقِ نَجِضاً
وِبِهَارٍ يَحْكِي كَؤْوسٌ لْجِيِّنٍ
حَمْلُهَا أَنَامَّلٌ مِن زِبْرَجَحٍ

المطرف: ۹٧
سامرتها الكواكب الزهراء حتى

حرف الراء

وقال يصف حاله في الكبر:
قَوْسُ ظُهْرِي المشيب والكِبَر
والدَّهْرُ يا غمروُ كَلْهَا عَبْرُ
كَأَنْيِي وَالعَصا نَبِي مِعْي
قَوْسُ أَلْهَا وَهَيْي فِي يَدِي وَتَرُ (40)

وقال يصف نار الكانون:
فَحَمْ ذَكْتُ فِي حِشَاء نَارٍ
فَقْلَتْ مِسْكٌ وَجُلْنَارُ
أُوْ خَذْ مَنْ قَدْ هَوَيْتَ لَمَّا
أَطْلَ فَمِنْ فَوْقُهُ الْجَدارَ (41)

وقال في وصف نََغْر وَخْيَر:
جَلْوَيْنَا شَيْئاً مِنْ الدَّر عَاطِلًا
بَعْيْشِكِ لِمْ جْبِيْهِ الجَبِيدَ وَالْنَّحْرَا
فَقَالَتْ وَلَمْ تَكِلْبَ خَشْبَت سَقُوْطَهُ
واَوَمَتِ إِلَيْهَا فَنُظِّمْهُ نََغْرَا

(39) شرح المقامات للشريطي 1: 54.
(40) المصدر نفسه 1: 96.
(41) المصدر نفسه 4: 155.
كذلك إن غض السوار بعصف وسي
وحاول أن يدميه حملته الخصر(42).

وقال يصف الهلال وآخذه من ابن المعتز:

انظر إلى الهلال إذ
لاخ يهي المنظر
كزوري من فضية
وسط لجين أحمر(43).

وقال يصف متنزها بشريش يسمى إبانه:

أيا حيدا إبانة كيفما اغتست
زمان ربع أو زمان عصير
مذابب ماء كلالجيين على حصير
كدر بلا نقب أغفر نشمر.
ورمل إذا ما ابل بالماء عطفه
غنينا بيه عن عنبر ودروير
وتيين كما قامت على حملتها
نهود عذاري الزنج فوق صدور
كأوان قبائل ألحز فيها عرائس
على سرير مفروشة بحمر(44).

وقال من قصيدة حجازية:

(42) المصدر نفسه 195.
(43) المصدر نفسه 94.
(44) المصدر نفسه 65 وانظر ما قبل في الإجابة: المغرب لابن سعيد (شروش).
متي أقول وقد كلت ركابنا
من السرى وارتكاب البيد في البكر
يا نائمين على الأكوار وبيحكم
شذوا العطي بذكر الله في السحر
أما سمعتم بحادينا وقد سجعت
ورق الحمام فوقع الأيك والسمر
هذي البشارة يا حجاج قد وجبت
عدا تحطون بين الركن والعجر
(45)

وقال يصف حاله في الكب:
لم توقد مني الجسم عن كبير
وابيض ما كان مسوذ من الشعر
جعلت أمامي كأنى نصف دائرة
تمشي على الأرض أوقوس بلا وتر
(46)

حرف الزياء
وقال مل ذا:
معانقة العجوز أسند عندي
وأتقل من معانقة العجوز
وما ريق العجوز أمر عندي
ولا باللذ من بؤل العجوز
(47)

(45) المطبخ: 99
(46) تحقīة الفرما.
(47) المطبخ: 99.
العجوز الأولى: المرأة المسنة، والثانية السيف، والثالثة الخمر
والرابعة البقرة، وبولاها: لنها.
حرف السين

وقال في وصف الخمر:

ومدامةٍ ليست غلالة نرجس
وتنفس في الكأس أي تنفس
باكرتها والوردة بوقفة اللد
وتبُّ خذّيه عيون النرجس
والشمسم تنظر من وراء غمامه
ليست من الكافور أحسن ملبس
نحتها بيد المزاج فاصبحت
ترنو إلي بأعين لم تنعس
وتورّدت حتى توقّذ كأسها
فحسبتُها في الكف جذوة مقبس (48)
حرف الطاء

نُسب إليه في المنتفق المقصور هذان البيان:
تكاملت فيها أوصاف خصصت بها
فكلنا بك مسرور ومغطت
فالسّ ضاحكة والكفّ منيعة
الصدرٌ متسع والوجه منبسط (49)

(48) الشريحي 2: 95
(49) نسبهما له ابن القاضي في المنتفق المقصور وذكر ابن خلكان أنه وجدهما مسويين إلى أبي الشيش وكان ابن تومرت ينشدهما إذا أبصر عند المون، و فيات 3: 238

186
حرف القاف

وقال في محجرة عنائب محلاة بالفضة:
منعلة بالهلال مُلمَّعة
مجدولة من الشفقي
كأنما حبرها تمّنع في
فرضيّها سائل من الغصق
فقدت مهما ترّدا شبهها
في كل حال فانظر إلى الآثى.

وقال في الجملين:
ومعنى ما أنهما بُشَق
 وإن وصافا بَضَم واعيْنائِ
لأَمر أبيك ما اجتمعا لممعي
سيوى معنى القطيعية والفراق.

وقال معارضا أبّات الحريبي في المقاما الثانية:
ودعتها ومدمعي
تنهل بالدموع الطليم
فبكت فاذرت أدممعا
في صفحة الخد الأدنى
ومضت تغущ بانتها
بين التلهف والشهيق.

(50) المطرّب: 98 ونفح الطيب.
(51) المطرّب: 98.
قرأت دَرَّاً ساقطاً
من نَجْسَيْن على شَقٍّ
وَصَلِّت مَبيض اللَّطِيج:
نَبَعٌ محمَّد العقِقِ (52)

حرف اللام

وقال في محبة ابنوس:

وخَدِيمٌ للعلم في أحسائها
كلفَ بجميع حرامية وخلالهِ
لست رداء الليل فَم تَمَّ توشحَتْ
بنجومه وتوجت بهلالهِ (53)

حرف اليم

قال ملغزاً:

سبيعتان أنتان هذى
حلٌ مباح وذي حرامٌ
قل لذوي العلم خبيروني
ما الحل بِنها وما الحرام (54)

وقال في الغزل:

(52) الشريشة: 61.
(53) المطرش: 98.
(54) المصدر نفسه.
ما كنت أحبب قبل رؤيتي
أن القدر تدور في الأعصاب
غازلتِه حتي بما لي ثغره
فحيثُهُ دَرَاً عَلَى مَرْجَانٍ
كم ليلةَ عانقتُه فكانَ ما
عانت من عطفِك غُصُنَ البان
يُطغي ويلعب عند عقد سوادي
كالمُهر يلعب عند ذي عَنان

حرف الیاء

وقال:
بَنْفِسي هاتيك الزوارق أَجْرِيْت
كحلبة خيل أولا ثم ثانيا
وقد كان جيد النهر من قبل عابللا
فأمسى بها في ظلمة الليل حاليا
عليها لزهر الشمع زهر كواكب
تخال بها ضمن الغدير عوايلا
وُرّب مثار بالجناح وآخر
برجل يحاكي أربا خاف بازيا

5 - روضة الأدب، في التفضيل بين المتني وحبب: من حسن

(55) الشريشة 3: 137.
(56) روايات المبرزين: 53 تحقيق د. النعمان عبد المطلب الفاضي.
الحظ وعجيب الصدفة أن تصلنا هذه الرسالة التي لو لم يسمها ابن عبد الملك لما عرفناها ولا اهتمينا إليها. وقد وجدناها ضمن مجموع مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم المجموع 3172 ك، وهو يشمل على أوراق من الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراشي العددي وورقات من رائق التحليل وفائقة التورية، وورقات في شروط الباحثي من أبي تمام مقتبسة من الموازنة للامادي، وورقات من قضاية الذهب لابن رشيق، ورسالة ابن لباد لنقصها الرقة الأولى المشيئة على جزء من الدبيجة كما تنقصها ورقة أخرى من صلتها وقد احذلت أوراقها وتدخلت مع أوراق الروض المريع ورقابة الذهب ورائق التحليل، وهذا يبدو من أرقام الصفحات التي اشتمالها كما هي الآن في المجموع المذكور. وتوريد النسخ في هذا المجموع تعود إلى سنة ثلاث بعد الألف الهجري وقد كتب بالحروف تارة والأرقام تارة أخرى، ولا ذكر لاسم الناشر، ويبدو من أخطاء النسخ المتدفة أنه ليس من أهل العلم والضبط، وقد جاء في آخر الرسالة ما يلي:

تم التأليف والحمد لله رب العالمين وصلاة على محمد وآله
أجمعين، ضحية يوم الأربعاء غرة ربيع الثاني سنة 1003.

نخرج من قراءتنا للرسالة بالملحوظات الآتية:

أ - أنها في الأصل إملاء من ابن لباد على أحد تلاميذه، وهذا نجد اسمه يذكر دائماً مصوحاً بتحليته والدعاء له كهذه العبارة: "قال الفقيه المختار ابا الحسن ابن لباد أدام الله رفعته" وقد تكرر مثل هذا في أول كل فصل من فصول الرسالة.

ب - يميز أسلوب الرسالة بالالتزام السبع وتقليد به من أول الرسالة إلى آخرها، ومن شأن هذا الأسلوب المسجوع أن ينحد من امتداد النفس، وينير على استرشار القول، ويخرج بالنقد من مجال التفصيل والتحليل إلى
المجال الإجمال والتعميم، وهذا هو الأسلوب الغالب في الرسائل والمقدمات النقدية الأندلسية والمغربية كرسائل الانتقاد لابن شرف ومقامات السرقيطي وغيرها.

ج - جعل هذه الرسالة آراء وأقوال لشيوخ ابن لبّال وشيوخ شيخه أو نقول من بعض كتب النقد وأماليه الأدب، فأما الشيوخ فهم على بن مسلم الإشبيلي وأبو بكر بن فندة والأعلم الشنوري وأبو الفضل ابن الأعلم وأبو مروان ابن سراج.

وأما كتب الأدب والنقد التي نقل منها فهي العمدة لابن رشيق والأمالي لأبي علي القالي والمختارة لابن سهان ومقامات السرقيطي والموضحة للحاتمي والكامل للمرد وغيرها.

وهل تقبيطات على هذه الأقوال والنقول تفتح دائماً مثلاً هذه العبارة: "قال الفقه الأستاذ المشاور أبو الحسن ابن لبّال أدم الله عزه"، وهي تقبيطات يؤيد بها مذهب في المفاضلة بين الشاعرين.

د - الرسالة ليست موازنة منصفة بين أبي تمام والمتني أو مفاضلة عامة بينهما، وإنما هي من أولها إلى آخرها تفضيل صريح للمتني على الطائي، ولذلك اقتصر ابن لبّال على الأراء والأقوال التي تشهد لكلامه وتخدم وجه نظره، ويبدو أن لرسالة ابن لبّال علاقة ما يرسالة عنوانها: "نزهة الأدب، في سرقات المتني من حبيب" وقد ذكرها البديع في الصحيح المتني، ونسبها إلى من سماه ابن حسن المصري (57)، ويفترض بلاشье أنه من أهل القرن الخامس (58) وظن د. عبد الله الجبوري أنه هو عبدالله بن الحسين بن حسنون البغدادي نزييل مصر (59)، ولم يتبن إلى أن هذا توفي

(57) الصحيح المتني: 426 (يهامش شرح المكيبي).
(58) انظر: ديوان المتني في العالم العربي وعبد المستشرقين. ترجمة أحمد بديوي ص 32.
(59) له ترجمة في تاريخ بغداد 9:443 - 444 وغاية النهاية 1:415. وانظر كتاب المتني في آثار الدارسين.
سنة ست أو سبع وثلاثونية أي قبل أن يظهر المتنبي، ويدعو لي أن في
الاسم تحريفًا وأن كلمة المصري محظرة عن الحميري وأن الأمر ربما يتعلق
بأبي حسنون الحميري(60) معاصر ابن لبال، ولكن هذا مجرد افتراض لأن
التالي المذكور وهو مفقود لم يشر إليه في مكان آخر.

ومهما يكن الأمر فإن ابن لبال في تفضيله أبا الطيب على أبي تمام
مسبوق في الأندلس بأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي مؤلف
كتاب «الانتصار لأبي الطيب» وهو كتاب ضائع يدل اسمه والنقول القليلة
على إعجاب صاحبه بالمتنبي وعرضه لبعض معايب أبي تمام(61)، ويبدو
من رسالة ابن لبال أنه لم يقف على هذا الكتاب فلو اطلع عليه لاحتج
بكلمه أو أشار إليه، والظاهر من رسالة ابن لبال وغيرها أن تفضيل المتنبي
على أبي تمام هو الاتجاه الغالب عند الأندلسيين.

هـ- وهو يفضل المتنبي على أبي تمام بما يلي:

- أنه أطلع من أبي تمام في رأي النقـاد وهو بذلك أشعر «إن ما كان
من الشعر طبعًا لا تكـلفا جاء أحسن وما كان منه تكـلما جاء أصعب
وأخسن»(62). وألفاظ هذا الكلام تشي بوقوف ابن لبال على ما ذكره
الجرجاني في موضوع المطبوع والمصنوع أو المتكـلف من الشعر والتكرـف
الذي يعبـب به شعر أبي تمام وإن لم يشر إلى ذلك.

- لما في شعره من «الغزل المطرٍ، والتشيـب الموقت المعجب،
حتى ليلذهب بالورع، وربما موقع من ليست له حصانة فيما يعلق به من

(60) ترجمة أبي بكر ابن حسنون الحميري في الذيل والتكمية 543، والتكمية: 574، وتكرـم.
(61) النهاية 2: 421. وهي ترجمته أنه لازم ابن القفال في العربي والأدب ولكن لم يذكر له فيها
تأليف، ويستفاد من ترجمته أنه اشترك مع ابن لبال في بعض شيوخه.
(62) أنظر أحكام صناعة الكلام.

(63) أنظر النص.
الدبّن والضّنع"(63) ولذا كان الأعلم الشتّمري ينهى طلبه عن قراءة شعر أبي الطيب في شهر رمضان.

- ولهذا فإنه من الاستغراق في المدح والمبالغة والغوص على المعاني الرائعة والأغراض البديعة الفائقة(64) ويسبط ما ذكره فيقول: "ولكنما جاوز الشاعر في المدح وغلا، وترفع منصة المبالغة وعلا، وآرَقّ الغزل، وأضاع نفسه بين العذر والعذل، وتجاوز الصدق إلى الكذب، والجذ إلى اللب، كان أشعر، وأسمع بذواعي ما يتحله وأبصر؛ إلا ترى أن الشعر لو كان كله صدقًا وباطلًا حقًا، وكان الوصف فيه على الظاهر لا على التأويل لسخف"(65). وواضح أن ابن لبال يؤيد هنا أصحاب الرأي القائل: "أغذب الشعر أذكه". ويذهب مع المعجبين بالمبالغة والغلو، ومن المعروف لأن أبي الطيب هو "أكثر الناس غلوًا، وأبعدهم فيه همّة، حتى لو قدر ما أخيل منه بيتا واحدا حتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غني وله في غيره مندوحة"(66).

- أن الشعراء يفضّلون أبي الطيب على أبي تمّام وهم أعرف بصناعتهم، وفَّر أعلم الناس بالشعر الشعراء لأنه من صناعتهم، إلا ترى أن من عامل خيالًا فأفسد عليه ثوبه أو أبي هو من إنصافه إن كان لم يساومه فاختفتا في ذلك أو تشاجرا وارت伝え إلى حاكم من الحكم إنما يوجّه حكّهما في القيمة إلى أهل تلك الصناعة وكذلك العطار والتجار والخراز وغير ذلك(67).

وينلم في هذا الكلام مسحة الفقه الأندلسي الفاضل ابن لبال، وقد

(63) انظر النص.
(64) انظر النص.
(65) انظر النص.
(66) العمدة 2: 63.
(67) انظر النص.
جلب في هذا الموضوع أحكام بعض الشعراء وأقوالهم في غيرهم وترتق إلى اللفظ والمعنى والطبع والصعبة بين أبي تمام والمتونبي ورد على الحاتمي في تحامله على أبي الطيب.

- شعر المتونبي أقرب إلى الوضوح في معناه والسهولة في فظه من شعر أبي تمام، ولذا كان الأديب اللغوي ابن سراج القرطبي لا يقريء في المجلس الواحد من شعر أبي تمام إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرؤه من شعر المتونبي خمسة أبيات.

وإذا كان ابن لبال سار على هذا النحو في رسالته بفضيله المتونبي على أبي تمام فإنه لم ينشأ أن يختم رسالته دون أن يضع أبا تمام في المرتبة التي يبردها فقال: (ومع هذا فلا أخلي أبا تمام من فضيلة، ولا أعيده عن خصلة جميلة، بل أعتقد أنه شاعر إحسان، وفأرس هذا الشان، وهو مع أبي الطيب كفرسي رهان، في عدة أبيات، كثير من المقطعات).

وبعد فإن هذه الرسالة لا تأتي بجديد في ميدان النقد الأدبي، وهي ترجع في معظمه إلى التراث النقدي الذي كان متداولًا في القرن السادس الهجري بالأندلس، وتكمين قيمتها عندنا في كونها تمثل حلقة من حلقات الصراع النقدي حول أبي تمام والمتونبي، وقد كانت هذه القضية تشغل الخاصة والعامة في الأندلس كما يبدو من حكاية أدباء بطليوس الذين اختلفوا في الموضوع واستقر رأيهم على أن يسألوا رجلًا جاهلاً عن أي الشعراء أفضل (فأيهما أجرى الفال على لسانه، أجمعنا على إحسانه واستحسانه، فخرجوا متناحين خارج المدينة وإذا بحراث يحث...

فسألوه أي الرجلين أشعر المتونبي أم حبيب، فقال أشعرهما الذي يقول:

(68) انظر النص.
لك يا منازل في القلب منازل
أنت وهن منك أواصر

هكذا كانت هذه القضية الأدبية تشغل الناس يوميًا على نحو ما يشغله البعض في زمننا بالاختلاف بين فريقين في كرة القدم!

ولهذه الرسالة قيمة أخرى تجلية في اطلاعنا على شيء من تقاليد الدرس الأدبي في الأندلس كأقواته وحدوده وما يتعلق بذلك مما سبقت الإشارة إليه.

-----------------------------
(69) انظر النص.

195
الفصل الثاني

افظة الأديب في الفضيل بين المتبني وحبه
... فصّفت في التفصيل بينهما هذا النّذر الذي رسمت فيه ما قبّلت عن شيوخ وقبلت(1)، وأثاثته من حفظي في صُحّفي وخلّدت، مع ما تكلّم فيه العلماء، وأثاثته في تواريخهم المتّاخرة والقديمة.

فأولًا ما أذكره ما قال الأسّتاذ التّحوي أبو الحسن علي بن مُسلم(2) عندما سأله قراءتنا عليه شعر حبيب أبي الطيب، فقال له: يا أستاذ، بالّذي ييقيق للعلّم ترفع شرائه، وتملك عصبه وطاعته، أيهما أطيب شعرًا، وأنفس درّا، فقال: حبيب أضن، وأبو الطيب أطّع. وهذا تعمّر فرّق بين دال على أن المُتنّقى أشعر، لأن ما كان من الشعر طباً لا تكلفما جاء أحسن، وما كان منه تكفتا جاء أصعب وأحسن، لأن غبر المطبوع إذا تكلف ضد يطبع في شيء عليه تصدّر، وأبي وتنكر، [فاضطر] إلى التصّنع، ونفر عن الطّبع إلى الطّبع، وأي دّر أي الطيب حيث يقول:

وأسرع مفعول فعّلت تغيّرا
تكفّف شيء في طبعك ضده(3)

---

(1) وقبلت: جمعت، وقال: قلّت لقليلاً قليلاً أي جمعت ماء إلى ماء.
(2) هو أبو الحسن علي بن محمد بن مسلم وال.transforms بن عباد، كان من جهة التحويين، وله بجهة النهادر والدّينج التلاميذ، وكان حيًا سنة 539 هـ لترجمة في التكلمة رقم 1848 والذيل والتكمّل 492 (وص 180) ويبقى أن تكون قراءة ابن بَلال على هذا الشيخ في إشبيلية خلال العقد الرابع من القرن السادس.
(3) الديوان 2: 142 وضع البرقوق.
وكذلك قوله:

لأن جلَّمك شيء لا تكلفة
ليس التخلُّق في العينين كالخُلق

(4)

وما حسن قول سالم بن وابصة: (11).

يا أيها المُتحلِّي غيَّر شيميه
إن التخلُّق يأتي دونه الخُلق

(5)

وأنشدوا لأم الهيثم:

ومن يتخذه خيماً سوي خيم نفسه
يدعو ويغليه على النفس خيمه

(6)

وقال ذو الإصبع:

(4) المصدر نفسه.

(5) نسبه أبو تمام في الحمامة لسالم بن وابصة الأصدي ولكن صدر البيت في الحمامة كما بلي:

(6) في سواد العرب: أبو عبد الحليم: الشيمة والطبيعة والخلق والسمجة وأنشد:

ومن يشتد ما ليس بها خيم تغليه يدعه ويغليه على النفس خيمه

ورود البيت غير مسوب أيضاً في عيون الأخبار 3: 5 والعقد 3: 8 وسمع المرداب من أم الهيثم الكلاية، وعن الكامل ينقل المؤلف وقال المرصفي في رده الآمل 3: 90: نسبه بعض الناس لسليمان بن الداهر.
كل أمرٍ راجع يوماً لشيمته
وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين

وقال قُدامة:

رأس الخطابة الطلب، وعمودها الذرية، ونحاسها اللطف. وروئاه الأشياء عفصةً وأعلاها، وأحقها بالفضل وأولاها. وقال ابن رشيق في كتاب العمدة:

ومن الشعر متّبوع ومَضْنوع، فالمتّبوع الذي وضع أولاً وعليه المدار، والمرّب لا تنظر في أعطاف شيرها فأن تجنّ من تطابق أو تماثل بل تنظر في فصاحة الكلام وجزائه غير بسط المعنى وإبرازه. وإنما استطروا ما جاء من الصنعة في البيت والبيتين في القصيد النادر بين الفصائد، وأما إذا كثر فهو يعيب ببغض بخلاف الطبل ويثبت اللغة.

قال الغفائي المشاوار الأسماك أبو الحسن بن أبي الأسد، إمام الله رفعته: وسألنا الوزير أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن فندة، كاتب الرشيد، وقال قراءتنا عليه عامٌّ اثنين وثلاثين، وخمسة، فقال وكان شيخاً كبيراً كتب للرشيد، وروقت مع أغاني الكتاب في ساحة القصر العشيق: يا بني، من...

(7) ذو الأصبغ العدواني حزن بن المختصر شاعر جاهلي مشهور، والبيت من قصيدة له مشهورة بثبات فيها ابن عمه. انظر ترجمه ومصادره في الأعلام 2/184، وقد جمع شعره في ديوان نسر بالعراق.

(8) انظر النص في العادة 1: 129، تحكي محمد محي الدين عبد الحميد وقد أوردته ابن لال بنصرف واختصار، وهذا إما لأن يكون عن بعض من خصائص المدة أو لأنه يعتمد على محفوظ وذكراه وهذا ملاحظ في عدد من نقوبه.

(9) أبو بندر بن فندة هذا من بيت إشبيلي مشهور، كان من كبار أصحاب الأعلام الشتامري، وكان آنذاً لفظاً نحويًّا مختلاً شاعراً فصياً. ولد سنة 444 هـ وتوالى سنة 533 هـ. انظر ترجمته في صلة ابن دعوالي 525-553، وبيعة الدعوة رقم 271.

(10) الرشيد هو عبد الله بن محمد المعتمد، كان ولد عهد أبيه، توفي في حدود 530 هـ بقلمه مهدي بن تولا حيث كان منفياً وقد نيف على 70 سنة انظر ترجمه فيحلة السيراء 2/68-70.
الفرق بينهما أن شيخنا أبا الحجاج يوسف الأعلام الشمسي(1) كان إذا دخل شهر (12) رمضان يقرئنا شعر خبيب وينتهاه عن شعر أبي الطيب، وهذا إنفراج في تفضيل أبي الطيب على خبيب، ونهائية وبلاغ في تقديمه عليه، و[ ] منه إياهم من قراءته في رمضان لما فيه من الاستغراق في الم المالحة والمبالغة والعوسم على المعاني الرائقة والأغراض البديعة الفائقة، والغزل المطرد، التشابك الموتني المعميق، حتى ليذهب بالورع، وربما أوقع من ليس له حصناته فيما يعلق به من الأنام والطع، وكلما جاور الشعر في المذبح وعلاق، وتربيع منصه المبالغة وعلاق، وأرق الغزل، واضاع نسمته بين العذر والفضل، وتجاوز الصدق إلى الكذب، وأ ряд إلى اللب كان أشعاره، وأسماع بدواية ما يتبجي ونسور. لا أرى أن الشعر لم كان كذبنا صدقنا، وباطل حقا، وكان الوصف فيه على الظاهر لا على التأويل لسخف. كما يقول بعض الأمراء قال لشاعر أظه ابن هانيء، اصنع لي شعرنا ولا تتكتب فيه، فقال:

الليل ليهل والنهاي نهار
والجُمل بنَّزل والجمار جمأر
والذينك ديك والذجاجة مثله
وكلاهما طير له بنقار(12)

فلم بطب لم خرج عن الشعر في الأسما، ومجتهة النفوس، والطبع، فلما قال:

ألف السقم جسمه والأنيان
وبيرا الهوى فما يستبين

(1) هو شيخ الأندلس في وقته في الدراسات الأدبية والحوية واللغوية وأكثر الأندلسيين شرحاً للشاعر الجاهلي والإسلامية. انظر ترجمته وراجعها في وفيات الأعيان: 7: 81 تحقيق د. إحسان عباس.

(12) انظر على سبيل المثال في هذا: التقرب لابن حزم: 206 - 207.
لا تراهم العالمون إلا ظنوناً
فهو أخيف من أن تراهم العالمون (13)
قد سمعنا أيهما من قريب
فاطلبه الشيخ حيث كان أيه
لم يعث أنه جبلد ولكن
ذاب سقا فلم تجد المون
(13) حسن ذلك في السمع، وذبح طربه يكلل سامع.
ولما في الشعر من الكنيب لم يعط الله النبي، وحاش هب أن يكون
كذباً، هذا في أحد الأقوال، وقد قبل إنا ميعجه صلى الله عليه وسلم لأنه
لو كان شاعراً ما صدق فيما أتي به؛ ألا ترى أنه قد قال: وشاعر تنريص به
ربيع المون؟ وكان صلى الله عليه وسلم لا يعيب ورائنا ولا يعطوه من
الشعر كالهبي.
قال الفقيه الأُسْتَنْدُ المَشَارِقُ أبو الحسن علي بن أبى أدم الله عزه:
وسألت الوزير الفقيه الكاتب الفاضل أبا الفضل ابن الأعلم (14) بشيره:

(14) هو أبو الفضل جعفر بن محمد بن يوسف الشتيري، حفيد الأعلم المشهور ولد بإشبيلية
سنة 782 هـ وروى عن أبيه عن جده أبي الحجاج الأخبار جميع رواياته وتأليفه، وهو من
أعلام الدولتين المغنية والمغنية وقد ولأ القضاء بليلة وتشمرية الغرب، وبها استشهد
سنة 546 هـ أو التي بعدها، ولم يذكر المؤلف تاريخ اجتماعه في شريش وكتف
بالإشارة إلى أنه كان عند وفاته من حضره أمير المؤمنين، أما أمير المؤمنين هذا فهو عبد
الؤمن بن علي، وقد قدم عليه أبو الفضل مع وفد أهل الأندلس لمبايعته، وكان هذا الوفد
يتالف من نحو الخمسة من الحضنة والفقهاء والقضاء والقبيلة، وكان في هذا
الوفد المؤرخ ابن صالح السلاطين الذي وصف خروجه من إشبيلية في 15 ذي الحجة سنة
545 هـ وأشار إلى مرور الوفد بشريش وجزيرة طريف والقصر الكبير ثم سلا حيث
استقبلهم عبد المؤمن في راحة دار ابن عصرة في أول يوم من عام 546 هـ وحكى ابن
المجلوم أنه لقي أبا الفضل الأخبار برازخ في سنة 645 هـ. انظر هذه الوفادة في الأليس =

203
شذونة حَرَّمَهَا الله في دار الفقهاء المُشاور القاضي أبو غالب أبي عبيد في المنهاج العباسي. في عهدهما، من وبين أهل العلماء الذين كتبوا في هذه المهمة. كما أن بعض العلماء يُرون أن هذا الكتاب قد كتب للناس كله. }

والله في ظل يُروى عن طريق واحد، وذلك هو أن الصحابي نجاح بن يزيد بن الخطاب، وليست لكم في الكتاب.

== المطربة: 192 واليابان المغرب (قطعة منشورة بجامعة المعهد المصري بمدريد ج-20 ص

94) والبربر لابين خليد: 689 والاعتماد: 211.

وترجمة أبي الفضل حفيدة الأعلام في توجه النظم: 214 218 وجمع المتلاصق: 239

والطهير 4: 397 397 وشجرة الأعلى تجاه الأعلى: 373 73. تحقيق: د. إبراهيم

والطهير. 64 ورويات المزمنين: 34 والمطرب لابين دابة: 218. ومزيج المصحة (قسم

المغرب والأندلس) 4: 397 472. تحقيق: د. إحسان

عباس. أما الفقهاء المشاور القاضي أبي غالب أبي عبيد فيمن، من وزراء الدولة أبو عبد الله محمد بن أيمن وولده

أبو الخير محمد بن أيمن. انظر الدخيلة والمغرب 1: 360. (ثالثة).

(15) هكذا في الأصل، وسأطرفها فيما بعد.

(16) انظر في أنه يرجع في كل سياق إلى أهلها: الواجب: 1: 395 396.

(17) انظر المعلم والتحريج في كتاب الأمثال للإب عبيد: 220 تحقيق د. عبد المجيد قطاش.
من الحكَّام إنما يوجَّه حُكُمهم في القَيمة إلى أجل تلك الصَّنعة وكذلك المُطْفَار والثَّجَار والخَرْاز وغير ذلك، وروى أبو علي البِنَّادِي(18) أن بِعضًا خُلفاء بني أمية قال لجُرَير لَمَّا كان شاهراً: أَخِيرُي من شَعر النَّاس فقال:

قال الفَقيهُ المَشاَر الأَستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن لبَّال أَدام الله عَزَّو وَجَلَّ: وَحَدِثني عُبَرُوا وَجَدَنَّ أن فَوْما أدبَأ خُرُوجاً من مجلسَ المَشْرُوقِين الْبَطَنِيَّين وَقَد أَحْرَوَ ذَكَرٌ حَبْيبٌ والمَشْرُوقُ حتى كُثر في التفَصِيل بِهم الصَّحَب. وَمَا يَهِم حُب التفَصِيل عن الطَّرَب فقال بعضهم: مَدَلُوا بنا إلى رَجُلٍ جاَهِل نَجَعُ كَلَامَهُ في ذلك فَلا أَفْحَى أَجْرَى القَال عَلَى لسَائِه، أَجْمَعُنا عَلَى إِنسِاجِه وَالسَّحَاب يَفْخَرُوا مِن مِّنَاءٍ خَارِجِ الْمُدِينَة وإذا بحَرَاث يَحْرُثُ وكان ذلك أول الزَّرع، والآِرَض تَرْفُلٌ بِن الْزَّهر فِي بَيْلِ الْوَهْي الصَّنِيع فقالوا له وهم يَطْبُونَهُ جَاهِلًا، وَعَمْهَا اطْبُحُوا لهُ نَابِأَهَا غَافِلَاً، أيها الَّذِين: أيَّ الْجَلِّيَّين أَشْعَرُ، المَشْرُوقُ أم حَبْيب؟ فَتَوَكَّل عَصُوها وقال: أَسْمَعُونِي وَقَدُوا عَلَى عرَبٍ، أَشْعَرُوهُمَا الَّذِي يَقُول: ...

(18) انظر النص في الأمالي: 2: 79. 180.
لك يا منازل في القلوب منازل
اقترحي أن توهين منك وأهل
فاستنبثا منها ما استجهلاها ووقعوا بهما ووضعا وفخروا عندما
انقلوا عنه ورجعوها وقالوا: والله ما بدأ بهذا القصيدة إلا أن منفية
وما رمي عن قوبيه إلا بالعهم السديد فكذب لهم الفكر وانبأد لدى لهم
الذكر، أنه أراد قول أبي الطيب في آثاء القصيدة (16):
وإذا أتنك مذموم من ناصر
فهي الشهادة لي باني كامل
(19)
فوقعوا للمتتوقل(20) قصته ووصفوا له صحته، فقال: أه هو
ابن [مقطان](21) أغفلناه والله وأضبعه فأمر الناس أن يجيبوا إليه،
وقيرونا عليه، وأثبتوا في دواه، وألحقوا بإخوانه.

(19) لم آقف على هذه الحكايه في مكان آخر، ولم يشر المؤلف إلى حكاية مماثلة تحكي عن
المعري وهي أن الشريف المرتضي كان يغضب المتتني ويتعصب عليه، فجرى يوما
بحضرته ذكر المتتني فتنقصه المرتضي ويجعل يتبع عليه، فقال المعري: لو لم يكن
للمتتني من الشعر إلا قوله: لك يا منازل في القلوب منازل. لتهوا في فضله، فغضب
المرتضي وأمر فحسب برجه وخرج من مجلسه وقال لمن بحضرته: أندرون أي شيء
أراد الأعمى يذكر هذه القصيدة، فإن للمتتني ما هو أوجد منته لم يذكرها، فقيل:
السيد أعرف، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:
وإذا أتنك مذموم من ناصر فهي الشهادة لي باني كامل

(20) هو عمرو ولد المطرّ وهو أحد ملوك بنى الأقطان، انظر تجربته وأخباره في المعطر 21 - 33
والبيان الغريب والذخيرة وفتح الطب والحلة السيرة 1: 96 - 107.
(21) في الأصل: مقطد أو مسجد، دون نطق، وأغلب الظن أنه الشاعر ابن مقطان كما أثبت، فهو
الذي اشتق بالحروف والتقدير بلده القديم بعد أن أمع النجاة في أقطار الأندلس،
وفي ذلك يقول من قصيدة يصف فيها حالة:
ضرعت الملوك الخالعين بوبردتهم على وسَّرَي في المواكب والتقعر
وأصبحت في فناء أحدهم مُغَيْكِهَا بمَرْعَة رُمِيْهَا نابية القطرة
انظر ترجمة ابن مقطان ومصادرهما في الذكرية ق 2: 786 - 790. تحقيق د. إحسان عباس.

206
قال الفقيه المُشارِر الأَسْتاذ أبو الحسن علي بن كلال: وَعَلَى ذَكَرِ هَذَا
ما ذَكَر ابن يِسَام في كتاب الذِهَّرَة في أَخَاب الآْهَ أَهل الجَزِيرَة، قال في فصل من كتابه: إنَّا نَعِيد الله وَنَفَتْشَفِي مَا يَلْبِسُ مَن ذَي النَّوْن
أيامَ خَذَيْتُه إَيَّاه، وَأَنَا عَن دَكَنِهَ في ذَرَاه، وَقَد أَجْرَوْنَا ذَكَر أَبي الطيب، فَدُفِّنَ في تَأْحِبَه كَل مَدْهَب، وقال: إنَّ رَأَي أمير المؤمنين لَفَارَق
الجَزِيرَة وَلَفِلْلَا أَن يَشِيْر مِن شَغُر أَبي الطيب إِلَى أيُّ فَضْيَة شَاء أُمِيرُهُ بِفَضْيَة
بِفَضْيَةٍ تَتَنَسَّمَهُ، وَتَعَفَّ يَرُوْمُهُ، فَتَعَافَلَ عَن دَي ذَي النَّوْن عَلَمًا بِضِيَق
جَنَّاب، وَإِسْقَافًا مِن فَضْيَهُ وَأَنَبْشَاهِه فَالْتَحُّش عَلَى أَبي ذَي النَّوْن حَتَّى
أَحَرُّجَهُ وأَغْلَبَهُ فَقَالَ حَي، دَوِنَكْ قَوْلُهُ:

إِنَّكَ مَا يَلُقى الْفَأْوِ لَمْ أَلْقِي
فَحَلَّ بِهَا أَبِي شَرْف يُوْمَا فَوْجَد مَرْكَبَهُ وَعَرَا، وَتَرْبَزْهَا شُرَرَا وَلَكِنَّ
أَبِي عَدَّة أَوْرَهَق نَفْسَه مِن أَمْرِه غَسْرًا (17)، فَمَا قَام وَلا قَفَدَ، وَلَا خَلَّ وَلَا
عَقِدَ، وَسَمََّي أَبِي ذَي النَّوْن، أَيَّ شَيْء، أُقْصِدَه إِلَى هذَهَ الْفَضْيَة، فَقَالَ لَأَنَّ
أَبِي الطيب يَقُولُ فِي هَذَا:

بَلْغُتْ سِفِّي السَّلَوة الْنَّوْن رُبْثُةٌ
أَنْزِلَتْ بِهَا ما بَيْن غَرَب وَشَرْقٍ
إِذَا شَاَءَ أَن يَلْحُم بَلْحَيَة احْمِقَ
لَأَرَاه غَبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَيٌّ (22)

هُذَه غَرَبَى وَلَوْ صَدرَتُ عَن أَبِي الْعِبَاس الْحَمَامَ، فَضَلَا عَن مُتَنَزَع
فَقَبِيْن بَيْن ذَي النَّوْن.

وَقَدْ قَيِل بَدْيَ الْشَّرْفْ بَكَانَدَة وَقَبَيْن بَكَانَدَة، أَيْ بَيْدَي بَيْنَ اِلْمَرْقَى الْقَبَس

(22) انظر هذا الخير في الذِهَّرَة في 4: 23 - 24 تحقيق د. إحسان عباس وتغريحة حكاية مماثلة لهذه
تنسب الواقعة للخالديين من سيف الدولة. انظر الصبح العام

207
وَخُطِبَ بأبي الطَّيِّبِ لأنهمما كَذَّبانٌ(23). وقد ألقى النَّاسُ عَلَى تَفْضِيلٍ إِمْرِي،
الْقُسّ لِطَيِّبِهِ وسلاسة كلابه عَلَى قَدِيمِهِ، وُقِيَّتْ تَكْلِفَهُ عَلَى أَعْجَابِهِ خَلِيقِهِ.
وشَيْبهِ.

وَأَمَّا قول الصَّابِي: بَيْدَاء الْمَعْنَى بِالْكنْعَ، وَخُطِبَ بِالْبَلْكَ، يَعْني بْنِياء
بَيْنَ الْقُرْنِين، وَخُطِبَ بِأبي فِراس النُّصَادِي، فَإِنَّما قَالَ ذلِكَ لَان أُبا فِراس
كَانَ مِنّ أُرَبِّي الْدُّوَّالِ وَأُرَادَ الْتَشْعُبُ لَهُ بَذِلَكَ: وَقَدْ قَبِلَ إِنْ قَالَ أَنَّهُ هُوَ
الصَّبِيب. وقد أَنَسَى ذَكَرُهُ المَعْتَبِيِّ، ولَوْلا أَقْرَأْهُ مِن الْرَّبَّةَ مَا ذُكِرَ مَعَهُ كَمَا
قد أَنَسَى أَبِي الطَّيِّبِ ذَكَرُ الْجُهَّرِ أَرَّيْزِيِّ وَالْعَصْوَنِيِّ، وَكَانَ أَشْيَاءً مِنْهُ وَأَفْقَدَ.
هَكَذَا ذَكَرَ أَبِي رَشْقِي فِي كِتَابِ الْعَمَّةٍ(24).

وَقَالَ أَبِي الْطَّاهِر يوْفُس فِيِّبِن عَبْدِاللَّهِ الْمَعْتَبِيِّ فِي مَقَامَتِهِ فِي تَقُيَّس
الْشَّيْرَةِ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي الْخَلَّيْيِ الأَكْبَرِ، قَالَ يَوْفُس مَا صَنُّعَ يَعْبُرُ، وَبِسْ
مَا أَقْصَحَ عَن الْمَعْنَيِ وعَبْرُ، حَتَّى أَذْنَ فِي شَيْعُرِهِ وَكَيْبُ، وَمِن التَّحَسَّنِ
وَالْتَجْمِيدٍ (18) مَا يَرَى بِالْمَجْرَرَ الْمُجِيدِ، وَقَدْ أَبِي الْنَّاسِ إِلَّا تَقَدِيمُهُ، وَإِنَّ
مَرْقَوْا بِالْبَلَّامِ أَدِيمِهِ؛ قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي الطَّيِّبِ قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي الطَّيِّبِ قَالَ:
ذَوَالْكَلَامِ الطَّيِّبِ، وَالْمَعْتَبِي الْصَّبِيبِ، لَهَجْتَ بِتَأْمَالِهِ الْأَفْوَاهِ، وَغُلْدِيَتْ يَشْعُرُهُ الْأَفْوَاهُ، وَسَارَ يَشْعُرُهُ
الْرَّفَقَةَ، وَوَقَعَ عَلَى تَفْضِيلِ الإِسْفَاقِ(25).

(23) أَضْافُ الأَنْدَلُسِيُّ إِلَيْهِ كَتْبَاً ثَالِثاً فِي الرَّمَدَي، قَالَ الحَمْدِيِّ فِي تَرْجِمَةِ يوْفُسِ
بِنْ هَارُونِ الْكُنْدِيِّ الرَّمَدَيِّ: «وَفَتَقَ عِندَ الْكَلَّ حَتَّى كَانَ كَثِيرُ مِنْ شَيْخِ الْأَدِبِ فِي وَقُتِّهِ
يَقُولُونَ: فَتَحَّ الْبَلَقَةَ بَيْنَهُ، وَخُطِبَ بِبَيْدَاء، يَعْني أَمْرَا الْقُسّ والْمُعْتَبِيِّ وَيوْفُسِ
بِنْ هَارُون، وَكَانَا مَتَاعِزاَتْ.» جُدُوُّ المَقْتِسِ: 347.

(24) آتِرَ بِيَمَةِ الْمُدْرَك 1: 35 تَحْقُقُ مُحَمَّدُ مَهْمِي الْدَّيْنِ عَلَيْهِ; وَأَنَا نَحْوُ الْأَفْوَاهِ، كَانَ الصَّبِيبُ، وَأَبِي الطَّيِّبُ،
لَمْ يَقُولُ بِهِ مَعَهُ شَعَارٍ. إِلَّا أَبِي فِراس، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَكَانَ، وَأَبِي الطَّيِّبُ، أَوْيِ الْعَصْوَنِيِّ،
لَمْ يَقُولَ مَعَهُ. الْمَعْتَبِيِّ: 1: 101.

(25) هَذَا مِنْ الْمَقَامَةِ المُؤْمِنَةِ ثَلَاثِيَّاتٍ، وَهِيَ مَقَامَةُ الْشَّيْرَةِ فِي مَقَامَاتِ السَّرْقِطُيِّ الْمُرْمِيَّةِ، وَفِي
عبَارَةِ المُؤْلِفِ شَيْءٌ مِنِّ التَّصْرُّفِ، كَمَا أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى الْمَعْتَبِيِّ فِي الْمَقَامَاتِ بَأْتَيْ بِذَكَرٍ
فمَدَح صَنْعَة أبي تَمَام بالشَّرِّ، وَتَمْيَّزَ إِلَهَا، وَذَمٌ مُعَانَاتِهِ في ذلِك
وجَفَاهَا، فَلَهَّتْ لَوْ ذَمَّ صَنْعَتِهِ، مَدَحٌ مُعَانَاتِهِ وَبِرَاعَتِهِ، وَلَا فَهْلُ تُروَى عَلَّةُ
العَاطِش، خَضْرُهُ أَشْجَرَ، وَهَجَّهَا كَمَا مَرَّ أَرْهَار، بِضَفَّةٍ نَّهْرٍ مَّرَّ المَدَاقِ، مُقَعَّ
المَلَوَّحَةُ وَالحَرَّقُ، فَإِذَا صَادَفَ مَا زَلَّلا، قدَّ النَّحَّافِ مِنْ شَجَرِّهِ إِلَّاً،
شَفَّقَ عَلَيْهِ، وَأَرَوْى بُرُوحَهُ إِذَا غَلَّعَّهُ، وكَذَلِكَ هُوَ شَجَرُ أبي الْطَّبِبِ وَالله
لَقَد هُوَ العَذْبُ الزَّلَّال، وَالحَخْسَرُ السَّلِّسَال، يَنْحِفُ مِنْ روَتِّهِ طَبِيعَهُ بِطلَال.

قال الفقَهيُّ المُشَاوْرُ الأَسْتَاذ أبو الحَسْن علي بن لبَال آدَم الله رَقَعُهُ،
وقال ابن رشيق (26) : المَعْنَى مَعَ الْبَلَاغِ فِي الشَّرِّ كَالرَّوْحُ فِي الجَسِّد،
فإذا اختُلِفَ مِنْ الروح شيء في الجسد ضعف بعض الجسد، وجاء فَاِسْتَبَى
وظَنَّ عَلَّمَهُ كَفَّاءُ أَلْبِهِ وَالرَّجُلُ وَغَيْر ذلِك، إذًا بَلَّ رَبِّي أَوْ بَعَارض
يُعِرِضُ فِيهِ، فإِذًا ذَهَبَ الرَّوحُ مِنْهَا وَهُوَ المَعْنَى بَيْنَ الْبَلَاغِ لا مَنْفَعَةٌ فِيهِ كَالجَسِّد
الخلي في الروح.

وَقَالُ (27) إنَّ المَعْنَى لَلْبَلَاغ كالصُورة للنَّوْب، فَهُمَا كَانَا الصُورةُ
حَسَنَةٌ فِي الْثَّوْبِ الحَسْنِ، كَانَ ذلِكَ أَنْحَالٌ للْبَلَاغِ وَأَوْقَعَ فِي الخَاطِرِ، وَمِهَام
كَانَا قَبْحَينَ، كَانَا ذلِكَ فِي النَّفْسِ وَالْأَلْعَبِينَ، فَالصُورةُ البَلَاغةُ فِي الْثَّوْب
القَبْحِي البَلَاغِ، مِنْ الصُورة الْبَلَاغةُ فِي الْثَّوْبِ الحَسْنِ، لأَنَّهَا الْمَعْنَى،
وَمِقْدَرُها فِي الْقَلْبِ أَحْلَى وَأَسْنَى.

قال الفقَهِيُّ المُشاوْرُ الأَسْتَاذ أبو الحَسْن علي بن أحمد بن لبَال أَعْزُهُ
الله تعالى، وعلى ذكرٍ حتى آدن في شعورٍ وكبرٍ، هُجُّه بعض الشعراء:

قال:

أرد حبيب أن يحرك قصيدة
بمذبح أمير المؤمنين فاؤذنا
فقلنا له لا تعمِّقن بإقامة
فلسننا على طهور فقال ولي أنا.

وعلى ذكر طلع أبي الطيب وصناعة حبيب ما ملكه العلماء بين أهل السنة والصوفية، وذلك أن ملكاً من الملك أثر فارسياً ورومياً أن يري كل أحد منهما أبدد صناعته، فإن لهما هم حاصلين ليصوّر كل واحد في حائطه أبدد ما يعرف من صناعته وضرب بينهما سبأً لثأر يرى أحدهما ما يصنع الآخر، وقال لهما: ليصوّر كل واحد منكما أحسن ما يفتَن من التصوير والتشويش والترويج، فجعل الفارسي يحكم في ناحية بداعت الصوّر، ويضاها في ليلة الروض قبلان الزهر، والرومي لم يزدي بعد تلبس الحائط بالجوس على ذلك في [بالله؟] وقد طبعها، وأثنيها وأبددها، ليتقبل بذلك كلما صنع الفارسي ونقشه، فهذا يصوّر ويُتْثنَى، وذلك بذلك وجمِىء، فلمَّا تَم لهم العلم، ومان من عملهم التمام، قال لهما الملك: لنينا كل واحد متكما ما صنع، لأنَحَر أيّاكما أبدد، في صناعته وأبدد، فأنزل الله السبَر الذي بينهما فعَّلَك ذلك الرومي كلا ما صنع الفارسي لتقه، ولم يزل ذلك على

(28) جاء في الوافي لصالح بن شريف الرندي: ولما أنشد للمعتصم قول أبي تمام:

الله أكبر جَالس بأَكبر من جَرَّت ونحوت في كنبه الأُوهام.

قال بعض من حضر:

أرد حبيب أن يقول قصيدة بمذبح أمير المؤمنين فاؤذنا
فقلنا له لا تعمِّقن بإقامة فليسنا على طهور فقال ولي أنا.

(مخطوط الوافي) وقد نب البيتين في المواذج لمرون بن أبي الجنوب يقولهما في
علي بن الجهم (الموشح: 527) ونسهما ابن المعتز في الطبقات: 451 لأبي العيناء.

210
جَعْلَهُ، وَأَتَى بِالأَمْرِ مِنْ فَصْلِهِ، فَغَلَبَ الرَّوْمِيُّ.

وَكَذَلِكَ أَبُو الْطَّيِّبٍ بِرَقَةٍ طَبِيِّهِ، وَرُوِيَتِيْ شَغْرَهُ. وَصِفَ الْفَظِّهِ، وَفَرَّنَّ مَعَنَاهُ، يُبَرَّرُ في شَغْرَهِ صِنَاةَ كُلَّ شَاعِرٍ مِّنْهُ بِأَعْظَمِهِ مِنْ الطَّيِّبِ الرَّوْمِيِّ، والْنُّور الأَفْقِيُّ.

قَالَ الْفَقِيْهُ الْمُشَارِفُ الْأَسْتَاذُ أَبُو الْحَسَنٍ عَلِيٌّ بْنِ لِيْلَةِ أَدَامِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّهُ:

وَأَمَّا فِصْلُ الْحَاتِمِي مَعَ أَبِي الْطَّيِّبٍ وَرُوِيَتِيْ عَلَيْهِ، وَتَفَضَّلُ كَلَامُ حَبِيبٍ عَلَى كَلَامِهِ فَكَمَا قَالَ عُمْرَ بْنِ أَبِي زُبَيْدَةُ:

حَسَدًا حَمَّلْنَهُ مِنْ أَجْلِهِ

وَقَدِيْمًا كَانَ فِي النَّاسِ الحَسَدَ

وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ:

حَسَدْنَا الفَتَى إِذَا لَمْ يَنالْوا سَعْيَهُ

فَأَنَاسُ أَعْداً لَهُ وَخَصُوْمُ

كُضْرَائِرُ الحَسَدَاء فَلَنَّ لَوْجُهُا

حَسَدًا وَيَغُوا إِنَّهُ لَدِيمٌ

(31)

وَقَالَ أَبُو الْطَّيِّبُ:

وَكَمْ مِنْ عَاءِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا

وَأَفْتُهُ مِنْ الفَهْمِ السَّقِيمِ

(29) لم أتَمَكِن من الوقوف على هذه الحكاية في المصادر التي بين يدي(30) قصة الحاتمي مع أبي الطيب مفصلة في الموضحة التي حققها الدكتور محمد يوسف نجم، وانظر تحليلًا قصة الحاتمي مع السني في تاريخ النقد العربي للدكتور إحسان عباس: 263 - 270.

(31) ينسب هذه البيتان إلى أبي الأسود الدؤلي.
ولكن تأخذ الأذهان منى
على قدر القراءة والعلم
وكما قال ابن بسام (21): والحسن موروث وقديم لا حديث فيه. في
قصة صاعد اللغوي مع الزبيدي وابن العريف والعاصمي بين يدي المنصور
ابن أبي عامر إذ دخل عليه بياكورة ورد فقال المنصور لصابع صنها فقال:
أنت ابن عمير وذدك الجيمك أنفسها
كعذر رأبصرها مبيصرا
فغطست بأكمامها رأسها
في قصة طويلة، فحسد كل من حضر وقال: هذا شعر قديم
مذهبر (32).
والذي عاب الحاجيمي على أبي الطيب قد احتف أبو الطيب ببيته من
شجر حبيب، وأتى بالعجيب العجيب، وليس هذا كله بحجة لأن الشاعر
كالمغوص تارة يخرج بدرة، ونارة بجرة، ونارة بسجينة، وأخرى بṣجرة
ممحوة، ولا أساس أن ينزل من القول الفصل إلى المنطق الفصل، في
اليت والبيتين من القصيدة، كما تنص السبحة بجانب الفردة، ولولا البؤس
ما طابت النعماء، وفي حالك الظلام يعرف حسن الضياء، وبيضها تميز
الأشياء.
قيل لبشار بن برد: يا ابن معاذ: كم برقلك:
يا أطيب الناس ريقة غيير مختير
إلا شهادة أطراف المساويك

(32) قول ابن سام وقصة صاعد التي أشار إليها المؤلف في الذخيرة في 4: 17-19.
يا رحمة الله خللي في منازلنا
حسبي برائحة الفردوس من فيك
ويبين أن تقول:
إنما عظم سليمى خلتي
قصب السكر لا عظم الجمل
وإذا قريب منها بصل
غلب اليسك على ريح البصل (33)

قال: إنما الشاعر كالبحر يقفز مرة بصدفة، ومرة بحشمة، وقيل له أيضًا كيف تقول:

إذا ما غضبنا عضبة مضرية
هكذا أجاج الشمس أو طرط دما
إذا ما رفعنا واحدا من جماعة
على يسر صلى عليك وسلما

وهذا فيه من جزالة اللفظ ما لا يخفى على أحد، وأنت تقول:

حبابة ربة البيت
تصب الخلل في الزين
لها سبع دجاجات
وديك حسن الصوت

(33) في زهر الأدب للحصري: قيل ليشار: كم بين قلوك.
قد زرتنا مرة في الدقفر واحدة عودي ولا تجعلها يضة الديك.
وبين قلوك:
إنما عظم سليمي خلتي
نصب السكر لأعظم الجمال.
قال: إنما الشاعر المطبوخ كالبحر، مرة يقفز صدفة، مرة يقفز حشمة.
قال إنما أقول لكل واحد على قدره، وأننا إذا قلت هذا علقت
دجاجها ورتحمت بيضها وأطعمنتي.

وقال أبو العباس المبرد: وقد يضطر الشاعر المفقّل والخطيب
المصيق والكاتب البليغ في جمع كلمتهم الفن المنكسر والمعنى
المستغلق، فإذا احتجت عليه جنّتنا الكلام فغنتا على عواره وسرتاه من
شيئه.

وإن شاء قائل، إن يقول بأن الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر;
ومجاورته له أشهك كان ذلك، ولكن يُعتبر الشيء القبيح للحسن والبعيد
للقرب.

وقال المعرِّي: جيد قول الشعر وإن قول يُغلب (23) على زدته وإن
كُثر ما لم يكن الشعر له صناعة، ولطبقه مرناً وعداءً(35).

وكلام أبي الطيب كله حسن، ولكن الحُرُم ممتهن،
وَرَذى أبي الطيب في جَبَّاهُ كالقَفَرَة في البحر، أو الذرة في الترب، فهل نظر
الحاجمي هذا النظر، وترك القليل للكثير وغفر، وقارن هذا الغرب بغيثٍ
صاحبه (36) فسرّ، ألا ترى أن الشجاع البطل زمناً خام (37)، وحاذٌ عن
الإقدام إلى الإحماء، وآثر القرار على القرار، فلا يكون ذلك كله غيّاً
إذا عرفت بسالته، وعلي كره في الخرب ومجاولته. ألا ترى إلى قول:
زُرع ابن الحارث وكان نسيّم مَرِيح راهب عن أبي وأخيه فقال:
أُعَذِّب يوم واحد إن أساته
بصالح أيامي وحصن بلائيا

(34) ابنظر الكامل 1: 27 ت. محمد أبو الفضل والسيد شهاته.
(35) من خطة سقط الزند؛ وفه: والجد من قبل الرجل... قال الحواري: عن بالقيل
الشعر. انظر شروخ سقط الزند 1: 24.
(36) يعني به أيّام.
(37) خام: جبن وأحجم
ولم تر مني زلة غيّر هذه
فراري وترك صاحبي ورائي(38)
وقال علماء بن معدئ كعب ولقي بني عيس وفيهم زهير بن جذيمة
الابيسي فقرر عنهم فقال:

أجاعلة أم الفوارق خرائبة
علي فراري إذ لقيت بني عيس
لقيت أبا شأس وشمساً ومايلكاً
وقيسواً فاجست من لقائتهم نفس
وليس يعاب الماء من جيش يومه
إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس(39)

ومثل هذا كثير.

قال الفقيه المشاور الأستاذ أبو الحسن علي بن لباق دام الله عزته (24)
وقال الفقيه الأستاذ البخوري ابن مسلم(40) عند سؤالنا إياه، واقتبسنا منه ما
خفظه من العلم ووعاه: إن الوزير الفقيه الأديب اللعوبي أبا مروان بن
سراغ(41) كان لا يقرب من شعر أبي تمام إلا ثلاثة أبيات، وكان يقرأ من
شعر أبي الطيب خمسة أبيات. وهذا أيضاً شاهد على فنّغ أبي الطيب، فقد
قيل(42): خبر الشاعر ما ورائه نفسه، وذكر الشاعر ما سيّل عن مغناه، وللهّ ذر
ابن عمار حيث يقول بمدح المعتضد بالفضحة:

(38) العقد الفريد 1: 146.
(39) المصدر نفسه 1: 146 - 147 وفي الأبيات تحريف في الأصل.
(40) تقدم ذكره والتعريف به.
(41) ترجمته ومصادرها في الذكرية.
(42) لم أستطيع الآن إلى صاحب هذا الفول.

215
رقيق حواشي الطّبع يُجلو بِيانه
وجوه المعاني واضحات المباسم.
فلمْ يُمثَّخ باستِغلاق اللَظَف، ولا يُبُعد النَّور وضَعف المعنى، بلِ
مُتحّه برقة اللَظَف، وبيان المعنى.
قال ابن رشيق(43): لا يكون الكلام بلِوبا حتَّى يُسابق معناه لْنظفه
ولظفته معناه، ولا يكون لظفه أشبه إلى سَمِيك، من معناه إلى قلب.
وَسَالت عامر بن الطرد العذائي حمامة الدوسي بين يذي بعض
ملوك جعير فقال: مَن أبلغ الناس؟ فقال: مَن جلا المعنى العزيز، في
الَظِف الرَجِيز، وطلَق المفصل قبل التحرير.
وقيل إن أَفْصَح الكلام وأَبْنَ البَلاغة كلام إذا: سمعته ظنُنت أنك تصنِع
مَثْلة فَإذا رَمْتَ لم تقدير عليك(45).
وقد قيل: خَيْر الكلام ما فهمته العامة ولم تَنْتَكره الخاص(46).

(43) لم نقف على هذا البيت، وبدو أنه من قصيدته المشهورة:
علّي وَلا ما بِكَاء المَحمَّل، وفي وَلا ما نياج المحمَّل.
وهي قصيدة تنيف على 90 بِناً ولم نقف عليها كاملة، ومنها في ملح المعيم:
إذا ركَبوا فانضحم أواضع صدوع، وإن نزلوا فارصدها آخر طابع.
أبى أن يراه الله إلا مقلداً حيلة سيف أو حمالة غار.
هذا والمعيم ديوان شعر جمعه ابن أخي إسماعيل. انظر الحلقة السبيرو 2: 43 والمحب.
والذرة.
(44) انظر العدد: 1: 245 وفيها: ومن جلي المعنى العزيز وقد تكلف المحقق في تخريجه،
والصواب ما ورد هنا وفي نسخ خطية من العدد.
(45) ٩٩.
(46) في المستطرف: 1: 51: قال أبو عبد الله وزير المهدي: "البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به
الخاصّة". وفي التقرب لحد المنتصف لاث حزم: "البلاغة ما فهمه العامي كفهم
الخاصّة". التقرب: 204.
وقد قيل: إنّ أبلغًّا البلاغة ما لم يؤتّ السامع من إفهمسمع ولا المسموم من فهم السامع، ذكر هذا عدة من أصحاب الكلام كفقدامة وغيرة(47).

وقد قيل: إنّ خُبر الكلام لمحة دالة (48) وهذا كثير لأن الكلام إذا كان قليل الفصول، سهل الألفاظ غير وُجُهٍّ خاصّته، وخرج من اللغة العربية إلى الألفاظ المستعملة الجعيمة، كان أشدّ وأقرب إلى الحصن.

قال الفقيه المشاير الأستاذ أبو الحسن علي بن لعال زوجه الله: وقال المجاهز: كما لا ينبغي أن يكون الفظاظ عاميًا، ولا سابقًا سوفًا. كذلك ينبغي أن لا يكون وحشية إلا أن يكون المتكلّم بدويًا أغرابيًا(49).

وقال بعضهم لحبيب في مجلس حافل وأراد يكتبهم: لم تقول من الشّعر ما لا يفهم، فقال له حبيب: وأنتِ لَمِّ لا تفهم ما تقلّب(50)، والمُطبوع لا يُعرَض نفسه إلى هذا الطَّفُّن باستغلال اللفظ وإبهام المعرفة كأتي الطبيب، ولذلك كان ابن سراج يُقرّب من شعر المتنبي أكثر من شعر حبيب لسُهولة لفظه وبيان معاني.

وقال أبو العباس المبرد في مثل هذا: فمن ألفاظ(51) [العرب البيئة القريبة المفهمة، الحسناء الوصف، الجميلة الوصف، قول الحنثية:

وذلك فني إن تأتيه في صبيعة
إلى ماله لا تأتيه بشفيع


(48) الكامل: 1: 17.

(50) ينسب السؤال إلى الشاعر أبي العيس. انظر وفيات الأعيان.

(51) ما بين معتقدين صفحه بضاء فالأصل، وقد قلّت أن ابن لعال نقل فيها كلام المبرد في الكامل الذي أوردته ووفاة ابن وقاه كتاب نقلها من المنتقى المقصور لابن الفاضي.
وكذلك قول عترة:

يخبرك من شهد الوقيعة أني
أغشي الوغى وأعفي عند المعتزم

وكما قال زهير:

على مكشرين رزق من يعتريهم
و عند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كلاهما قول الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بسنجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف، فقال
فقضى عليك به الكتاب المنزل، يريد قول الله تبارك وتعالي: وإن أهمن
البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمنا; ومن كلامه المستحسن قوله
لجرير:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم
أباً عن كلب أو أباً مثل دايم

ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني قوله:

وما مثله في الناس إلا مملكاً

أبو أنو حي أبوه يقاربها

مدح بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن
مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال: وما مثله في الناس إلا مملكاً
يعني بالمملک هشاماً أبو أم ذلك المملک أبو هذا المندوب، ولو كان هذا
الكلام على وجهه لكان قبيحاً وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن

218
يقول وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا ممّلوك أبو أمّ هذا المملك أبو أمّ هذا المصدوق قدل على أنه خاله بهذا النظف البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقدم والتأخير.

ومن الوحشي المكلف، والركيك المستضعف، والمعقد البارد رفعة ابن وقاؤها ونصها:

«صين مرء وأعين امرؤ دعا لامرأة مقششتة أولعت بأكل الطوموق فأصابها منه استيال أن يهب لها الله أطرغاشًا وإبرغاشًا».

وطرحها في المسجد نما [53] قرأها أحد إلا لمعه وقى أن. قال الفقيه المُشاوَر الأستاذ أبو الحسن علي بن أبّال آدم الله رفعته:

فإن صين من العيان، وأعين من الإعانة أي أعانه الله، و قوله مقششتة، المَقْشِشَتَةُ السَّديدة الأكبر، قال اقتُسَانُ العَرْج إذا تَسَ واسْتَه يسُه وقوله الطوموق، وهو الطقف، فإذًا قَدْمَت المَيْم على الرّاء قَلْتُ الطوموق، وهو التوقيع، والطقف في تَحْيَي الكفاء وهو الصواب، ولا يقال بالإسكان، وقوله:

بالإطرغاش والإبرغاش، يقال: اطرغش الرجل والأرغش، وتقشت إذا أفاق من مرّبه، والمقششتة: الموعّدان قال الشاعر:

أعذُك بالمقششتة يمَا

أحاذره ومن شُرّ العيون [54]

فهذا وإن كَان كلاماً عربياً يُفْتَح في المسامع، و يُفْتَح على كل سامع، لخطويته وقلتة استعماله، ولنا في كتاب الله الكريم: فذوة، وكته به النماسى يَهِ إسماً.

(ال كامل 1:17 - 18)

(52) المنتهى المقصر لابن الفاضي. مخطوط. ولم أتمكن من الوقوف على الحكاية في غيره.

(53) ورد البيت غير مسوب في كتاب ألف باء للبلووي 2:402.
قال الفقيه المواصل الأستاذ أبو الحسن علي بن لبل:

ومع هذا فلا أُعتَنى أبا تمام من فضيلة، ولا أُعرِّيه عن خصائص جميلة، بل أعتقد أنهم شاعر إحسان، وفارس هذا الشان، وهم معم أبي الطيب كفرسٍ رهان، في عده أبيات، وكثير من المقطعات، كقول أبي تمام في وصف القلم:

لك القلم الأعلى الذي بشبيته
تصاب من الأمر الكرى والمفاصل
لعب الأفاعي القاتلات لعبه
وأرقي الجيني اشتراه أبد عواسل
له الخلوات اللالاً لولا نجدها
لما اختلطت للملك تلك المحابل
نها ريقة طال ولكن وقعها
باثره في الشرقي والغربي واسب
فصيح إذا استنطقت وهو راكب
وعجم إن خاطبه وهم راجل
إذاما امتنى الحمس الطاف وأفرع
عليه شعب الفلكي وهي حوافل
اطاعته أطراف القنا وتقوصت
لنجوا تقويض الخيام الجمايل
إذا استمر الدِّهْن الذكي وأقبلت
أعليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رفدت الجُحَّصان وسددت
ثلاث نواحي الثلاث الأُناميل

220
رأيت جليلًا شأني وفؤاد مرهقًا
ضني وسمينًا خطب وهو ناجل
(55)
وهذه لعمري قطعة بديعة النسج، رائعة الدورج، لمحك على مثابها
ولا ينج على منوالها.

وأريى على أبي الطيب في قوله:
جَبَّتْ نار حرب لم تهجها بانثة
وأسلم عريان من الغصن أضباع
نحيف السووى يقدو على أم رأبه
ويشقى فقهى عذوة حين يقطع
يمنع للآمالا في نهار لياليه
(56)
ويقهم عن من قال ما ليس يسمع
وهذه لعمري قطعة تدل على طبع عفو، ولهاء صفو ولكن الأولى
 أعلى، وأليل بالتقديم وأولى.

قال الفقيه المشارك الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن نبال أدام
الله عزه بعه وكرهه: فأنا أرغب منى تصفح كلامي، وتحلق منه سردتي
ونظامي، في هذا التاليف الذي خرقت فيه حجاب السحاف، ولم أستير فيه
من العقل بسجف، فتعرضت فيه للألذة، وتبعت لبرضي من كان عنه ذا
سنت، وبلغت النافذ سولا، ولم أرد ذلك ولكن ليضع الله أمرًا كان
مفعولا.

(55) الأبيات من قصيدة أبي تمام التي مطلعها:
منى أنت عن دُلِّي الحلي دامل
رفكب منها مدة أثناء أجعل
انظرها في ديوان أبي تمام بشرح الخطاب التبريزي ج.2 ص 122 وما بعدها. وقد كان لها
التفضيل والتقديم على سائر شعر أبي تمام عند الأدلسيين انتظ طيقات الزبيدي: 306 - 307
والعقد الفريد 4: 192.
(56) ديوان المتنى بشرح اليرموك ج.2 ص 421.
فعلى من اغتزا إلى علمٍ، ووصف بذلك، وفِيهِ، أن ينظر بعين
الإغضا، ويصفق تواليف من مقص، فكم في الدفاير، وِن سحيفٍ فائر،
وَلَو اقتصر المتآخرون على علم المُتقدمين لذَهَب علمٍ كبير، وأدبٌ غزير،
وأما الجاهل فمن ضاق في العلم ذره، وقصر به فعمه وطبَعه، حتى بظن
أن لا علم إلا ما وعاه، ولا تحقيق إلا ما نذبه فيه إلى معرفته ودعاه، فما
دُرِي جهلٍ، واشتد ما جين على علم ما سُطره السحيف عقله.
وإذا خفيت عن الغبي فعذر
(57) أَلَا نَرَانِي مُقَلَّة عَمْيَاءً
والله المؤمن للصواب، وصلِ الله على محمد نبيه
ما زين بإسمه كتاب، وما عذب ذكره صلى الله عليه وسلم في الأفواه
وطاب، وصلنا تسليما كثيراً.

تَمَ التأليف والحمد لله رب العالمين
والصلاة على محمد وآلله أجمعين
ضُحْيَة يوم الأربعاء غرة ربيع الثاني
سنة 1003 هـ

(57) المصدر نفسه 1: 18.
الفصل الثاني

خُنَاتَاتُ مِن نِسْخَةٍ دِيوَانَ المَتنِبِّي السَّعْدِيَّة
آخر رسالة روضة الأدب في المخطوط.
 يقدمّ الدیوان

بسم الله الرحمن الرحیم وصلى الله علیه وسلم على النبي محمد وآله وسلم

الحمد لله على ما منح من الموارف، وما أله من المفارق، وسُنت من اللطف الرفيع المطاف، والصلاة والسلام على رسوله مَنْعِذَ الآمِرِ
وعادِها، وخير من يحذر لمعاليه المشرف بالمهربة الفؤاد حاديها، وعلى أهله ذَوَاتُ المجد الفارعة، وعاصبة الرسالة البارعة، وأصبحوا الذين جَّلَوْا قَالُوا
الشَّرْكُ عَن وجوه السُّحْباء، وروّضوا بعيور الإيمان بإطلاع الباطحاء، والرضا عن الإمام الخليفة القائم بأمر الله مُطْلِع شموع الحق بعد أسوارها، ومَعْيِد
معالي الخلافة إلى أصولها.

وَعَن نجْحِي الإِمَامِ الخَلِیْفَةِ الْمُهْدِی سُوْرَةُ المَلِک وفَاتِحَةُ كِتَابِهِ، ومُحَیٌ
معالي الخلافة المُهْدِیة بالملوك الصَّید أثْقَابُهُ، ومُصْلِت سَیْفَ النَّصر الّذی
دانت له الفتحات الْعَلْوَیة، وخصَّصْت له الأقطار الدانیة والغاصِیة، ودُوْجَة
الشرف التي بَسْطَت بِالمَجِید وعُلآ أَفْتَنَتْهَا، وفَوْزَتْ بالعدل المتَفَیء الظَّلَال
علیّ البَسیطة أعِصانُها؛ والذِّعاء بْنُجُح الأمال، الفُرْقَةُ المَجَالِ، والسَّعْد
الذي لا يزال لسانه بِالشَیْاَر والثَّقَافی طَلِق الرَّوْیة والآرِِیْجاء، لِمُولِانَا أمیر
الْمُؤْمِنین بن مولانا أمیر المؤمنین بن مولانا أمیر المؤمنین عصمة الدین وفِضْبَة
شرفه العلیا، وبِهجَةِ الملك زهرة الحياة الْذَّنیة أعْجَوبة الْدَهر وآیه، ومنتهی
الفَحْر وغایتهِ، العزيز الموجود، وعين كل موجود:
عُقِّب النَّساء فَما يُلدُن شبيهة
إن النَّساء يُمِثِّلُون عَقُمٍ
جلت مُفاجِرة ومأثُر عَن أن تَحْصَى، وينقذَ في جَانِبها تِعدادُ الكواكب

والحصى:

وَمَن لَي بَحْضَتُ الْبَحْر وَالْبَحْرُ زاَخِرَ
وَمَن لَي بِإِحْصَاءِ الْحَصَى وَالْكَوَاكِبِ
ماضي الغَضِب، وَحامي ذَمارُ المُسلمين بالأسل والقُضب ومجلى
سُدو الْرَبَّ وَنَاصِرُ الشَّريعة الَّتِي جَاءَهَا الرِّسُول عَنِ الرَّبِّ:

فَمِن كَانَ أَو مَنْ قَدْ يُكْونُ كَأَحْمَد
نظاما لجَنَّتْ أو نكَالاً لِمُلْحَدِ

باهت مناقيه الغَرَّ الشَّمُسَ سَنِى ومستاء، وأثبت شحاب جَوَدَهَ الوَكَافَة
في كلِّ أرضٍ تُرْوَة وعَناء، إن ضحك ابْكِي بالبذل ماله، وأْنْجْحِ لِلنَّعَمتِ

آ말ه:

ُعْمَرُ الرَّدَاء إِذَا تَسَّمَّ ضَاحِكَا
عَلِقْت لِضَحْكَكِهِ رَقَابُ الْمَال

غَلِّقْت ضحكك، يُبْتِيَ ضَحْعَه، ورفع عَمَّاد العلَى ومَشْيَد غَرَفِه، وولي
السُّمْحاء ونَصْبَهُا، وبدر الخلافة الذي ازدهى بِمَبْنِيَه وسَرَّهَا:

وَوارثُ المُلْكِ عَن شَمْعُ غَطَارَةَ
بِهِم أَنْفَ الخَطْرَبِ الشَّمْثُ تُجْتَدَعُ

ثَمَّن الخَائِف، وكَعْبَة الظَّافِر، وسَعَادَةُ الزُّاينِ العَلَّافِ ورَحْمَة الله
التي أطْبَقَ عِلَى الخَلْق سماها، وأَظَلَّهُم لِؤَوْهَا؛ رَاقَتِ ابْنَاهُ الغَرُّ فعادت
مَوْسِم، ونُغُورَ الأماني بها مَفْتَرَة وبواسِم.

228
تَلَوَّحُ في دولة الأيام دولتُه
كَأَنَّهَا مَلَةُ الإسلام، فِي الْجَمَالِ
جَنَّةِ الوَفَادِ، وَمِنْاخُ الرَّائِدِ، وَمُجَلُّ الْفَرَائِدِ، وَمُكَيْلُ الْصَّلَةِ بِالْعَالِدِ
أَجْلُ الْمَلَكَيْنِ دَيْدُ وِإِسْبَأَ، وَأَكْرُمُهُمْ مَجِيدًا وَنَفْسًا، وَأَسْمَعُهُمْ إِسْجَاحًا وَعَفْوًا،
وَأَبْعَدَهُمْ فِي الْمُجْدِ وَالْعَلَاءِ شَأْرًا:
تَعْبَى الْمَلَكُ مَراَحِينَ وَرَاءَهُ
فَتَنَآصَ اْلَا يُلْحَقُونَ الشَّمَالَا

بَهَّرَتِ العَقُولُ وَالْأَلَابِبِ أَيْنَهُ، وَأَرْبَتْ عَلَى كُلِّ غَابِيّ فِي الْفَضْلِ غَابِيّهِ،
وَتَجاوَزَ فِي كُلِّ مَأَثَرٍ الْمُتْنَهِيّ، وَعَلَى بَيْهِ مُنْطَقُهُ الْبَعْدَاءِ الْعَرْمُ عَلَى هَمَّةِ
الْسَّهْيَةِ، وَغَادَرَتْ فَضَائِلُهُ وَفَوَائِدُهُ الأُوْهَمَ حَتَّى، وَغَدَّتْ بِبَعْطَةِ الْأَمَثَالِ فِي
أَطْرَامُ المَعْمُورِ سَائِرًا:

مَنْ لِلْمَدَائِحِ تُشَوَّفِي مَنَاْيِبَهُ
وَقَدْ أَنَافَتْ عَلَى شَهْبِ السَّمَا عَدْداً

لا زال ظَلَّةُ المُمْلَكُ عَلَى الْبَسِيطَةِ مَنْشُورًا، وَذَكَّرُهُ فِي دِبَرِهِ الْفَخْرِ
مَسْطُورًا، بِحُوْلِهِ وَقُوُّهُ.

وَبَعْدَ فَانِ دِبَرْ أَيْنَ أَيْنَ الطَّيْبُ اْ حَمْدُ بَيِّ الْحَسَنِيْ الْمَنْتَيْي رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ
كَانْ بِحَسْبِ رِقَاءِ الْفَزَّلِ وَالْسَّبِيبِ كَالْرُّوْضِ بَأْرَكُهُ الْجَيْبِ، وَجَزَاءً الْفَخْرِ
وَالْمُدِيْحِ كَالْعَزُّ اْصْطُلْحُ كَبَلْصُلُّهُ مَسْامِعُ الدُّنْيَا، إِلَى مَا ضَمْتُهُ مِنْ حُكْمٍ
ثَقُفْ مِنْهَا الْفَرْعَاةِ فِي مُيُدَادِ الْمُحَاوَرَةِ مُوْفَقُ الرِّسَالَةِ الْبَاِعِةِ، وَتَعْضِدُ
لِلْمُشْتَهَئِهِ فِي مِقَامِ بِهَا فِي مَقَامِ الْمُمْنِيْيَةِ بِالْحِجَّةِ الْبَالَغَةِ وَالْشَّهَاءِ
الْقَاطِعَةِ، وَأَمَّعَالِ يَرْوَقُ لِضَرْبِ الْمَثَّلِ بِهَا بَيْنَ الْمَثَّلِ وَوَعْدُ يَدُوْلُ الْجَيْبُ تُهْدِيْهُ
ذَكَا وَيَسْكُ الْإِعْدَادُ بِهَا مَسْامِعُ المُرْجَحِيْيَ صَبْعًا، وَعَسْطُافُ يُبْعَثِ الرَّحْمَةُ
فِي الْقُلُوبِ الْقَانَسِ، وَيُسْتَنْزِلُ بِلِطَافِهِ الْعَصَمُ مِنْ فَنْ الشَّوَاهِيْيَ الْرَّابِيَةِ.
صارت الملكوك بحفظه مولعًا، وحَكَمْه ومكمله في صدورهم مودعة وكان
امشدهم به ولوعًا، واحتف على ضموع، أشبههم لطافاتهم برته، وأههجهم ليتساء
بحكمته، وأنشأهم يلبم الرومع لSHIFT جراجًا، وأجراه في الإقدام في حومة
الهياج والكفاء على دلاته، وأحسهم إرباء لامثاله، وأرشفهم لنفسة السداد
بهيام الرأي المصيب ونبلائه، ونأشدهم في المليدين لوعده، وأعطتهم
على المؤمنين بين رعايا الله ونبيه، ملك الملكوك، وفكر المالك
والمملوك، مؤانا الإمام الحليفة أمير المؤمنين. وناصر الذين أبو عبدالله
محمّد الشيخ الجهادي قدس الله نفسه، وطاب بأفلاس المغفرة والرحمة
رمسه، كان كثيرا ما يتعاطاه على شغف، ويتجرد برئه السليم عن حكم
أنفقة القرح والشجوخ، ويجلي بمدارس الإدراك غزره، ويشخرح بفهمه
الثائر من بحور معاناه الزارية ترده، حتى اشتد عليه حفظا ودراية،
ورفع للشهيرة بعيدها الران، وما زال رضي الله عنه يوضي بحفظه ودرايته
إلى أعقاب الكرام وبنيه، ويثير بذلك على كتابه وعلماء وفقيه وذويه، فكان
أجراه في الجملة على هؤلاء، وأكثرهم أقادة بصاحب عقوله ومشكور
سعيه، ببث قصبه وواسعه عقيدهم، وقطع المعالى الذي عليه مدار
شرقه ومجدهم، مؤانا الإمام الحليفة أمير المؤمنين.
فانه البيان أبيد الله كالخليفة أبيه كلف بإخلاصه وفتور ونولوع النفي
قد طاف بمعاماته وأطر، وما زال على المدى مطاعنا الشموع جkke
ونواديه في كريم ناديه، ومجيلاً لقِياء المحاررة في مع جهازه هذا الملك
وأهل وادي، حتى فاز من يهاد المعرفة بمعاناه وأعماله وبيانه بالقُلْب
المعلق، وصار في حفظه وحجز الأدب على الجملة ودرايته أيه نتائ، ثم
لما غدا بالتنين في ذلك على هام الكواكب نازلاً، وصولت منه الرجاء
للمعارف الجملة شخصاً مباشاً، وأقرننا الملككو فيها على التصرف المطلق،
وفتحت له إلى الإجادة في الاستناد كل وتصير معلق، نظر إلى هذا الذي
نظر مشقق على بضاعته، وغُبور على صناعته، فرأى أبيه الله علّد ترنيه،
وأغفلَ تَبَيَّنَه، وخَلَّلَ جَعَّله من ضابط، وعُرِّفَ مَوصوله من صَلة ورابط، نقشًا في إحساني، وحُصّرًا في إساني، وعَقَّة في شجعي وإساناني إذ يُقَرر بذلك عَلى مَطالبه اليَاهود لِأَنَّهُم، والعُورُ بَدَيهًا عَلى ما يشاء يَنْهَل لِلَّه وَجَدَه. وَعَلِيَ أن بعض الفضلاء وإن كان قد فوق إلى هذا الغرْضٍ بِبَاله، وأشَّرَعُ إِلَّه يَنِذَلَه، وَجَرَى بِتَرْتِيبه عَلى حَبّ ما في وَسُعُه ومَقْدُوره، وَنَقَّمَ في قِلادة جَمِعه ما يَنْقِلَه من فَرائده وشُعوره، وَفَقَلَ أن وَجَد في تَرْتِيبه ليُقَرَّر المَشْهور، مُقَسَّمًا في جَمِعه لِنظجه الَّذِي صَحَحَه أئمة الحَمَّام وَلِمْتَعور، إذ كان اقْتَصر على ما صَحَحَه عَنده رَوَاهُ، ووَقَفَ في الاِجْتِهاد حَيَّة وَقَتَفَ في مجال الدِّرَاية راية.

فَأَقَرَّ أَيْدِه الله الِإِيَانَ في ذلِك بالجَمِيع المَنِتَن، وَجَمَّر مَا أَقْلَه السَّاهي، بأن أَمَرَ خَلَّلَ الله سُلطانُه، وَمَهَّدَ أَوْطانه، باسْتِمْعاء ما أَشَّرَعَ عَلَى خَزَائِه الحائِلَة المُلْمِثَية، واخْتُوَث عَلَى مِن نَّسَح هذا الدِّيوار العَينِيَة المَسْتَوْية المَرْوَيَة، وَأَشَّرَ بِتَحْرِير نَسْحُهُ مِنْها تَشِمَّلَ عَلى نَظِيرِهِ المَرْوَيَّي المُبَارع، وَشَجَعَه الَّذِي لَبَسَ فِي صَحَح رَوائِه اِجْتِهادًا وَلَا مَجَاز، وَأَمَر أَيْدِه الله وَنَصَّرَه، وَأَسْتَعَدَ أَصْلاه وَكَرَهَه، تَرْتِيبه عَلى حُرُوف المُعْجِم عَلى طريقة المُجَمَّع والَّهُ الَّذِي أَشَّرَهُ مَرَاي Incorporate customary language into the text
الطَّرْر
طرر حرفي الألف والباء (4)

قافية الألف المتحركة

1- فالسَّلَمُ يكسرُ من جناحي ماليه
بنواليه ما تجبر الهيجاء

من قول أبي تمام:
إذا ما أغاروا فاحتوى ماال معرس
أغارت عليه فاحتوته الصٌّنائع (1)

2- وهبني قلت هذا الصبح ليل
أيعنى العالمون عن الضياء

هذا البيت ينظر إلى قول ابن الرومي:

أسقط المنتَح فيك أن لم يُبين منه
لك خفياً وهل ليصبح خفاءً (2)

3- تطيع الحاسدين وأنت مرتَة
جعلت فداءه وهم فدائي

(4) أقتصرت هنا على طرر حرفي الألف والباء وفي النية إخراجها كلها فيما بعد إن شاء الله.
(1) ديوان أبي تمام 488.
(2) ديوان ابن الرومي 1 : 41. دار المعرفة - بيروت.

233
من قول الحصني:
فدتلك نفسى وتقذيني أعادكما
بل كل من فوق ظهر الأرض يفديكما
(3) مهات لا يأتي الزمان بمتلايه
إني الزمان بمثيله لبخيل
(4) واحده حبيب من قول الأول:
عمق الناسا فما ولد مثاليه
إني الناسا بمثيله عقم
(5) أنت أعلى محله أن تهنى
بمكان في الأرض أو في السماء
ينظر إلى قول ابن الرومي:
أنت أعلى من أن يقول لك الثا
ظل يهنيك إن وليت ولاية
(6) وليك الناس والبلاد وما يس
رح بين الخبراء والخضراء

(3) انظر المنصف: 329
(4) ديوان أبي تمام: 4 102
من قول علي:
ولك الأهل والبنون وما تَمّ
لك من ثابت ومن مستق.
7 - وبيسْكِ يُكْنِى به ليس بالمسّ
لك ولكّنه أريج المّناء.

من قول العطروي:
فليس نسيم المسك ما تجدائي
ولكّنه ذاك الشناء المخلّدُ.
8 - فارم بّي ما أردت مني فاني
أسد القلب آدمي الرواء.

ينظر إلى قول أبي تمام:
أَسْرِى بَنِي الإسْلَامَ، فِيهِ وَأَذَّنُوا
بقلوب أَسْدٍ في صدور رُجُالٍ.

قافية الباء
9 - يزور الأعاد في سماء عجاجةٍ
أَسْتَهِ في جانبيها الكواكبٍ.

ينظر إلى قول بشير:

(9) ديوان أبي تمام وشرح ذات الذبابة للشريري: 8.
كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوٍ كواكبٍ

10 - طلعَن شمساً والعمود مشارق
لحن وهامات الرجال مغريب

ينظر إلى قول عبد الله بن المعتر:

متردِياً نصلأ إذا
لاقى الضربة لم يراكب
فكانه في الحرب شمس
والرؤوس له مغارب

11 - دمعٌ جرى قضى في الربع ما وجب
لأمه وشفى آنٍ ولا كربا

هذا البيت يشبه قول الواثلي:

سأشكر الذمع إن الزبع كان له
حقّ فقام لعنه بواجبه

12 - سقيته عبراتٍ ظنها مطرًا
سوائلًا من جفوني ظنها سحبًا

هذا ينظر إلى قول أبي تمام حبيب:
مطر من العبارات خدٍ أرضٍ
حتى الصباح ومقلاي سماوئه

(10) ديوان بشار 1: 318.
(11) ديوان ابن المعتر: 3 246 والنصف: 318.
(12) المنصف: 388.
(13) ديوان أبي تمام 4: 148 والنصف: 88، 313.

236
13 - بيضاء تُطمع فيما تحت حُطَّتها
وعَرّ ذلك مطلوباً إذا طُلِبا

يشبه قول الآخر:
سألتك حاجة فأجبت عنها
بأسرع ما يكون من الجواب
فلما رمتها رمت الشريا
وأبعد ما يكون من السحاب(14)
14 - كأنها الشمس يعى كف قابضه
شقاعها ويراه الطرف مقترباً

يشبه قول ابن أبي عينه:
فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها
 قريب ولكن في تناولها بعُد(15)
15 - لو حل خاطره في مفوقه لمشي
أو جاهل لصها أو أخرس خطا

يشبه قول الآخر:
ومفعد قوم قد مشى من شراينا
واجمى سقيناه ملياً فأبصرنا(16)
16 - إذا بدأ حجبت عينيك هيبته
وليس يحجبه ستمر إذا احتجبا

______________________________
(14) الوساطة: 261 العكبري 1:112.
(15) المنصف: 391.
(16) المنصف: 392 (بدون نسبة).
ينظر إلى قول البحبري:

وإن أتى دونه الحجاب فما تجنب عنا آلاء حجبه

وكان صدر بيت أبي الطيب من قول الفرزدق:

يُغطي حياً ويُغطي من مهابه
فَما يَكَلَّم إلَّا حين يبَتَسُمُ

17 - تحلو مذاقاته حتى إذا غضبا
حالت فلو قطرت في الماء ما شرِبًا

ينظر إلى قول ابن المعتز:

لَو أن ما تبتلي تحادثت به
يصب في الماء لَم يشرب من الكَذَر

18 - وتغبط الأرض منه حيث حل به
وتحصد الخيل منها أيها ريما

قوله وتحصد الخيل من قول الآخر:

ومن له تخشى الملوك ومن
تُرَهُى به الخيل حين يركبها

19 - هَرَ آلُوا بنو عجل به فغدا
رأسا لهم وغدا كل لههم ذنبا

---

(17) ديوان البحبري 1: 281 والمنصف: 15.
(18) المنصف: 395.
(19) هو ابن دريد كما في المنصف: 396 والبيت ليس في الديوان.

238
قوله فخذا رأساً وما بعده من قول الحطبة:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم

ومن يساوي بأنف الناقة الذنباً

20 مبرقع عينهم بالبيض متخيّذ

هام الكَماة على أرماحهم عذباً

قوله متخذي هام الكَماة وما بعده يشبه قول بعضهم:

من كلٍّ ذي لِمْهَ غَطَّت ظفارها

صدر القَناة فقد كادت ترى عذباً

21 مراتب صبعدت والفَكر يتبعها

فَجاز وهو علَى آثارها الشهباً

قوله فجاز وما بعده يشبه قول ابن الرومي:

وسمت همتي فجاورت العيو

ق بعضاً أو جازت العيّوناً

22 مكارم لك فت العالمين يها

من يستطيع لأمر فائت طلباً

هذا البيت يشبه قول البحтри:

أيها المبتغي مساحة الفتح

تغينت نيل ما لا ينالُ

(20) المنصف: 398، 426.
(21) ديوان ابن الرومي 4: 1713 والمنصف: 399.
(22) ديوان البحтри
23 - بكلّ أشعث يلقي الموت ممتسمًا
حتى كان له في قلبه أبًا
قوله حتى كان وما بعده يشبه قول أبي تمام:
يشتذبون مناههم حتى كأنهم
لا يتأسون من الذُنُب إذا قيلوا (23)

24 - بابي الشموس الجانحات غواربا
قوله الجانحات غواربا يشبه قول البحترى:
شمس تألق والفراغ غيرها
عن وبدر والصدر غواربها (24)

25 - ونصبتني غرض الرمة تُصيبي
محنًّا أخذه من السيوين مضاربا
يشبه قول الآخر:
في كل يوم، لها نبل مفرقة
كأنني غرض تحوله أو هُدffe (25)

26 - فكاننا كسي النهار بها دجي
ليل واطلعت الرماد كواكبًا
من قول بشار:
كان مثار النقع فوق رؤوسنا
وأتيافنا ليُل تهاري كواكب (26)

(23) ديوان أبي تمام: 3: 17 والمنصف: 257، 326
(24) ديوان البحترى.
(25) البيت منسوب للحصني في المنصف: 432.
27- أَسْدُ فِرَائْسِهَا الأَسْوَد يَقُودهَا
أَسْدُ تَصِيرُ لِهَا الأَسْوَد ثَعَالِبًا
من قول عبدالله بن المعتز:
أَسْدُ فِرَائْسِهَا الأَسْوَد ولا تَطَأ
إِلَّا عَلَى الأَسَاد يَوم حَرُوبَهَا(27)
وعجزه من قول بعضهم:
كَم مِن عَدْوُ كان قَبْلَه ضَيْغَا
حَتَّى إِذَا مَا خَيَف عَارِد ثَعُلُّبا(28)
28- في رَبِّيَ حَجَبٌ لَّوْرِيَّةٌ عَن نَّبِيِّهَا
وَعَلَا قَسْامُهُ عَلَى الْحَاجِبَا
يشبه قول ابن الرومي:
كَانَ أَبَا هَيْنَ سَمْهَ صَاعِداً
ذَرَى كَيفٌ يُرْقَي للمعالي وَيَضُعُّد(29)
29- كَالْبَحْر يَقَدْف للقَرِيب جَوَاهِراً
جَوَاداً وَيَعْثُ لِلْبَعِيد سَحابِاً
يشبه قول مسلم:
هَوَ الْبَحْر يَغْشِي هُوَ الْأَرْض يَفْضِيُّه
وَيَدُرُ أَطْرَافِ الْبَلَاد سَواجِلَه(30)

(27) ديوان ابن المعتز: 1: 394 والمنصف: 437
(28) البيت منسوب للمريعي في المنصف: 437.
(30) ديوان مسلم بن الوليد: 146 والمنصف: 438.
30- شادوا مناقبهم وشدد مناقب
وجدت مناقبهم بِهِنّ مَشَالا

يشبه قول أبي تمام:

مَسَاعٍ لأقوامٍ مَتى تقرنوا بها
محاسن أقوام تكن كالمعايب(31)

ويشبه قول أبي المعتصم:

إذا نحن عددنا محاسنه اغتدى
محاسن أهل الأرض فيها مساويا(32)

31- تدبير ذي حنك يفَكُّ في غدٍ
وهجوم غرٍّ لا يخاف عواقبا

يشبه قول البهتري:

ملك له في كل يوم كريه
إقدام غر واعتزاز مجرب(33)

32- خذ من ثنائي عليك ما أسطعه
لا تلزمني في الثناء الواجبا

ابن الحاجب:

جَهَدت فلَم أبلغ صفائك كله
فقلت على مقدار ما احتمل الوسع(34)

(31) ديوان أبي تمام 1: 191 والمنصف: 439.
(32) المنصف: 439.
(33) ديوان البهتري 1: 81 والمنصف: 439.
(34) المنصف: 440.
33 - أبا سعيد جنب الختاما
فراب رائي خطأ صوابا
ينظر إلى قول منصور النمري:
لعل له عذراً وأنت تلوم
وكم لائم قد لام وهو مليم
والمليم الذي أتي ما يلام عليه قال الله تعالى: فالتقمه الحوت وهو مليم.

34 - لا يجيل الطرف إلا حمدته
جهدها الأيدي وذمته الرقب
معنى هذا البيت أنه يصل أولياء وقاصديه فيملا أبيهم معرفة
ويقتل أعداءه فتذمه رقابهم والبيت ينظر إلى قول العكوك:
وما مددت مدى طرف إلى أحد:
لا قضيت بأزرق وآجال

وبهذا البيت احتاج المامون في قتل العكوك فإنه لما سمع قوله
في أبي دلف:
كل ما في الأرض من عرب
بين باديه ومحتضره
مستعار من مكرومة
يكتسيها يوم مفتنهو
أمر بطلبه وكتب لجميع الأقضار بحبسه فحبس وعجل بالشامات وأتي به.

إليه فقال له كيف نجعلنا نكتسب المكارم من مدرحك ولكن لم استحلَّ دمك بهذا وإنما استحلَّه بكولك وما مددت مدى طرف البيت. أخرجوا لسانه من قفاه فقتل سنة ثلاث عشر ومائتين.

35- طعن الفرسان في الأحداث شِنَّراً
وعجُج الحرب للشمس نِقاَبٌ

يشبه قول الأفوه الأدي:

تخلى الجماجم والأكف سيفنا
ورماحنا بالطعن تنظَّم الكلا

36- لما نسبت فكنت ابنٌ لغير أبي
ثم اختصَّرت فلم ترجع إلى أدب

ألم فيه بقول الأول:

ليس له ما خلأ اسمه نسب
كأنه آدم أبو البَشَّر(37)

37- ضروب الناس عشاق ضروباً
فأعذرهم أشقهم حبيباً

هذا البيت ينظر إلى قول سعيد ابن حميد:

قد عشَّقت الذي إذا اعتذَر العا
شَق فيه فعذرُه مقبولٌ
38 - وما سكنى سوى قتلى الأعادي
في زورة نشفى القلوب

يشبه قول طاهر بن الحسين:

أطيب الطيات قتلى الأعادي
واختيالي على متون الجيد

39 - شديد الخنزوانية لا يبالي
CASAB إذا تنمر أو أصيب

البيت من قول سعد بن ناشب المازني:

إذا هم لم يردن عزيمة همهم
ولم يأت ما يأتي من الأمر هائبا(38)

وكانه أيضاً من قول عباس بن مرادس:

أكبر على الكتيبة لا أبالي
احتفى كان فيها أم سواها(39)

40 - كان الفجر جب مستشار
يراعي من دجنبه رقيبا

البيت ينظر إلى قول الأول:

وقد لاح للساري سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيب

وقول ابن المعتز:

__________________________
(38) الحماسة: 73 وهو برواية أخرى مسوانا إلى هلال بن الرب في المنصف: 608
(39) المنصف: 608.

245
في ليلة ما راعني فيها سووى
شبه النجوم كأعين الرقباء

وزاد عليهما أبو الطيب ذكر الحب فنجاء بيته أكمل.

41- أقلب في إجفاني كأتي
أعد به على الدهر الذهنبا

هذا يساوي قول بعضهم:

أنا أحصي لك النجوم ولكن
لذنوب الزمان لست بمحصي

42- إلى ذي شيمة سغفت فؤادي
فلولا لقلت بها النسيبا

ينظر إلى قول أبي تمام:

طاب في المديح والتذ حتي
فائق وصطف الديار والتشيба

43- قسا فالأسد تفرع من يديه
ورق فنحن نفرع أن يذرية

وقله ورق إلى آخره ينظر إلى قول أبي تمام:

فقصرنا دونك الأبصر
خوفاً أن تذئبا

(40) ديوان ابن المعتر 2: 13 والمنصف: 608.
(41) لم يرد في المنصف: 609.
(42) ديوان أبي تمام 1: 161. ولم يرد في المنصف.
(43) ديوان أبي تمام ولم يرد في المنصف.
44- أشد من الريح الهوج ببطشًا وأسرع في الندى منه هبوتاً

ينظر إلى قول أبي تمام:

رئاح كريح العتبر المحض في الندى
ولكنها يوم اللقاء زعازعٌ

وقول ابن أبي زراعة:

نَسيم الصبا للطالب العرب ريحه
وللكشحين الخزير نكباء عاصف

45- إذا نيلت كنائنه استبناً
بانصلها لأنصلها ندوبًا

ينظر إلى قول الآخر:

نجل يبعت السهام بتيتها
فله من تحت الندوب ندوبٍ

46- وما ريح الرياش لها ولكن
كُساها دفنهم في الترب طيًا

هذا البيت ينظر إلى قول المسبب:

وما المسكن ترب مقاماتهم
وترب قبورهم أطيبًا

(44) ديوان أبي تمام ولم يرد في المنصف.
(45) لم يرد في المنصف.
(46) المنصف: 609.

247
47. فلا زالت ديارك مشرقت.
ولا دانيت يا شمس الغرب
عجيز ينظر إلى قول ابن الرومي:
فيا بدرًا ينير بلا فصول
ويا شمسا تضيء بلا غروب
48. لاصبح آمنا فيك الزغاب
كما أنا آمن فيك العيوبا

هذا البيت ينظر إلى قول بعضهم:

آسالم قد سلمت من العيوب
ألا فأسلم كذاك من الخطوب
49. الطيب مما غنيت عنه
كفى بقرير الأمير طيبا

يقرب من قول ابن الرومي:

فتى لا يعد الطيب ضربة لأزه
ولكنه من نفسه متسطر
50. إذا نظر الباز في ظهريه
كاسته شعاعاً على المنكب

ينظر إلى قول أبي نواس:

يقلب طرفنا طحور القذى
يضيء . . . . . . خده

(47) البيت لابن الرومي. الديوان 1: 224.
51 - أعيدوا صباحي فِهْرَ عند الكواكب
وردُوا رُفَادِي فِهْرَ لحظ الجبَائِب

هذا البيت بجملته في عجز بيت أبي تمام:
قِرَى دارهم مني الدموع السوافكُ
وإن عاد صبيحي بعدهم وهو حالكُ

52 - فإن نهاري ليلةً مدلهمة
على مُقلةٍ من فقدكم في غياهب

البيت ينظر إلى قول أبي تمام:
عَادْتُ لَهُ أيامه مسؤولة
حتى تَوَقّم أنهنَ ليالي

وإنما أخذه أبو تمام من قول الآخر:
صبَبت عليّ مصائب لأني أنها
صبَبت على الأيام عُذن لياليًا

53 - تخوّفي دون الذي أمرت به
وألا تدري أن العار شر العواقب

ألم فيه بقول الفائد:
وموت لا يكون علي عاراً
أحب إلي من دعاق

54 - إلي لعمري فصُد كل عجيبةٍ
كأنى عجيب في عيون العجائب

ينظر إلى قول أبي تمام:
على أنها الأيام قد صرَّن كلهَا
عجائب حتي ليس فيها عجب
55 - فقَد غيَب الشهاد عن كل موطن
ورد إلى أوطانه كل غائب

هذا مليح، فأما مسلم فإنه يقول:
نفست بِهِ الأمال أخلس العنا
واسترجعت نزاعها الأمصار
56 - رمَوا بنواحيها القبیس فجبتها
دوامي اليوادي سالمات الجوامب

ينظر إلى قول أبي نتَّام:
مسلمة في الحرب أكمله خلينا
ودمية لبأنها وصدورها
57 - أولئك أخلى من حياة معاكُ
وأكثر ذكرًا من دهور الشباب

ينظر إلى قول بعضهم:
ذكرتك ذكرية جذبت ضلوعي
إليك كأنها ذكرى تصمالي
58 - وحق له أن يسبق الناس جالساً
ويدرك ما لم يدركوا غير طالب

ينظر إلى قول ابن الرومي:
تطلأل أملاك وقصاصر جهدهم
وتألم الثرى عفوه وهو جالس

(48) ديوان ابن الرومي: 3: 1224.
وقال آخر:
أُترِجِحُ أَنَّ تُدَانِي سَعَيْ قِومٍ
وَهُمْ سَبَقُوا أَبَالَكَ وَهُمْ فُعُودُ

وقال ابن الحاجب:
ما نَالٌ مِن شَرِّهِ رَئِيسٍ قَائِمًا
ما نَالُهُ بِنْدَى يَديهِ فَأَعَاذًا

59- ويَحْذَرُ عَرَائِبُ الْمُلَكَ وَإِنْهَا
لِيْنُ قَدْمَيْهِ فِي أَجْلِ المَرَاتِبِ

هذَا مِنْ قَوْلٍ كَثِيرٍ:
وَسَعَى إِلَىْ بَعْيٍ عَرْءَةٍ نَسْوَةٌ
جَعَلَ الْأَلَهَ خَدُوهُنَّ بَعَالَهَا

60- يَدُ لِلْزَّمَانِ الْجَمِيعُ بِينِي وَبِسْنَة
لِتَفْرِيقِ بِينِي وَبِينَ الْنَوَائِبِ

ينظر إلى قول أبي تمام:

إِذَا العَيْشُ لَا قُطُّ بِي أَبَا دُلْفٍ فَقُدَّ
تَقْطُعَ مَا بِني وَبِينَ الْنَوَائِبِ

61- يُرِي أَنَّ ما مَا بَانَ مَنْكَ لضَارِبٍ
بِأَقْتَلُ مَمَا بَانَ مَنْكَ لحَائِبٍ

ينظر إلى قول أبي تمام:

فَنِلَّ أَبَا يُرِي أَنَّ الفَرِيقَةَ مَقْتُلٍ
وَلَكِنْ يُرِي أَنَّ العَيْوَبَ المُقَاتِلٍ

62- أَلَا أَيْبَهَا الْمَلَكُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ
تَعْرِفْ فَهَذَا فَعَلْهُ بالْكِتَابِ
يشبه قول بعضهم:

فعلت بمالك فيه كفلك مثلما
فعلت سيوفك في الطلا والإلهام
63 حمالة ذا الحسام على حسام
ووقعذا السحاب على سحاب

صدر البيت من قول ابن الرومي:

سيف ترداه سيف غير ذي طبع
كأنما الرمح يمشي في حمائله
وعجزه من قول البجيري:

سقى جوهر جود السحاب ومن رأى
حيا ماطر تسيبه ديمة ماطر
64 وما ينفك منك الدهر رطبًا
ولا ينفك غيثك في انسكاب

هذا ينظر إلى قول العكر:

وحيد يجد في كل حين
ولقطر الندى وقت وحين
65 فديناك أهدي الناس سهما إلى قلبي
واقتلهم للدارعين بلا حرب

ينظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة:

بنفسي من أشتكى حبي
ومن إن شكا الحب لم يكذب

252
وَمَنْ لا سَلاَحَ له يَنْتَقْيَ
إِنْ هُوَ قَاتِلٌ لَمْ يَغْلِبَ

66 - تَفَرَّدَ بالآحادي، فِي أَهْلِهِ الْهُوَى
فَايَنَّ جَمِيلُ الخَلْقِ مَسْتَحْسَنُ الْكَذِبِ

ينظر إلى قول مسلم:

تَكَذِّبُ في الْوَعْيِ كُلْما وعَدَتْ
حتى صرَّتْ أَشْهِي الكَذِبَا

67 - وَإِنْ لمْ يَمْنِعَ المَقَاطِلَ فِي الْوَعْيِ
وَإِنْ كَتَبْ مَبَذِّلُ المَقَاطِلِ فِي الْحَبِّ

ينظر إلى قول أبي دُلْفُ:

إِنَّا بِاسْتِيَادِنَا نَفْعُ أَكَابِرْنَا
فَهُوَاءَ وَتَقْلُبُ الْوُلْدَانُ بِالْمُقَلِّبِ (49)

68 - لَا يَحْزَنُ اللهُ الْأَمْيَرُ فَإِنَّنَّي
سَلَآخَدُ مِنْ حَالَاتِهِ بَنْصِيِبَ

هَذَا الْبيتُ يَنْتَرُ إلى قول أبي نَمَّام بِلْ مَنِهِ:

وَسَأَلَّتْ عَنْ حَالِي فَسَلَّ عن حَالِهِ
دُونِي فَحَالِي قَطْعَةٍ مِّنْ حَالِهِ

69 - يَعِزُّ عَلَيْهِ أن يَخْلُ بَعَادَةٍ
وَتَدْعُو لأَمْرٍ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيب

ينظر إلى قول الديك في جارِهِ:

(49) المنصف: 534.
لا تُجيبين مَن يدعوك باسمك يا مَن كان عزر عليها أن أناشيدها

وقال متمم بن نمرة:

وإني متى ما أدع باسمك لا تجب
و كنت خِيرًا أن تُجيب وتسمعًا
70 - كنى بصفاء الودٍ يقاأ لمله
وبالقرب منهُ مفيقًا للبيب

ينظر إلى قول ابن دريد:

حرّ تعبّناء اصطناعك عندك
ولشر أحوال الرجال عبده
71 - علينا للك الإسعاد إن كان نافعًا
بشّق قلوب لا بشّق جيوب

أخذه من قول أبي نَمَم:

بشّق جيوبًا من رجال لو استطا
عوا لشقوا ما وراء الجيوب

وقال الوزاء:

ليس بالحزن أن تشقّ جيوب
إنما الحزن أن تشق الصدور

وأنشد ابن الرومي لنفسه:

ومن دون ما ألقاه من لوعة الهوى
تشقّ جيوب بَلّ تشق قلوب١

254
72 - إذا استقبلت نفس الكريم مصابة
بُحُبٍّ فأنت فاستبدلا ببطيب

ينظر إلى قول عبد الصمد بن المعنيل:

dلدت نفسي لروحات الردى
وِفِجماتُ البِين حتَّى ما تروع (9)

ويشبه قوله:

وِها أنا ما أبالي بالرزابا
لأني ما انفتعت بأن أبالي

فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

73 - فَّنْتِيَالكُّ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّهُمَا كَرِبَا

سلك أبو الطيب مسلك أبي نواس:

ترى حينما كنت من البيت مشرقًا
وما لم تكون فيه من البيت مغربًا

74 - نَزِلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ نَمْشِيْ كَرَامَةً
لمَّا بَانَّ عَنْهُ أَن نلْمَ بِهِ زَكْبَا

ينظر إلى قول أبي تمام:

دار أجل الهوى عن أن لام بها
في الرَّكِب إلا وَذَمَّيْ بِنَ مَنْتَيْجَهَا

75 - ومن صحب الدنيا طويلة تقلَّبت
على عينه حتى يرى صدقها كلذبا

كقول الحكيم: ترداد حركات الملك تحلل الكائنات عن حقيقتها.
67 وخلِّي العِذارَى والبَطارِق والقُرى
وشَعَثِ النَّصارى والقُرابين والصُّلباء

ينظر إلى قول أبي تمام:

أَحَدِئ قَراْبَتِه صَرْف الرَّدِي ومَيّى
يبحث أَنْجى مطَابةٌ عَلَى الْهَرَبِ
77 وِيختَلِفُ الرَّزقانِ والفَعْلُ واحِدٌ
إِلَى أنْ تَرَى إِحْسَانُ هَذَا لَذا ذِيَبَا

هذا من قول ابن دريد:

أَرَى السَّبَبُ المدَنِي السَّعِيدُ إِلَى الْغَنِعِ
بِهِ يَمْنِعُ السِّرْبُ الشَّقِي وَيَحْرُمُ
78 تَصَدَّى الْرِّيْحُ الْهَوْجُ عَنْهَا مَخافَةٌ
وتَفْزِعُ فِيهَا الطُّرُبُ أَن تُلْقَطُ الْحَبِيّاء

ينظر إلى قول الآخر:

وَكَانَتْ لا يُطَيرُ الطِّيْرُ فِيهَا
ولَا يَسِيرُ بِهَا لِلْجَنِّ سَارٍ
79 لَآمِر أَعْدُدْهَا الخَلَافَةُ لِلْمُدِّي
وَسْمَتَهُ دُونِ الْعَالِمِ الصَّارِمِ العَضْبَا

يجابة قول مسلم:

حَاطَ الخَلَافَةِ سَيْفٌ مِنْ بَنِى مُسَرِّر
أَقَامَ قَائِمَهُ مِنْ كَانَ ذَه مِيلٍ
80 ولكن نفاها عنه غير كريمةٌ
كَرِيمُ الْثَّانِي مَا سَبَّ قَتٍّ وَلَا سَبَا
ماخوذ [ مما أنشده أبو تمام في حماسه:]

يا أيها المَنْمِيِّ أن يكون فتى
مَثِيل ابن زيدٍ لَقَد خَلَى لك السَّبِيل
أعَدُّ ثلاثَ خلالُ قُد عُرفن به
هل سَبَّ من أحدٍ أو سَبَّ أو بِخَلَا

وَفِيما أنشده أبو تمام زيادة وهي نفي البخل عن ممدوحه.

81- وإن كان ذني كل ذنب فإنه
مِحا اللَّذْنِب كل المعرو من جاء ثابا

من قول الأول:

إذا اعتذر الجاني مِحا العذور ذنبه
وكلٌ امرئٌ لا يقبل العذور ذنبه
82- وكَيْفَ تسنوك الشكوى بداءٍ
وأنت المستغاث لما ينوب

ينظر إلى قول بعضهم:

وأنت طبيب للخطوب فداوها
إذا حدثت أدواها بدوائها

وقد أخذ منه أيضاً أبو تمام:

إذا مرضت قلوبهم شفاها
نطاسي بدائهم طبيبٍ

وقد أخذ منه أيضاً أبو تمام:
كان داء الإشراك سيفُكٌ وادٌ
نعادت شكاً الهُدى فكنت طبيباً

84 - فقرْرَّطها الأعْنَة راجعاتٌ
فإنا بعيدَ ما طبت قريبٌ

من قول بعضهم:

ترى بعيد الشيء كالقرب
84 - سيف الدولة الوصاية نسيم
جفوني تحت شمس ما تغيبُ

عجزه من قول البهنري:

كالقدر إلا أنها لا تجتلي
كالشمس إلا أنها لا تغرب

85 - وللحَسَاد عذراً أن يشحِّوا
على نظري إليه وأن يذوبوا

ينظر إلى قول بعضهم:

واذكر حسواً فيما قد حكاك لنا
إن العلا حسن في مثلها الحسد

86 - فإني قد ولست إلى مكان
عليه تحسد الحد القلوب

من قول بعض الأعراب:

أنفاس من ناجيُّه مقدار لفظة
ويعدُّ نفسي إن نأيت حينها

258
وإن وجوهاً تصطفيها بنظرة
إليك لمحسود عليك عينها
87 وما تركوك معصية ولكن
يُعافُ الورد والمُروت الشراب

ينظر إلى قول القائل:

كَهْجَرٍ الحائمات الورد لمكا
رأته أن المنية في الورد
tفيض نفسهم غمها وتهزى
جماماً فهي تنظر من بعيد
88 فقدائًل عن حريمهم وفرحوا
ندى كفيك والنسب القراب

ينظر إلى قول منصور النمري:

عطفت بأحلام الملوك وناشدتُ
لهم رحم ما زالت منها ترَمَم
89 تُحَفِّكَف عنهم صم العوالي
وقذ شرِفت بِطمهم الشعاب

ينظر إلى قول بعضهم:

ردت القنا ظمان عنهم وأعبيدُ
على جفيها بيض السيف البواتير
90 وليس مصيرهم إليك شيناً
ولأ في صونهم دياب عاب

ينظر إلى قول النابغة الذياني:

259
قذ عيرتني بنو ذيئان خشيته
ولهل علي بأن أخشاه من عار
91 - وكيف يتم باستك في أناس
تضيبه في ظلمك المصاب
من قول منصور النمري في الرشيد وبني علي:
ما بطمكت كفاك منهم بمذنب
بطمكت بيه إلا وقبكت يالٍ
92 - وإنهم عبيدك حيث كانوا
إذا تدعو لحادثة أجابوا

ينظر إلى قول ابن أبي عبيبة:
ومن قحطان كل أخي حفاظ
إذا يدعى لحادثة أجابا
93 - وجروم جرته سفهاء قوم
وحلم يغمر جارمه العذاب

ينظر إلى قول امرئ القيس:
وقاههم جدهم بني أبيهم
وبالأشقين ما كان العذاب

ومثله لغيره:
رأيت الحرب يجنيها رجال
ويصلى حرها قوم براء
94 - فمساهم ونسطهم حرب
وصبحهم ونسطهم تراب
ينظر إلى قول أبي تمام:

راحوا مَلْوَکَا ضَرَابُکم
يوم الوجه خولاً للعدّ العبد الخول
95 - ومن في كفه منهم قناة
كمنان في كفه منهم خضابٌ

من قول زهير بن أبي سلمى:

وما أدنى وسُف إخال أدري
أقومَ أَلّ حَصنَ أم نساءٌ

ومنه أخذ أيضاً مسلم قوله:

بوجوه لا يعرف العتق فيها
وصدر فيها قلوب النساء
96 - أجل قذريك أن تسمي مؤونة
ومن يصفك فقد سماك للعرب

ينظر إلى قول ابن الرومي:

يا من إذا ناديت به صفاته
 دون اسمه بالغت في تعرفه
97 - طوِي الجزيرة حتى جاءني خبر
 فزعتك فيه بآمالي إلى الكذب

ينظر إلى قول مسلم:

وأخذ السمع الذي وقد أتى
 خبر ألم بهصاحدي لا يدْمَعُ
98 - ومن مُضَت غير موروث خلافُها
وإن مُضَت يدها موروثة الشَّبَب

ينظر إلى قول ابن الرومي:

ومن كُرت في ملِّيه شرَكَاؤه
غَاذا في معيانِه قليلٌ المعارِك

99 - يعلُمُن حين تُحيَا حسن مَبِيبُها
وليس يعلم إِلَّا اللهُ بِالشَّبَب

ينظر إلى قول الشاعر:

لا والله يسجد الأئمُ لِه
ما لي بما دونُ شوبها خَبَرُ
ولا بفيها ولا هممت به
ما كان إِلا الحديث والنظر

100 - وأكرم الناس لا مستثنياً أحداً
من الكرام سيوى آبائك النجِب

من قول النابغة:

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه
ولا أحاشي من الأقوم من أحد

101 - وعاد في طلب المتروك تاركه
إِننا لنغفلِ والأيام في طلب

 قوله: إنا لنغفل، ينظر إلى قول ديك الجن:

نغفل والأيام لا تغفل
وما لنا من زمن موئل
لا يعن عدواً أنت قاهره
فإنهن يصدن الصقر بالخرب

قال ابن الرومي:

ما انفك تدبهر يجري على مهال
حتى غدا الصقر منصوراً على الخرب

وتطوعاً له وابتهاجًا يه
إذن قصر الفعل عمَّا وجب

ينظر إلى قول ابن المعتز:

يقصر جهدي عن شكرى
وست أقصر عن حبي

103 - أورهم وسواحل الليل يشع لى
وانثى وبيض الصبيح يغري بي

هذا البيت صحيح المبنى مليح المعنى ولكنه موجود في شعر

عبد الله بن المعتز:

لا تلق إلا بليل من تواصلته
فالشم نمامة والليل قواد

104 - أفيدى ظباء فلا تما عرفنا بها
مضغ الكلام ولا ضبن الحواجهب

عاب أبو الطيب مضغ الكلام وغيره يستحسن ويدمج به النساء لأنه
منهن أوقع في النفس من الفضاعة والإعراب، وقد قال أسماء بن خارة:

منطق عاقل وتلحن أحيانا
نا وخير الكلام ما كان لحنا

263
106 - ومن هوى كل من ليست مموهة
تركب لون مشيبي غير مخصوب

هذا ينظر إلى قول ابن الرومي:
كذب الغواي في سواد عذاري
وكلبه في ودهن كذاك
107 - لبت الحوادث باعتني الذي أخذت
مني بحلمي الذي أعطت وتجربتي

ينظر إلى قول أبي تمام:
حلمتي في زعيمهم وأراني
قبل هذا التحليمل كنت خليما
108 - فما الحداثة من حلم بمانعة
قد يوجد الجمل في الشبان والشيب

هذا البيت يساوي قول منصور النمري:
وما قصِرت بالرأي منه حداثة
ولا منعته أن يقال خليم

و قال آخر:
إن الحداثة لا تقصر
بالفتي المرزوق ذهنا
لكن تزكي ذهنا
فينفقم أكبر منه سنا
109 - مجريباً فهماً من قبل تجربة
مهدباً كماً من قبل تهديب
ينظر إلى قول ابن الرومي:

حازم الرأي ليس عن طول حزم
ولبيب وليس عن تُلَبَّيبٍ
110 - كان كل سؤال في مسابقه
قميص يوسف في أفئان يعقوب

هذا البيت مأخوذ من قول الواثلي:

كان كل سؤال في مسابقه
قميص يوسف في أفئان والياء
111 - إذا غزته أعادته بمسألة
فقد غزته جيش غير مغلوب

ينظر إلى قول أبي تمام:

إذا ما أغاروا فاحتوا مال عشرين
أغرار عليه فاحتوره الصنائع
112 - أضرت شجاعته أقصى كتابه
على الحمام فما موت بمرهوب

ينظر إلى قول العكوك:

فتي علَّم الإعطاء كل مبخل
وقدام يوم البروع كل جبان
113 - لى يروع بذي جيش يجذلله
ذا مثله في أحم النقع غريب

ينظر إلى قول أبي تمام:

265
غاديهم بالمشرقين بوقعة
صدعت صواعقها جبال الروم
114 - يهوي بمنجرد ليست مذاهبهم
للبس ثوب ومأكل ومشروب
من قول امرئ القيس:
ولو أنها أسعى لأدنى معيشة
كماي ولم أطلبّ قليل من المال
ولكنها أسعى لمجذب مؤثّل
وقد يدرك المجذب المؤثّل أمثالي
115 - حتى وصلت إلى نفس مجذبة
تلقى النفوس بفضل غير محجوب
ينظر إلى قول أبي تمام:
من البيض محجوب عن السوء والخنا
ولا تحجب الأواء من كفه الحجب
116 - وكيف أكرر يا كافور نعمتها
وقد بلغت بي يا كل مطلوب
ماخذ من قول أبي نواس:
وإذا المطي بنا بلغن محجة
فظهرهن على الرجال حرام
قريتنا من خير من وطيء الحصى
فلها علينا حزمة وذمّام

266
117- أنت الحبيب ولكنني أعود به من أن يكون مجيباً غير محبوب

ينظر إلى قول أبي تمام:

كم من عدو قال لي متمسلاً:

كم من مود ليس بالمؤدودٍ(50)

وقال غيره:

ومن الضيهم في هوى البيض عندي
أن يعود الإنسان من لا يؤده

118- أغلب فيك الشوق والشوق أغلب
وعجب من ذا الوصل والهجر أعجب

صدر هذا البيت من قول الخيزري:

أغلب فيك الشوق والشوق غالي
وأكمم ما بي عن خليل وصاحب

119- ويبوم كليل العاشقين كمنته
اراقب فيه الشمس أيان تقرب

من قول ابن المعترز:

أدهم مصقول سود الجسم
قد سمدت جبهته بنجم

120- وأخلاك كافور إذا شئت مدحه
إلا لم أشا تمي علي وأكتبُ
ينظر إلى قول ابن الرومي:

فلقد وجدت لنمن مدحت مثيراً
من مثلها يفنى المديح وينسيه
فجميع ما حليته من منطقه
حسن فوين أفعاله مستسلم

121 - إذا ترك الإنسان أهلاً وراءه
ويمل كافوراً فما يغرب

ينظر إلى قول البهتري:

ومثل نداءك أهلنتي خليلي
وأكسبني سلوي عن بلادي

122 - تزيد عطايته على الغيث كثرة
وتلب أمواه السحاب فتنضب

ينظر إلى قول أبي تمام:

ثم انصرفت ولم تثبت وقد ليست
سماة عذلك فيهم تمحرر الدلما

123 - أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم
وأين من المشتاقين عناقه مغرب

عجزه من قول الحارث:

تقطعت الأرحام إلا أفلها
وطارت بذلك الرود عنقها مغرب

124 - فإن لم يكن إلا أبو المسكي أوهم
فإنك أحل في فؤادي وأعذب

268
هذا البيت من قول البختري:

اًتخُذُ العراقَ هوى وداراً
ومن أهواه في أرض الشامِ
فلولا عزة الملك المرجى
لائرته المسر على المقام

ـ 125ـ وكل الريء يولي الجميل محببٌ
وكل مكان يتبئ العز طيبٌ

صدر هذا البيت من قول ابن أبي القين:

ومحببين إلى القلوب سماحة
إن الكرم إلى القلوب محببٌ

ـ 126ـ وأظليم أهل اظللم من بات حاسداً
لم بات في نعمائه يقلبُ

هذا البيت ينظر إلى قول ابن الرومي:

من بث في نعمائه أقلبُ

ـ 127ـ وكت له ليث العرين لشيٍّ
ومالك إلا الهندواني مخلب

عجز ينظر إلى قول البختري:

كاليث إلا أن هذا ضاربٌ
بمنهِد ذكر وذاك بمخالبٍ

ـ 128ـ لقيت القنا عنه بنفس كريمٌ
إلى الموار في الهيجان من العار تهربُ
ينظر إلى قول المكَّيُّ:
فَتَيِّ يَتِقُّ مَأثْرَ ما يَتِقُّ الفَتَى
ويَغْشَى الْمَنَايْاَ والْرَمَاحُ دَوَامِي
وَقَدْ يَتَرُكُّ النَّفْسِ الَّتِي لا تَهَابُهُ
وَيَخْتَصِرُ النَّفْسُ الَّتِي تَهَيْبُ

ينظر إلى ما أنشده معاوية في بعض بني:
كَانَ الْجِبَانُ يُرِى أَنْهُ
يَدَافِعُ عَنْهُ الْفَرَّارُ الأَجْلُ
فَقَدُ تَنْدَرَكَ الْحَادِثَاتُ الجِبَانُ
وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشَّجَاعُ الْبَطُّلُ
وَيَعْنِيْكَ عُمَّا يَنْسَبُ النَّاسُ أَنْهُ
إِلَيْكَ تَنَاهِي الْمَكْرَمَةَ وَتَنْسُبُ

هذَا مِنْ قُولٍ عَامِرٍ بِنَ الْطَّفِيلِ:
فَمَا سَوْدَتْنِي عَابِرٌ عَنْ وَرَائِيَةٍ
أَبِي اللَّهُ أَن أَسْمَوْ بَاِمْ وَلَا أَبِ
وَغَرْبُ حَتَّى لِيَـسَ لِلنَّشرِقِ مَشْرَقُ
وَشَرْقُ حَتَّى لَيَـسَ لِلنَّغْرِبِ مَغْرِبُ

يَنْتَشِرُ لِقُولِ أَبِي تَمَّامُ:
وَغَرْبُ حَتَّى لَمْ أَجِدَ ذَكْرٌ مَغْرِبٍ
وَشَرْقُ حَتَّى قَدْ نَسْيَتُ الْمَغَارِبَا
إِذَا قَلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مَنْ وُصُولِهِ
جَدارٌ مَعْلَى أو جَبَاهُ مُسْتَنْبُ
ينظر إلى قول ابن الجهم:

فسر مسير الشمس في كل بلدة
وهب هبوب الرياح في البر والبحر
133- ليالي عند البيض فرّواي فتنة
وفخر وذاك الفخر عندي عاب

هذا معكوس قول بعضهم:

أصبحت شيخاً له صوت وأبهة
يدعوني البيض عمّاً تارة وأبا
والتق دعوة إجلال وتكرمة
وددت أي معطاض بها أفذا

134- جَلَّا اللَّونُ عَن لونٍ هدى كل مسلك
كما أنجبا عن ضوء النهار ضباب

ينظر إلى قول الفرزدق:

والشيب يئض في الشيب كأنه
ليل يصبح بجانبيه نهار
135- وإني لنجم تهتدي صحتي بيد
إذا حال من دون النجوم سحاب

ينظر إلى قول ابن دريد:

لم يهدي النجوم ولكن
سيّر نجم الهدى مقتدي
136- غني عن الأوطان لا يستفزني
إلى بلد سافرت عنه ياب
ينظر إلى قول علي بن الجهم:
لا يمنعك خفض العيش تلبه
نزوع نفس إهل وأوطان
تلقي بكل بلاد إن حلته بها
أهلًا باهل وقيران بقيران

137- تركنا لأطراف القنا كل شهوة
فلس لنا إلا بهن لعاب

ينظر إلى قول الأول في عامر ابن الطفي:
ولاعب أطراف الأستة عابر
فصاز له حظ الكتيبة أجمع

138- أعر مكان في الدنا سرح سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

ينظر إلى قول الجاحظ:
نعم المحدث والجليس كتاب
تلهير بيه إن خانك الأجاب
لا يفضين سرا إذا حدثته
ويدعا منه حكمة وضواب

ولا ابن العتر:
جعلت كتبي أنيسي لاني
لست أرضى إلا بكل نفس

139- تجاوز قدر المدح حتى كأنه
باحسن ما يثبت عليه يعاب
ينظر إلى قول البحيري:

جل عن مذهب المديح فقد كاذ يصير المديح فيه هجاء

وقال الخياززي:

من كان مادح من كانت فضائله
تقابل المدح فضلًا فهو هاجيه
140 - وأكثر ما تلقى أبا المسكي بذله
إذا لم تصن إلا الحديد ثياب

ينظر إلى قول أبي المعتصم:

يصان إلا عن ظبا
البيض وأطراف المقنن
وصونها مثبت
للسوء في يوم الْوَقِي
141 - أبا أسدا في جسده روح ضيغم
وكم أسد أرواحهم كلاب

ماخذ من قول أبي تمام:

أسرى بنو الإسلام فيه وأذَّجوا
بقلوب أسدا في صدور رجل
142 - لنا عند هذا الدُّهْر حق بلطه
وقد قل إعتاب وطال عتاب

من قول أبي العتاهية:
إذا استعتِب المَرءُ الحوادث لم يَجَد
لَم يَشْتَقِعَ عَنْدَ الحوادث إِغْتِيابًا

وأَصْلُ هذا من قول أبي ذُؤب:
أَيَنَّ الْمَنْوَى وَرِيْهَا تَتَوَجَّعُ
والْدَهْرُ لَيْسَ بِمَعْتَبٍّ مِنْ يَجْزَعُ
144 - ـ وَلَا مَلَكَ إِلَّا أَنتُ وَالْمَلَكُ فَضْلُهُ
كَآَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قُرْابٍ

يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مَسْلِمَ:
وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلٌ يَوْمٌ وَدَاءٍ
لُكَا لِعَمِيدِ يَوْمٌ الرَّوْعُ فَأَرَقَّهُ النَّصُلُ
145 - ـ وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيَّكْ فَطَانَةٌ
سَكُوتي بِيَانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابٌ

يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الْعَرْزِمِي:
وَإِذَا طَلِبَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةٍ
فَلْقَيْهِ يُكْفِيَكَ وَالْتَسْلِيمُ

وَقُولُ الْآخِرُ:
أَرْحُوُ بِتَسْلِيمٍ عَلِيكَ وَاغْتَنِي
وَحْسُبَ كَبْالْتَسْلِيمِ مَيْنَ تَقْضِيَ
146 - ـ وَإِنَّ مَدِيْعٌ النَّاسِ حقٌّ وبَاطِلٌ
وَمَدَحُكَّ حَقٌّ لَقِ بَيْنَ فِيهِ كَذَابُ

هَذَا الْبَيْتُ يَشْبَهُ قَوْلُ أَبِي الْقَينَ: 274
إذا قال فيهم مأذٍ قال صادقًا
وما كُلُّ ذي مَدْحٍ، إذا قال صادقًا

وقال ابن دريد:
إذا مأذٍ أثني عليك فإنّه
يقول ولو أرّبى بما يقولُ
147- إذا نلت منك الود، فالكلُّ هُمنُ
وكل الذي فوق التراب ترابُ

من قول الأول:
لكل اجتماع من خليلين فرقةٌ
وكل الذي فوق التراب ترابٌ
148- وما كنت لولا أنت إلا مهاجرًا
له كل يوم بلدة وصحابٌ

من قول أبي البصير:
يا فتح دعوةٍ بايعٍ أوطانُ
بذراك لولا أنت لم تغرّب
149- ولكنك الدنيا إلى حبيبٍه
فما عَنّك لي إلا عليك ذهابُ

يشبه قول القائل:
روحى وقلي في بديك وإنما
أنت الحياة فإنّ عنك المُهرُبُ
150- لا جِزَءًا بل أنفًا شابُهُ
أن يقدر الدّهر على غُصِبيه
ينظر إلى قول البختري:

ما كنت أحسب أن يحرك يرتقى
بالثوابت ولا جمالك يزام
قذر عدت فيه الحوادث طورها
وتجاوزت أقدارها الآيات
151- وإن من بغداد دار له ليس مقيماً في ذرى عضبيه

ينظر إلى قول الحصان:

وقوفك تحت ظلال السبوف
أقر الخلافة في دارها
152- لا بد للإنسان من ضَجَعِه لا تقلب المضجع عن جنبه

يقرب من قول أبي تمام:

أنوح بن عمرو إن ما حَمّ واقع
وللأجنب المستعليات مصارع

وقال مسلم:

فاصعد إلى الغرفات يومك واقع
بالشَابِيَين لكل جنب مضرع

وقال البختري:

هجدود لم يسل بهم حفي
ولم تقلب لضجعتهم جنوب
153- استغفر الله لشخص مَضَى
كان نداء مِنْتهى ذنِبِهـ.
سلك فيه أبو الطيب مسلك النابغة في قوله:
ولا عيب فيهم غير أن سبوفهم
بِهِن فَلْوَل مِن قِرَاع الكتائب
فجعل عيب السروف من قرائع الكتائب كما جعل أبو الطيب ندى
المتوفاة ذنْبُها.

154- يريد من حب العلي عيشه
ولا يريد العيش من حُبِهـ
ينظر إلى قول الحماني:
لولا الصنائع لم أَحْفَل مِتى هفت
بِاِسْمِي المنون لولا الخرد العينُ
155- يَحْسِبُهُ دافُنُهُ وَحَدُهُ
وَمَجْدُهُ في القبر من ضْحْيِهـ
من قول زياد الأعجم:
إن السُماحة والصموَة ضُمنا
قَبْرا بِمِرَأيِ على الطريق الواضح.
156- ومَن بنوه زين آبائِهـ كَانَهَا النُور على قَضِبهـ
فوله كَانَتهَا النور على قضبه ينظر إلى قول أبي تمام:
لَمَا رأي أَدَبًا في غيّر ذي كرم
قد ضاغَ أو كَرُمًا في غيّر ذي أدب
سما إلى الرتبة العلياء فاجتمعا
في فعله كاجتماع النصور والمُنشوب.
ما كان عندي أن بدر اللَّجى
يوحشه المفقود من شهيب.

ينظر إلى قول أبي تمام:
كان بني نهان يوم وفاته:
نجومُ سمايا خرَّ من بينها البَذَّر.

158 وَلَمَّا أَقُلْتِ مَثَلَك لأَعْنَى بِهِ
سواك يا فرداً بلا مشيقه.

ينظر إلى قول البحثري:
متي كان يُبَيِّى قدره أن يرى له
شبيه مساوٍ أو نظيرُ مشاكيكْ
تقويةات المنصور السعدي
(اختياراته)(*)

- ولَك الزمان من الزمان وقابٌ
- ولَك الجمام من الجمام فداءٌ
- وهبني قلتُ هذا الصبح ليلٌ
- أيُّمَي العالمون عن الضياء
- ضَغَلْت قلبي بلحظٍ عيني
- إليكَ عن حسن ذا الغناء
- إن القتل مضرّجاً بدموعه
- مثل القتل مضراً بدمائِه
- الموتُ أعذر لي والصبر أجملُ بي
- والبرُّ أوعسع والذُّنُب لمن غلِبا
- أرى كُلّا يبيع الحياة سعيٍّا
- خُطِيّاً عليها مستهاماً بها صُبًا
- ضُرُوب الناس عشاق ضروباً
- فأعذرهم أشقهم حبيباً

(*) أثرينا جمع الأبيات التي وقف عليها المنصور في هذه النسخة لما قد يكون لها من دلالة على ذوق المنصور واتجاهه.
- وَفَقَّدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَجَيْبَةُ قَبَلَتْ
- وَأَغَيَا دَوَاءَ الْخَوْرُ كُلُّ طَيِّبٍ
- فَربَ كَبِيبٍ لِيُسْ تَنْدَى جَفْوَانُهُ
- وَرَبَّ كَبِيرٍ اللَّدْمِ مَعَ غَصْرُ كَبِيب
- وَفِي تَعُبٍ مَّن يَحْسَدُ الشَّعْمَ نُورُهَا
- وَيِجْهَدُ أَن يَأْتِي آَهَا بَضَرِب
- وَكَيْفَ عَرْفَنَا رَسُمٌ مِّنْ لَمْ يَدْعُ لنا
- فَؤَادًا يُعَرْفُنَا الرُّسُوْمُ وَلَا لَبَأ
- مَّزِلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ نَمْشِي كَراَمُهَا
- لِمَن بَانَ عَنْهُ أَن يَلْمَ بِهِ رَكْبًا
- أَيْدُي ما أَرَابُك مِّنْ يُرَبُّ
- وَعَلُ تَرْقَى إِلَى الْفَلُّكِ الحَطْرُبُ
- يَهْزُجُ الْجِيْشُ حَولَكَ جَانِيَهَهُ
- كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحِهَا العَقَابُ
- وَمَا جِهَلْتُ أَبَادِيَكَ الْبَوَادِي
- وَلَكِن رَبِّي مَا خِفِي الصُّوَابُ
- وَمَا الْحِيْلُ إِلَّا كَالْصَّدِيقِ قَلِيلٌ
- وإن كَرَتْ فِي عِينٍ مِّن لا يُجْرِبُ
- إِذَا لَمْ تَشَاهَدْ غَيْرَ حَسْنُ شَيْئَهَا
- وأَعْضَائُهَا فَلَحَسَنْ عَنْكَ مَيْبُ
- وَأَعْلَمْ أَهْلَ الْظُّلُمَ مِن بَاتِ حَاسِداً
- لَمْ نَبَاتِ فِي نَعْمَانِهِ يَتْقَلُّ
- أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدَّنَا سَرَجُ سَابِع
- وَخَيْرُ جَليْسٍ فِي الزَّمَانِ كَابُ
أنا في أمّة تداركها الله
غربٌ كصلح في ثمنٍ
- وًمَا ماضٍ الشّباب بمشتردٍ
ولاً يَوْمٌ يَمْرِضٌ بمستفاذٍ
- أزورُهم وسواه الليل يشفع لي
وخّيتي ويضاى الصّح يغري بي
- وَمِن هوى الصّديق في قولٍ وعادٍ
رغبٌ على شعر في الروح مكذوب
- فما الحذاء ممن حلم بمايعل
قد يجذ الجمل في الشبان والشيب
وفي النفس حاجات وليك فتاين
- سكوت بين عِندها وخطاب
إذا يلّت منك الود فالكل هين
وكل الذي فوق التراب ترابٌ
- ومن نكذ الّذين على الّحَرّ أن يرى
忆َوْ لَه ما من صداقة يبد
- بعد قضت الأيام ما بين أهليها
مصائبُ قوّم عند قوّم فوائذٍ
نهبت من الأعماق ما لو حويته
لهبت الّذين بهائك بأنك خالدٌ
- فاتت حماش الملك والله ضاربٌ
وأنت لواء الّذين والله عايده
- ومن يجعل الضرع جالل الصبي باره
تصيده الضرع فيما تصيدها
281
- إذا أنت أكرمت الكريم ملكتته
وإن أنت أكرمت اللَّهيم تمردا
- ووضع الندى في موضع السيف بالملطى
مُضرَّ كوضع السيف في موضع الندى
- فلا يتحلي في المجد مالك كله
فينحل مجده كان بالمال عقده
وديبه تدبير الذي المجد كله
إذا حارب الأعداء والمال زئده
- فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله
ولا مال في الدنيا لمن قل مجدته
وفي الناس من يرضى بمسور عيشه
ومَركبُهُ رجلاً والشوب جلده
- ممن علَّم الأسود المخزني مكرمة
أقوميه البيض أم آباء السُّود
- ولا تحسبن المجد زقناً وقينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
- وتركك في الدنيا دوماً كأنما
تدأول سمع المرء أنملة العشُر
- وممن يتفق الساعات في جمع ماله
مخافاة فقر فألذي فعل الفقر
- فتأباه المروج مسومات
ضوءهم لا هزال ولا شيار
- تركت دخان الرمث في أوطانها
طلباً لقوم يوقدون العُبْرا
- إذا اشتهت دموع في خذوئ
نيبٌ من بكى ممن تباكي
- فقَّلْتُ باللهِ الذي فَلَّقَل الحشام
قَالَ قَالَ عيسى كلهن قلائل
- إذا قيل رفقاء قال للحلم موضوع
وحلم الفتي في غرب موضوع جهل
- ونادى الند بأمثال عن السري
فَسْمَعُوهُ هُمُّوا فَقَدَ هَلْكَ البَخْل
- وفقا يا وقارة عافت النا
س فشارت ركانة في الجبال
- لك يا منازل في القلب منازل
اقتررب أنت ونحن منك أولل
- فانحر فإن الناس فيك ثلاثة
مستعمَوم أو حاسد أو جاهل
- وإذا أنتك ملمثي من ناقص
فهي الشهادة لي باني كلٌّ
- نسيبتك في حياتك من حبيب
نسيبتك في منابك من حبائ
- خذ ما تراه ودغ شيئا سعيدت به
في طلع الشمس ما يغبني عن رحل
- وقد وجدت مكان السِّفع ذا سِفع
فإن وجدت لسانا قائلًا فقل
- لعل عبدي محمود عواقيه
وربما صحت الأجسام بالجبل

283
- وليس يصح في الأذهان في شيء
- إذا احتاج النهار إلى دليل
- ليالي بعد الطاعنين شكوك
- طوال وليل العاشقين طويل
- يين لنا البذر الذي لا أريده
- ويخفين بذراً ما إليه سبيل
- وما عشت من بعد الأحبة سلطة
- ولكي للنائبات حمول
- وما شارقي بالأنبياء إلا تذكرا
- لماه به أهل الخيب نزول
- يحرمه لمع الآيسة ذوقة
- فيس لظلمتاه إليه وصول
- لا خيل عندك تهديها ولا مال
- فليس تعد النطق إن لم تسع الحلال
- لولا المشقة ساد الناس كلهم
- الجود يفقرر والإقدام قتال
- تريدين لقين المعالي رخصة
- ولا بد دون الشهيد من إبر النحل
- وخفوق قلب لو رأيت لهيبته
- يا جتاي لظنت في جهنمما
- الشيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
- ويستجل دم الحجاج في الحر
- وشبكة الشيء منجذب إليه
- وأشبها بدنيانا الطغام

284
- إذا غامرت في شرف مروم
 فلا تتربع بما دون النجوم.
 فطعم الموت في أمر حقر
 كطعم الموت في أمر عظيم.
- ذو العقل يشق في النعيم بعقيله
 وأخو الجهالة في الشقاعة يتعم.
 لا يصل الموت الريح من الأذى
 حتى يراق على جوانبه الدُم.
والظلم من شيم النفوس فإن تجد
 ذا عجم ففعله لا يظلم.
- ومن البليعة عدل من لا يرغب
 عن جهله وخطاب من لا يفهم.
 ولكن الغيّوث إذا توالئت
 بأرض مسافر كرب المقاما.
 وإذا كانت النفس كباراً
 تعبت في مراها الأجسام.
- ولا كتب إلا المشرفية عنده
 ولا رسِل إلا الخمس العمرُم.
- يا أعدل الناس إلا في مماليك
 فيك الخصم وأنت الخصم والحكم.
 أعيدها نظرة منك صادقة
 أن تحسب الشحم فيمن شحمه وزم.
 وما انتفاه أخي الدنيا بناظره.
 إذا استوت عنده الأنوار والظلم.
فالخيل والليل والبداية تعرفني
والحرب والضرب والقرطاس والقلم
يا من يعر علينا أن تفرقهم
وقدنا كل شيء بعدكم عدم
إن كان سركم ما قال حاسدنا
فما ليجرح إذا أرضاكم ألزم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم
وكره الله ما تأتون والكرم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
أن لا تضاربهم فالراحلون هم
وتعظم في عين الصغار صغارها
وتصرح في عين العظيم العظائم
إذا ساء فعل المرقء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتاده من توهيم
فلحسن وجه في الوزرى وجه محسن
وأيمن كف فيهم كف منجم
لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها
سرور محب أو إساءة ماجيم
رضيت بما ترضى به لي محبة
وقدت إليك النفس قوة المسلم
كتبنا أبدا بعد الكتاب به
فإنما نحن للاسباب كالخدم
من اقتضى بيسى الهندي حاجته
 أجاب كل سؤال عن هل بلم
286
ولم تزل قلة الإنساف قاطعةً
بين الرجال وإن كانوا ذوي رجيم
قد كنت أشفق من دمعي على بصر
فاليوم كل عريز بعدكم هنا
ما كل ما يمضى المرء يذكره
تجرى الرياح بما لا تشهي السفن
عذواك مذموم بكل سمان
ولو كان من اعتدائه القمر
كان رقاب الناس قالت لسيفه
رفيك قدسي وأنت يمان
وإذا لم يكن من الموت بدل
فمن العجز أن تكون جبانا
والقى الشرق منها في ثيابي
دناира تنفر من البنان
حشاءة نفس ودعت يوم وزعوا
فلما أدر أيى المظاعنين أشيع
وعدلت أهل العشق حتى ذقتة
فصبت كيف يموت من لا يعشق
وتكدد الظبا لى ما عَدَودها
تنضي نفسها إلى الأعناق
أزر على أزي ومثلي بأزرق
وجيزة يزيد وعبرة تطرف
أتراها لابشرة العشاق
تحسب الدمع خلقة في المتأق
ومعالُ إذا دعاها سواهم
لزمته جنایة السرقة
والغنى في يد اللهم قبّيحة
قدر قبّة الكريم في الإملاق
لم تزل تسمع المديح ولكن
سُعال الجياح غير النهاق
فيا أيها المطلوب حاوره تمنعت
ويا أيها المحرمو يممه ترزيق
وما الحسن في وجه الفتى شرفًا له
إذا لم يكن في فعله والخلائق
لولا مفارقة الأحباب ما وجدت
لها المنايا إلى أرواحنا سبلا
ومن يَك ذا فمرُّ مريض
يجد مرأ به العذب الزلالا
آلة العيش صحة وشباب
فإذا ولدا عن المرء ولئ
ذي المعاني فليعلون من تعالى
هكذا هكذا وإلا فلا لا
والعيان الجلي يحدث للظن
زوالاً وللمراد انتقلالاً
وإذا ما خلا الجبان بأرض
طلب الطعن وحده والنزالا
إذا كنت ترضي أن تعيش بذلأ
فلا تستعدن الحُسام أليمانيا
ولا تستطيع الرماح لغارة
ولا تستجدين العتاب المذاكيا
أقبلًا اشتقاقًا أيها القلب ربّما
رايتُك تُصفي الوُد من ليس جازيا
خلقتك ألفاً لو رعنت إلى الضّبا
فارقت شبي يوجع القلب باكيا
ـ وما كنت من أدرك الملك بالمئى
ولكن بآيام أشب النواصيا
ـ ومن جهلت نفسه قدره
رأى غيره منه ما لا يرئى
وَقَالَ فِي كَافُورْ وَلَمْ يِرْوَ ابْنِ الْعَرِيفِ هَذِهِ الْأَبِاتُ:

أَكَافُورْ فَبَحَتَ مِنْ خَاِدِمٍ
ولاَقْتُكَ مُسْرَعَةً جَائِحَةً
تشَهَّدَ بَأَسْمَكَ فِي بَرَيْهِ
وَخَالَفَتَ فِي الْلُّونَ وَالْرَّأْيَةٌ
إِلَى كَمْ تَعْيِشُ غُمْرَكَ الرِّدْيِ
وَقَامَتْ عَلِيَّكَ بِنَائِحَةٍ

وَقَالَ وَلَسْتَ فِي كِتَابِ ابْنِ قَادِمٍ وَلَا أَثْبِتْ فِي أَصِلِ الْنَّسْخَةِ وَهِيَ مَمَّا

قَالَ فِي صِبْحَةٍ:

رَأىَ الْمُقَاذِمُ عَلِ الْعَقْصَادٍ
قَنُوِّعًا بِهِ ذَلِّلَةٌ فِي الْعُبَارٍ
وعَجِرَ بَذِي هَمّةٍ أَنْ يَضْبَث
نَحْ بِهِ عَيْشٍ وَسَعَ هَذِي الْبَلَادِ
وَمَا عَزَّبَ الرَّزْقُ عَنْ رَأِيٍّ
وَلَا سَيْمًا حَسَنَ الْأَرْتِيَادِ

(٤٠) ثَبِّتَ هَذَا مَخْتَارَاتُ مِنْ الْشَّعْرِ المَنْسُوبٍ إِلَى الْمَنْتِيِّ فِي هَذِهِ النَّسْخَةِ وَلَا يُوجِدُ فِيهِ الدَّوَابِينِ
المطبوعة.
إذا ما الأديب ارتدى بالخموسي
لما الحظ في الأدب المستفاد
وفي الاضطراب وفي الاغتراب
منال المنى وبلغو العرقاء
وشر الغرامين ضرغمام
طو شبلته وهو في الفييل هاد
وإن صايل قر في غميمه
حرى غيره الحصيلة يوم الجلاد
ولو يستوي بالتهوة الفروع
لما ذكر الله فضل الجهاد
إذا النار نارقة زندها
فسحتها في فراق النذام
ف.Obj. موطنا واغد مسترقة
كذا الرزق غاد إلى كل غاد
ولا يفي عمارك خوف الفراقي لسنم رفقة وبيض خرادة
يطلن البكا عند شحط النوى
وياستين كل الأسى لل البعاد
فكتم ترحة من أسى فرقة
تعود سرورا بحسن المغاد
إلى كم تجميل حرمة
ونصر والصبص صعب القيادة
على نعمة قواتها خيرها
وقوت المعيشة سقم الفؤاد

292
بلا حاسدٍ وِلا حامدٍ
قليلة خير كمال الثُماد
فلا ضُرٍّ منه يخفِ النَّحو
ولا نفع يرجوه أهل الوداد
جَب الأَرض شَرَفاً وجب غَريِّبها
إلى كل فج عميِّق وواد
عسي أن تنال الخَيى أو تموت
وعذرك في ذلك للناس باد
فإن يكن الفقر حتماً عليك
لك فكابده في غير نادك ناد
وللموت أهونُ من أن تراك
بعين الخصاصة عين الأعيادي

وقال يمجد حمزة بن الحسن الطائي وليست ممَّا بث في أصل

الديوان:

انظعن يا قلب فيمن طَعَن
خليساً فأندبُ نفسى إذن
ولم لا أهابُ وحَربُ السوس
بين جُفوني وبين الوسَن
وهلل أنَّا بعدَكما عائش
فقد بَنت عنى وبان السَّكن
فما للفراق وما للجميع
وما لِليِبَاح وما لِلدَمَنٍ
فدى ذلك الوجه بدر الدجي
وذاك الشنٍّي شني الغصين
كأن لم يكن بعدما كان لي
كما كان لي بعد أن لم يكن
ولم يشقني الراح ممزوجة
بما الذا لا بماء المزن
لها لون خديه في كأسه
وريحك يا حمزة بن الحسن
ألم يكفك الشرف البعربي
وأنت غريبة أهل الزمن
كأن المحاسن غارت عليك
فظلت لديك تسوق الفتى
ولم يترك الناس إلا غعوا
برؤياك عن قول هذا ابن مَنْ
ولو قصد الطفيف من طيء
لشارك قصاده في اللبَّن
فما البحر في البر إلا نداك
وما الناس في الناس إلا اليمَن
وقال وليست في كتاب ابن قادم ولا ثبت في النسخ المتناولة:
مسيهم ليس يذري حين أن
أحمام الأباك غني أم تنَّرِن
ساقه من حلب نارحة
رضاً أغيد مجدول البدن

294
فكيفَر ثم قل لي عند من
حين لا أبت به من مالك
كلما سيل ندى قال حسن
لك فينا منن مشكورة
عظمت مناك على كل بنيَّن
انت أحبت الندى بعد التوى
فآتَمت الجود من قفر جن

وكتب إلى أبي العباس أحمد بن كيغل من السجن ليست مما يبت
في أصل:

لعلَّ نهى الفؤاد عن قلقه
يرد من وجدته ومن حرقه
شهد عين الأسير ظالمٌه
ونام عن ليله وعن أرقه
شغلي عن الربع أن أسأله
أتين أطيب البكاء في خلقه
بالسجن والقيد والحديد وما
 يصل عند القيام من خلاقه
مع كل لص إذا خلوث به
حدث عن جهده وعن سرته
لو خلقت رجل كهامته
ظل يباري الباز في طلقه
بدلت سكينه وتكتبه
من خط كف الأديب في ورقه
يا أيها السيد الهمام أبا ال-
عباس والمستعذاذ من حنهه
أعني الأمير الذي لهيته
يخفق قلب الولد في خرقه
المظهر العدل في رعيته
والمعتدي حلمه على نزقه
نظرت من طبعه إلى ملك
تعصر خمار الشام من خلقه
لسوكة كان مثل قدرته
كان دم العاليمين في عنقه
يا من إذا استنصر الأنام به
مات جميع العصاة من فرقه
في كل يوم يسري إلى عمل
في عسكر لا يرى سوى حدقه
تشتعل الأرض من بوارقه
ناراً وتدب السيف عن درقه
قد آثر القيظ في محاسنه
وفتح ريح الغدير من عرقه
لأنك الشمس لم تذر بلداً
في الأرض إلا طلعت في أفقه
الله يا ذا الأمير في رجل
لم يبق في جسده سوى رمقه

296
كم ضوء صبح رجاك في غده
وخرج ليل دعاك في غضقه
ناداك من لجة لتنقذه
من بعد ما لا يشك في غرقه
وقال أبو الطيب مما لم يثبت له في الأصول المتسلخ منها في خياط
وسيم:
أما تبصر البدر بدر السماء
يروح ويغدو إلى سوقه
يخيط الشياب ومن هجره
يقد جلابيب مشروقه
إذا منزق الشوب مقراضه
تمزق قلبي كتمزقيقه
وإن خاط سلكاً فألحاظه
تخيط الفؤاد بتحرقه
وأطيب من ريق حور الجنان
خيوط تروى من ريقه
وكتب إلى ابن كيبلغ من السجن يستطفه ولم تثبت:
عين تكسمت الهموم كراها
وجوى تعمدني وقلب تاه
وشاراشة لم تكفها بلوى النوى
والبين حتى زيد في بلوها
من كان منزله بحمص فنزل لي
بجهنم الحمراء لا بسواها

297
في مطبق كتب البلي برجاله
هذي القبور وهذه موتاها
يا ذا الأمير دعاء عانِ عينه
رؤياك من قبل الممات مناها
يا ابن الألى حكم الآله بحكمه
ألا يرى لهم الوري أشباها
ومن احتقرت من السحاب ثقالها
لما رأيت نواله وحياها
أشكو إليك عظيم ما قد حَلَّ بي
ممن يخاف ولا يخاف الله
لو ضمني والفارقي بساطه
كيفا يقوم بحججة مولاها
لم يكذب القرشي إلا بعدما
كذبت على الله اليهود سفاها
أقنى بني العباس أي قيلة
حوَّأمةً إلَّا وأنتَ فتاهما
وعليك حَبُّ في الأنان شناوها
وعلي عدادٍ سوَّفُها وقناها
الله فيَ فَلَسَت أَوْلُ مُهْجِبةٍ
فظن الأمير بدائها شفاهًا
فاستبقني فَنَا النذير لأمةٍ
بعدي تطا سلمية وترها
ومما ليس في كتاب ابن قادم ولا رواه أكثر الرواة قصيدته في سيف الدولة:
أصدوداً هجرتينا أمَّ دلالاً
حين أظهرت جفوة واعتلالاً
أم ملقب الوصال فاستضِمْه جراً
ربما أعقب الوصال ملالاً
لا تجعلني دمي فما جعل الله
دم الهائم المشوق خلالاً
ما لهذى العقلة الرؤد لا
تسمح لي بالوصال إلآ غلالا
نكستني بصدها بعدما قدت
كنت فارقت عندنا الإبلالا
أحسن الغانيات دلالا وأحلا
هُنم في كل حالة إذلالا
شهدت بالهلال خشنا ونوراً
وهي في خضتها تفوق الهلالا
ولقد قيل قد نأت عنك فاطب
لك أخرى تجها قلت للالا
طلم دمعي إثر الطعائين لثما
خلتونو أياسن الأطولالا
إنَّما كانت الدُّيار ديار
يوم كانوا برفعها خلالا
النسوني الضنى كما ألبس
الله عليا مهابة وجالاً
للتُّلقى سمعة عليه والإيمان
نور في وجهه يتلالاً
مرْحَف الدُّولة الذي استَنَأ الله
فحاطُ الهُدَي وآرَدَى الضَّلالا
والْأَمِيرُ الْمُرَبٍّ عَلَى الغُيْثِ سَحاً
وأنسِكَاباً بِجُودِه وانْهلاً
مَّلَك تُظْهَرُ المَلْوُك لَهِ الإْعْظا
مْ طَوِعاً لِدِيْه وانْجِلالاً
قَفَّ أَسْتَد الْغِيَاض بَاساً وعَداً
مَا وحَاكي زُهْر الْرِّيَاض خَلاً
خَيْر مُنّ أَمِه المُؤْمِن يُرْجِي
 نحوه الشَّدْقَم المَنْهلالاً
رَّد عَرَّ الإِسْلاَم غَضَباً عَلَيه
وُكَسّا الشَّرْك سَيْقُه الإِذلالاً
وُحَمّى الثَّغر بعَدَما ضَعَعْ نَقْصاً
وعَفا قَلْهُ وذَلَّ اخْتَلَالاً
بَرْ تُبِّجُانِهِم المَلْوُك وأرْدِي
الصِّيد قَتَلًا وفِكّك الأَغْلالا
لَيْس يَخْشى الْوجي إِذَا سَار
لله مَعِيرًا وَلَا يَخاف الكَلالا
وإِذَا ما الرُّماح صارت جَمِي في
حومة الموت وسَيْفُ ظُلالاً
أَتْنَّعَلَ الخَيْل بِالجَمَاجِم فيهَا
وكَسَاهَا نَنْتَجِع جَلالاً
لا كَمْ أَصْبِحاً حَبَارِي عَن الرُّؤْيَا
وأَمَسَّوا عَن الْرُّجُل ضَلالاً

300
لم تشكّ ليهم الذين يومًا
ظُما الصَّلِيد ما سَقَوَه بِلاَلا
فَهُمٌ بيننا حضورٌ ولكن
فَذَ عَدَّنَا حُضورهم إِخِلاَلا
أنها السيّد الذي حل في قلّة
أكرومة تفوّق الفقلاا
قد رجوُت الخِلال منك اللواتي
غمَرتني بالبرّ ماءًا زلاا
كنت أخشى الإقلاع حتى إذا
زرتكم انسبت عندك الإقلاع
ولكن فقت في مديحك غيلان
لقد فقت في نوايلي بِلاَلا
فابق واسلم وعَش ودِم واحظ
وانعم واسم وابذخ وصل وطل وتعلما

وقالم في كافور وأنفدها من بغداد:
أفيقاا خمار الهم نغصني الحُمراء
وكري من الأياام جنبي السُكرا
يسَر خليلي بالمُمادمة والذي
بَلَّي بأبي أن أسر كما سُرـا
لَبَست صروف الذهّر أحسن ملبس
فمرّنتي ناباً وفريني ظفـرا
وفي كل لحظ لي وسمع نفَّة
يلاحظتي شزاً ويسمعني هجـرا

301
سَدَكَتْ يَصَفِّرُ الدَّهْرِ طَفَالًا وَيَافَاعًا
فَأَقَطِنَتْ عُزْمًا وَلَمْ يُقْتِنِ صَبْراً
أَرْبِدُ مِنَ الْأَيَامِ مَالَا يَرْبِدُهُ
سَوَيِّ وَلَا يُجِرِّي بِخَاطِرِهِ فِكْرًا
فَأَسَالْهَا ما لا أُنَّ الْقَضَاءَهُ
وَمَا أَنَا مَمْن رَامٍ حَاجَتْهُ يُسْرَأٌ
وَلِيّ كُبْدُ مِنْ رَأْيِ هِمْهَا النَّوْى
تُرْكِبُ مِنْ عِزْمِهَا الْمَرْكَبُ الْوَعْرَا
أَخْوَهُ هِمْ مَ رَحْلَةَ لا تِنَازَلُ بِهِ
نَوَى تَقْطُعُ الْبَيْدَاءَ أَوْ أَقْطُعُ الْعَمْرَا
وَمَنْ كَانَ عَزْمِي بَيْنَ جِبْهِهِ حَنْعَة
وَصِبَّرُ طُولَ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهِ شَبَرَا
صِبْحَتْ مُلْوَكُ الْأَرْضِ مُغْتَبَطَا بِهِمْ
وَفَارَقَهُمْ مَلَانَ مِنْ شَنَفِ صَدْرَا
وَلَمْ رَأَيْتُ الْعُبْدُ لِلْحَرُّ مَالِكَا
أَيْبَتْ إِبَاءَ الْحَرُّ مِسْتَرْقَقَا حَرَا
وُضَرْ لَعْمَرِي أَهْلُ كُلِّ عَجْبِيَّةٍ
وَلَا مِثْلُ ذا الْمَخْصُوصِ أَعْجَوْيَةٌ نَكْرَا
يُبَعَدُ إِذَا عَدَدُ العَجَابَيْنِ أَوْلَا
كَمَا يِبْتَدَا فِي الْعَدَدِ بإِلْصَاعِ الصَّغَرِي
فِي حَرَقَ الْدُنيا وَيَا عُبْرَةِ الْوَرَى
وَيَا أَيْبَاهُ المَخْصُوصِ مِنْ أَمَاكَ الْبَظَرٍ
نُوْبَيْيَةً لَمْ تَنْزَرْ آنَ بُنِيَا الْمَوْبِي
dونَ اللَّهِ يُغْبِيَدُ فِي مَضْرَأ
ويستخدم البيض الكواعب كالذمّي
وردُ العبدِيَّ كَالْمَغْطَرَفَةِ الغُرَّا
قضاءً من اللّه العلي آرائه
لا إنما كنت إرادته شرًا
ولله أيات وَلَسْنَا كِيَامًا
أطْلُكْ يا كافور أيتامجُ الكُبَرَى
لَعَمْرُك ما ذهْرٌ به أنَّ طَبْبٌ
أيحسنُ ذا الدُّمَر أحسِبه ذهْراً
وأكفرُ يا كافور حين تلْحُه لي
ففايرت مّى فارقتَك الشَّركَ والكَفْرَا
عَشْرُتْ بسَيرٍ نحو مسر فلا لعَمْها
بها وَلَعْها في السَّير عندها ولَا عُثْرًا
وفارقت خَيْر الأرض قاصَد شرِّهم
وأكَرَّمْهم طُرْأا لأنذِلهم طرَا
فِعَاقَبَني الخَنزَير بِالغَدر جارِيا
لَنَّ رَحِيلي كان عَن خَلْب غدرا
وِما كنت إلاَّ فائِل الرأي لَم أُعْنِ
بِحُرْمٍ ولا استضْحَبَت في وَجْهِي جُجْرا
وَقَذَرِني الخَنزَير أَيِ مَذْحَمْهُ
وَلِوْ عَلَموا قد كان يِهْجِي بِما يَطْرَا
جَسَّرت على دهِياء مسر فقِيتها
ولم يكن الدهِياء إلا من استَجَرا
سَأَجِلْها أَشْباها ما حمَّلْهُ مِن
أَسْتَنَا جَرَدا مَقَسَّطَةَ غُبُرا
وأطلع بيضاً كالشمس مظلمة
إذا طلعت بيضاً وإن غربت حمراء
فإين بلغت نفسى المنى فغزبها
والآ أفدّ أبلغت في جرحها عذراً

(*) سواء أكانت هذه القصيدة من مهمل شعر المتنبي أم من نحته فإنها في شكلها ومضمونها
تنحو منحى شعر المتنبي.

304
صورة الصفحة الأولى في مقدمة القشطالي نسخة الخزانة العامة بالرباط.

305
صورة الصفحة الأولى من مقدمة الترتيب ويظهر فيها نسبته إلى الماغسي نسخة الخزانة العامة بطوان.
لا يمكنني قراءة النصوص العربية من الصور.
فهرس

- المقدمة .................................................................................. 5

- الفصل الأول :
  أبو تمام في أدب الأندلسين والمغاربة .................................... 7

- الفصل الثاني :
  أبو الطيب في أدب الأندلسين والمغاربة ............................... 90

- الفصل الثالث :
  مؤلف "روضة الأدب، في التفضيل بين المثنئ وحبيب" ........... 91

- الفصل الرابع :
  نص روضة الأدب، في التفضيل بين المثنئ وحبيب ............... 177

- الفصل الخامس :
  مختارات من نسخة ديوان المثنئ السعدية .......................... 199

- الفصل السادس :
  مختارات من نسخة ديوان المثنئ السعدية .......................... 201

- الفصل السابع :
  مختارات من نسخة ديوان المثنئ السعدية .......................... 228

- الفصل الثامن :
  مختارات من نسخة ديوان المثنئ السعدية .......................... 229

- الفصل التاسع :
  مختارات من نسخة ديوان المثنئ السعدية .......................... 308